MORE THAN 5 MILLION COPIES SOLD

دانيال كيز

أَزْهَارٌ أَلِغَرْنُون

رواية

FLOWERS FOR ALGERNON

T

ترجمة: آية علي

تمت ترجمة هذا الكتاب ضمن
مبادرة ترجم

أزهار لألغيرنون

دانيال كيز

ترجمة آية علي

T telegram @tea_sugar

الكتاب: أزهار لألغيرنون

المؤلف: دانيال كيز

ترجمة: آية علي

التصنيف: رواية

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: سبتمبر (أيلول) 2021

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 614 - 429 - 741 - 4

Copyright©1966, 1959 by Daniel Keys
Copyright renewed 1994, 1987 by Daniel Keys

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ مدارك. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من مدارك.

ترجمات مزون

Madarek مدارك
Madarek Publishing House دار مدارك للنشر

8470 طريق عثمان بن عفان، حي التعاون، الرياض، المملكة العربية السعودية
8470 Othman Bin Affan St, Al Taawun Dist, Riyadh, Saudi Arabia
Zip Code: 3844 - 12478 Riyadh, Saudi Arabia Tel: +966 114541148

mdrek.com | read@mdrek.com | DarMadarek

إهداء لوالدتي

وفي ذكرى والدي.

إن الحصيف سيتذكّر أن ارتباك العينين نوعان وينشأ من سببين، إما من الخروج في النور أو من الدخول إلى النور، ومَقضيّ أن الروح يمكن أن تتأثر بالطريقة عينها. ألن يَفسح الطريق إلى القهقهة الخرقاء عندما يُرى أي شخص يكون نظره مرتبكًا وضعيفا؟ أنه سيسأل، في المقام الأول، سواء أكانت روح الإنسان قد خرجت من الحياة الأبهى وغير قادره أن ترى لأنها غير معتادة على الظلام، أو أنها تحوّلت من الظلمة إلى النهار وتكون مخطوفة البصر بإفراط النور. وسوف يحسبُ سعيدًا من يكون في كيفيته وحالة وجوده، والآخر يستحقّ الشفقة. أو إذا كان لديه مزاج ليضحك على الروح التي أتت من أسفل إلى النور، فهذا الضحك لن يكون مُضحكا هكذا تماما كذاك الذي يُحيّي الروح التي عادت من علٍ خارج النور إلى الكهف.

أفلاطون، الجمهوريّة(1).

قالوا عن الرواية:

«حكاية مُقنعة، ومثيرة، ومؤثّرة».

___ ذا نيويورك تايمز

«مـذكّرات شـجيّة. تضـم بعـض المشـاهد التـي ستطاردني إلى الأبد».

___ ذا نيوز آند أوبزيرفر (مدينة رالي، كارولاينا الشمالية).

«قصة مؤثرة على نحوٍ مبدع، وجيّاشة، وواقعيّة بحدّة».

___ ذا بالتيمور صن.

«مثال جيد على ذلك النوع من الخيال العلمي الذي يسـتخدم فرضـية مقنعـة لسـبر أغـوار المسـائل العاطفية والأخلاقية ... ذكيّة».

___ مُلحق التايمز الأدبي.

«يتعين أن تكون هذه الرواية ضمن قائمتك للكتب التي (تجب قراءتها)»

___ بالم بيتش بوست تايمز.

«مذهلة، ومؤلمة... وفاتنة».

___ ذا بيرمينغهام نيوز.

«قطعة كلاسيكية من الأدب... إنجاز أدبي فريد من نوعه كفرادة الموضوع نفسه».

___ جورنال ستار (مدينة بيوريا).

«مُحرّكة للمشاعر ومُحزنة وأصيلة على نحوٍ لافت».

__ بابليشرز ويكلي.

«رواية تجعلك تنغمس فيها بالكامل، وهي أصيلة بقدرٍ هائل ومُذهل... سيظل يقرأها الناس زمنا طويلا».

___ لايبراري جورنال.

أزهار لألغيرنون

تاقرير تطوور ١ – ٣ ماريس

يقول اطبيب شتراوس انهو يجب عليا كتابت ما اوفكر فيه واتذككر وكل شيء يحدث لي من الان فصاعدا. لا اعرفو لماذا لاكنه يقول انهو مهم حتا يقررو هل سوف يستخديموني ام لا. اتمنا ان يستخديموني لان الاوستاذه كيننيان تقول انهم ربما يجعلووني ذكي. اريد ان اكون ذكي. اسمي هو تشارلي جوردن اعمل في مخبز دونرز ويعطيني السيد دونر ١١ دولار في الئسبوع وخبز او كعكه اذا اردتو ذالك. عمري ٣٢ سنه واشهر القادم هو عيد ميلادي. قلت لططبيب شتراوس والاستاذ نيمور انني لا اصططيع الكتابه جيدا لاكنه يقول هذا غير مهم وانه يجب ان اكتب مثل ما اتحدثو بضضبط ومثل ما اكتبو تاراكيب في صف الانسه كيننيان في مركز كوليت بيكمين للكبار الموتءخرين عقلين الذي اذهبو اليه لئتعلم ٣ مرات في الاسبوع في وقت فراغي. يقول اطبيب شتراوس ان اكتب كثيرن كل شيء افكرو فيه وكل شيء يحدث لي لاكن لا اصططيع اتفكير بعد الان لانه ليس لدي شيء اكتبه لـذالك سـوف اغلق اليوم... المخلص تشارلي جوردن.

تاقرير تطوور ٢ – ٤ ماريس

اختبرتو اليوم اختبار. اعتقدو اني رسبت فيه واعتقد انهم ربما لن يستخديموني الان. ما حدث هو انني ذهبتو الى مكتب د نيمورز في وقت استراحت غداءي مثل ما قالو واخذتني مساعدتهو الى مكان مكتوب عليه القسم النفسي على الباب وفيه ممر طويل وغورف صغيره كثيره فيها فقط مكتب وكراسي. وكان هناك شخص لطيف في واحيده من الغرف وكان معه بعض البطاقات البيضاء مكسوب عليها كثيرون من الحبر. قال اجلس يا تشارلي وخوذ راحتاك في المكان واسترخي.

كان يلبس معطفن ابيضن مثل طبيب لاكن لا اظن انه طبيب لانه لم يطلب مني ان افتح فمي واقول اااه. كان معه تلك البطاقات البيضاء فقط. اسمه برت. نسيتو اسم عائلته لانني لا اتذكر جيدن.

لم اكون اعلم ماذا كان سيفعل وكنت امسك بالكرسي بقوه كما افعلو احيانا عيندما اذهب الا طبيب الاسنان لاكن برت ليس طبيب لاكنه استمر في اخباري بان استرخي وهاذا يجعلوني خائفن لان معناه دائمن انه سيكون موءلمن.

ثم قال برت تشارلي ماذا ترا في هاذه البطاقه. رءيت الحبر المكسوب وكنت خائفن جدن مع انني

كنت احمل قدم الارنب خاصصتي في جيبي لانه عندما كنت طفل كنت ارسب في الاختبارات في المدرسه واكسوب عليها الحبر.

قلت لبرت اني رءيت حبر مسكوب على بطاقه بيضاء. قال برت نعم وابتسم وهاذا جعلني اشعر بشعور جيد. استمر في تقليب جميع البطاقات وقلتو له ان احد سكب الحبر عليها جميعا احمر واسود. فكرت ان ذالك الاختبار سهل لاكن عندما قمت لئمشي اوقفني برت وقال اجلس الان يا تشارلي نحن لم ننتهي بعد. هنالك المزيد لنفعله بهذه البطاقات. لم افهم ذلك لاكنني اتذكر الطبيب شتراوس قال افعل اي شيء قاله المختبر لي حتى وان كان ليس منطقيا لان ذلك اختبار.

لا اتذكرو جيدا ما قالهو برت لاكن اتذكر انه اراد مني ان اقول ماذا كان في الحبر. لم أرى شيئ في الحبر لاكن برت قال ان فيها صور. لم اصططيع روءيت اي صور. لقد حاولت فعلا ان ارى. حملت البطاقة لمسافة قريبه ثم ابعدتوها. ثم قلت لو كانت معي نظارتي فسوف ارى افضل انا ارتدي نظارتي في العاده فقط في الافلام او لمشاهدت اتلفاز لاكن قلت ربما سوف تساعدني على روءيت الصور في الحبر. ارتديتها وقلت دعني الان ارى البطاقه مجددا واراهن انه سوف اجدها الان.

حاولت بجد لاكن رغم ذلك لم اصططيع روءيت الصور رءيت الحبر فقط. قلت لبرت ربما احتاج الى نظاره جديدة. كتب شيئا على ورقة واصبحت خائف من رسوب الاختبار. لذالك قلتو له انها صوره جميله لحبر مع نقط جميله حول الحواف لاكنه حرك راسه لذلك لم يكن هذا الجواب صحيح ايضن. سالته هل الطلاب الاخرين رءو شيئ في الحبر وقال نعم وانهم تخيلو صور في بقعت الحبر. اخبرني ان الحبر على البطاقه يسمى بقعت حبر.

برت لطيف جدن ويتحدث ببطء مثل الاوستاذه كينيان في صفها الذي اذهب اليه لتعلم القراءه للبالغين البطيئين. وضح لي انه اختبار رو شاخ. قال ان الطلاب يرون اشياء في الحبر. قلت له اريني المكان. لم يريني واستمر فقط في قول فكر تخيل ان هنالك شيئ على البطاقه. قلت له اني اتخيل بقعت بحر. حرك راسه لذالك لم يكن هاذا الجواب صحيح ايضا. قال بماذا تذكرك تظاهر انها شيء. اغلقتو عيني لفتره طويله للتظاهر ثم قلت اتظاهر ان زجاجه من الحبر انسكبت على كل انحاء بطاقه بيضاء. وعندها انكسرت النقطه في قلمه ثم قمنا وخرجنا.

لا اظنو اني نجحت في اختبار رو شاخ.

تقرير تطوور الثالث

٥ ماريس- يقول الطبيب شتراوس والاوستاذ نيمور ان الحبر على البطاقات لا يهم. قلت لهم اني لم اسكب الحبر عليها ولم اصططيع رؤيت اي شيء في الحبر. قالو انهم ربما يستخدموني رغم ذلك. قلتو للطبيب شتراوس ان الاوستاذه كينينيان لم تعطيني ابدا اختبارات مثل ذلك فقط كتابه وقراءه. قال ان الانسه كينينيان اخبرته انني افضل طالب عندها في مدرست بييكمان للبالغين المتئخرين عقلين وانني حاولت بجد كبير لانني اريد فعلا ان اتعلم واردتو ذلك اكثر حتى من اططلاب الاذكى مني.

سالني الطبيب شتراوس كيف ذهبت الى مدرست بييكمان بنفسك ياتشارلي. كيف عرفت بشئنها. قلتو انني لا أتذكر.

قال الاوستاذ نيمور لاكن لماذا اردت الذهاب لتعلم القراءه والتهجئه من الاساس. قلت له لاني اردتو طوال حياتي ان اكون ذكي وليس غبي وامي قالت لي دائما ان احاول واتعلم كما تقول لي الاوستاذه كينينيان بضضبط لاكن من الصعب جدا ان اكون ذكي وحتى عندما اتعلم شيئ جديد في صف الاوستاذه كينينيان في المدرسه انسى كثيرا.

كتب اططبيب شتراوس شيء على قطعت ورق وتكلم الاوستاذ نيمور معي بطريقه جاده كثيرا. قال اتعلم يا تشارلي نحنو لا نعرف كيف ستعمل هذه التجربه على البشر لأننا جربناها فقط حتى الان على الحيوانات. قلت ان هذا ما قالته لي الاوستاذه كينيان لاكن لا اهتم حتى وان كانت موءلمه او اي شيء لانني قوي وسوف اعملو بجد.

اريد ان اصبح ذكيا اذا سمحو لي بذلك. قالو انهم يجب ان يحصلو على اذن من اسرتي لاكن عمي هيرمان الذي كان يعتني بي ميت ولا اتذكر شيء عن اسرتي. ربما يكونو ميتين ايضا. سالني اططبيب شتراوس اين كانو يعيشون. اظن في بروكلين. قال انهم سيبحثون وربما يصططيعون ايجادهم.

اتمنى ان لا اكتوب كثير من هذه التقارير لانها تاخذ مني وقت طويل وهذا يجعلني انام في وقت متاخر واكون متعب في العمل في الصباح. جيمبي صرخ في وجهي لانني اسقطت صنيه مليئه بالفائف كنت احملها الى الفرن. واتسخت واضططر الى مسحها قبل وضعها للخبز. جيمبي يصرخ في وجهي طول الوقت عندما افعل شيء خطا، لاكنه معجب بي كثيرا لانه صديقي. تخيلو لو اصبحت ذكيا يا الهي سوف يتفاجاء كثيرا.

تقرير تطوور ٤

٦ مار- اخذتو المزيد من الاختبارات المجنونه اليوم في حالت ارادو استخدامي في نفس ذالك المكان لاكن في غرفت اختبار صغيره مختلفه. قالت لي السيده اللطيفه التي اعطته لي قالت لي الاسم وطلبتو منها ان تتهاجئهو حتى اصططيع كتابته في تقرير انتطوور الخاص بي. اختبار إدراك الموضوع. لا اعرف معنى اخر كلمتين لاكني اعرف معنى كلمة اختبار. اما ان تنجح فيه او ستحصل على علامات سيئه.

بدا هذا الاختبار سهلا لاني كنت اصططيع رؤيت الصور. لاكنها هذه المره لم تطلب مني ان ارى الصور. هذا جعلني محتار. قلت لها ان برت اخبرني امس انهو يجب عليا قول ما رئيته في الحبر. قالت ان هذا لا يهم لان هذا الاختبار شيء اخر. الان عليك تاليف قصص عن الاشخاص في الصور.

قلت كيف ساقول قصص عن اشخاص لا اعرفهم. قالت تخييل لاكن اخبرتها ان هذه اكاذيب. لم اعد اقول اكاذيب ابدا لاني عندما كنت طفلا قلت أكاذيب وكنت انضرب دائما. لدي في محفضتي صوره لي ونورما وعمي هيرمان الذي وفر لي وظيفت عامل نظافه في مخبز دونرز قبل موته.

قلت اصططيع قول قصص عنهم لاني عشت مع عمي هيرمان لفتره طويله لاكن السيده لم ترغب بمعـــرفت شـــيء عنـهم. قـالت ان هـاذا الاختبـار والاختبار الاخر رو شاخ كان لمعرفت الشخصيه. ضحكت. قلت لها كيف تعرفين ذالك الشيء من بطاقات سكب عليها احد الحبر وصور لاشخاص لا تعرفيهم حتى. بدت غاضبه وابعدت الصور. لا اهتم بذلك.

اعتقدو اني رسبت في ذالك الاختبار ايضن.

ثم رسمتو قليل من اصصور لها لاكنني لا ارسم جيدن. لاحقا جاء المختبر الاخر برت ومعطفه الابيض اسمه برت سيلدن واخذني لمكان موختلف في نفس اددور ارررابع في جامعت بييكمان مكتوب عليه على الباب مختبر علم النفس. قال برت ان علم النفس يعني عقل وان مختبر يعني مكان يعملون فيه تجاروب. حسبت انه يقصد المكان الذي يصنعون فيه العلكه ولاكن الان اعتقد انه الغاز والعاب لان هاذا ما فعلناه.

لم اعرف حل الغز جيدا لانهو كان متكسرا بالكامل والقطع لم تدخل الفتحات. واحد من الالعاب كان ورقه عليها خطوط في كل الاتجاهات وكثير من اصناديق. في جانب واحد مكتوب البداية وفي اناحيه الاخرى مكتوب النهاية. قال لي ان هذه

العبه توهان وانه يجب ان اخذ القلم اررصاص واذهب من المكان المكتوب عليه البداية الى المكان المكتوب عليه النهايه من دون المشي من على اي خط.

لم افهم التوهان واستخدمنا اوراق كثيره. ثم قال برت انظر سوف اريك شيئا لنذهب الى مختبر التجاروب ربما تفهم الفكره. ذهبنا الى الاعلى الى الدور الخامس لغرفه مختلفه فيها اقفاص كثيره وحيوانات كان عندهم قرود وبعضو الفئران. كان فيها رائحه غريبه مثل زباله قديمه. وكان هناك طلاب اخرين ويلبسون معاطف بيضاء ويلعبون مع الحيوانات لذالك اعتقدت انه مثل محل حيوانات اليفه ولاكن لم يكن فيه زبائن. اخذ برت فئر ابيض من القفص واراه لي. قال برت هذا الغيرنون وهو يصططيع حل هذه التوهان جيدا جدا. قلت له دعني أرى كيف يفعل ذالك.

يا للعجب وضع ألغيرنون في صندوق مثل طاوله كبيره فيها الكثير من المنعفطات وادوران مثل انواع كثيره من الجدار وبدايه ونهايه مثل التي كانت في الورقه. لاكن هنا كانت توجد شاشه على الطاوله الكبيره. وبرت اخرج ساعتهو ورفع باب مونزليق وقال هيا يا ألغيرنون والفئر شم ٢ او ٣ مرات وبدء اررکض. اولا رکض في صف طويل ثم عندما ثم

عندما راى انه لا يصططيع الاستمرار اكثر قام بالعوده الى البدايه ووقف هناك لدقيقه يهزهز شواربه. ثم ذهب الى الاتتجاه الاخر وبدء يركض مره اخرى.

كان يبدو وكئنه يفعل نفس الشيء الذي اراد برت مني فعله في الخطوط على الورقه. كنت اضحك لانني كنت اظن ان فعله سيكون صعب على الفئر. لاكن ألغيرنون استمر في الركض طول الطريق عبر ذلك الشيء في جميع الاتجاهات اصصحيحه حتى خرج من المكان المكتوب عليه نهايه واصدر صوت صرير. قال برت ان هذا يعني انه سعيد لانه حل الشيء بطريقه صحيحه.

ويا الهي قلت هذا فئر ذكي. قال برت هل تريد التسابق مع ألغيرنون. قلت بالتأكيد وهو قال ان عنده نوع مختلف من التوهان مصنوع من الخشب وصفوف محفوره فيها وعصا ايليكتروني مثل قلم رصاص. ويصططيع تعديل متاهت ألغيرنون لتكون مثل الثانيه حتى نكون نحن الاثنين نفعل نفس الشيء.

قام بتحريك كل الالواح الخشب على طاولت ألغيرنون لانها تاتي منفصله وهو يصططيع ترتيبها مع بعض بطرق مختلفه. ثم رجع الشاشه مكانها في الاعلى حتى لا يقفز الغيرنون على اي صفوف

حتى يصل الى النهايه. ثم اعطاني العصا الثيليكترونيه ووضضح لي كيف اضعه بين الصفوف ويجب ان لا ارفعه من على اللوح وفقط امشي على الاشياء المحفوره حتى لا يصططيع القلم اتتحروك والا اوصبتو بصدمه خفيفه.

اخرج ساعته وكان يحاول اخفاءها. فحاولت عدم النظر اليه وهاذا جعلني متوتر جدا.

عندما قال انطلق حاولت ان انطلق لاكن لم اعلم الى اين انطلق. لم اعلم اي طريق اخذ. ثم سمعت صوت صرير الغيرنون من الصندوق على الطاوله واقدامه تخدش الخشب يعني انه يركض بالفعل. بـدات انطلـق لاكـن ذهبـت فـي الاتجـاه الخـطء وأصبحت عالقا وصدمه خفيفه في اصابعي فعدت الى البدايه لاكن كل مره ذهبت في طريق خطا أصبحت عالقا وحصلت على صدمه. لم تكن مؤلمه او اي شيء لاكن فقط جعلتني اقفز قليلا وبرت قال انها لتخبرني اني فعلت الشيء الخطا. كنت في نصف الطريق على اللوح عندما سمعت ألغيرنون يعمل صريرا كئنه سعيد مره اخرى وهذا يعني انه فاز في السباق.

والعشر مرات الاخرى التي اعدناه فيها فاز ألغيرنون كل مره لانني لم اصططع العثور على اصفوف اصحيحه للوصول الى المكان المكتوب عليه النهايه.

لـم اشـعور بالاسـتياء لانـي شـاهدت ألغـيرنون وتعلمت كيف اونهي المتاهه حتى اذا اخذ هاذا مني وقت طويل.

لم اكون اعلم ان الفئران ذكيه جدن.

تقرير تطوور ٥ - ٦ مار

عثرو على اختي نورما التي تعيش مع امي في بروكلين واعطت موافقه على العمليه. لذالك سوف يستخديموني. انا متحمس جدن لدرجت اني اكتب بصعوبة. لاكن بعدها قام اطبيب شتراوس والاوستاذ نيمور بعمل اتفاق عنها اولا. كنت اجلس في مكتب د نيمور عندما دخل اطبيب شتراوس وبرت سيلدين اليه. كان الاوستاذ نيمور قلق من استخدامي لاكن الطبيب شتراوس قال له اني افضل شخص اختبروه حتى الان. قال برت ان الاوستاذه كينيان رشحتني افضل واحد من بين كل الناس الذين تدرسهم في المركز للبالغين الموتئخرين عقلين. الذي اذهب اليه.

قال اطبيب شتراوس ان عندي شيء جيد جدن. قال ان عندي مدافع جيدة. لم اكن اعلم ابدا ان عندي ذالك. شعرت بالسعاده عندما قال ليس كل الذين عندهم موعددل ذكاء ٦٨ عندهم ذالك الشيء مثلي. لا اعرف ما هو ولا من اين حصلت عليه ولاكنه قال انه ألغيرنون عنده مثله ايضا. مدافع الغيرنون هو الجبنه التي يضعوها في صندوقه. لاكن لا يمكن انها هذا الشيء فقط لاني لم احصل على جبنه هذا الأسبوع.

كان الاوستاذ نيمور قلق ان يصبح موعددل ذكائي اعلى بكثير من موعدلي الذي كان منخفض جدن وانني سوف امرض بسبب ذالك. وقال الطبيب شتراوس للاوستاذ نيمور شيء لم افهمهو واثناء كلامهم كتبت بعض الكلمات حتى احتفظ بها في تقارير انتطوور الخاصه بي.

قال يا هارولد هذا اسم الاوستاذ نيمور الاول اعلم ان تشارلي ليس ما كنت تتوقعهو كئول واحد من سلالتك من الرجل الخارق المثقـ** لم افهم الكلمة***. لاكن معظم الناس الذين مثله في العقلـ** المنخفضه يكونو عدائـ** وغير متعا** يكونو في العاده بليدين ولا مبال** ويصعب التواصل معهم. تشارلي عندهو طبيعه جيده وهو موهتم ومتحمس للارضاء.

ثم قال الاوستاذ نيمور تذكر انه سيكون اول انسان على الاطلاق يزيد ذكاءوه عبر عمليه جراحيه. قال الطبيب شتراوس هاذا بالضبط ما كنتو اقصد. اين سنجد شخصا متاخرا عقليا اخر عنده هذا المدافع الكبير لتتعلم. انظور كيف تعلم ان يقرا ويكتوب بالنسبه لعمره العقلي المونخفض. انجا** ها**

لم افهم كل الكلمات وكانو يتكلمو بسرعه جدن لاكن يبدو ان الطبيب شتراوس وبرت كانو في صفي لاكن الاوستاذ نيمور لم يكون في صفي.

برت استمر يقول كثيرا ان اليس كينيان تشعر ان عنده رغبه عارر** في اتعلم. هو في الحقيقه ترجانا كي نستخدمه. وهاذا صحيح لانني اردتو ان اكون ذكي. قام اططبيب شتراوس وتمشى وقال من رايي ان نستخدم تشارلي. وبرت هز راسه. حك الاوستاذ نيمور راسه وفرك انفه بابهامه وقال ربما انت محق. سوف نستخدم تشارلي. لاكن يجب ان نجعله يفهم ان امور كثيره خاطئه يمكن ان تحدث اثناء اتجربه.

عندما قال هاذا اصبحت سعيد جدن ومتحمس كثيرن وقفزت وصافحت يده لانه كان طيب كثيرا معي. اعتقد انهو خاف عندما فعلتو ذالك.

قال لقد عملنا على هاذا الامر لمده طويله ولاكن على حيوانات فقط مثل ألغيرنون. نحن متاكدون انك لن تصاب بضرر جسدي ولاكن هناك امور أخرى لا نصططيع معرفتها حتى نجرب. اريدك تفهم ان هاذه التجربه ربما تفشل ثم لن يحدث اي شيء ابدن. او ربما حتى تنجح موءقتا ثم تصبح بعدها اسوء من حالك الان. هل تفهم ماذا يعني هذا. اذا حدث هذا فسوف نضططر لارسالك الى دار وارين ستيت لتعيش فيه.

قلت انا لم اهتم لاني لا أخاف من شيء. انا قوي

كثيرا وافعل خير دائما ومعي ايضا قدم الارنب الحظاظه خاصتي ولم اكسر ابدا مرءاه في حياتي. اسقططو بعض الاطباق مره ولاكن هذا ليس محسوب في جلب الحظ السيء.

ثم قال اططبيب شتراوس يا تشارلي حتى لو فشل هاذا الامر فانت تقدم اهسامات كبيره للعلم. هاذه التجربه نجحت على حيوانات كثيره ولاكن لم نجربها ابدن على انسان. سوف تكون اول واحد.

قلت له شكرا ايها الطبيب ولن تندم على اعطاءي فرصتي الثانيه مثل ما تقول الاوستاذه كينيان. وانا اعني ما قلت لهم. بعد العمليه سوف احاول ان اكون ذكي. سوف احاول بجهد كبير جدن.

تاقرير تطوور السادس - ٨ مار

انا خائف. كثير من الاشخاص الذين يعملون في الكليه والاشخاص في كليت الطب جاءو الي وتمنو لي حظ جيد. احضر برت لي ازهار وقال انها من الاشخاص في قسم علم النفس. وتمنا لي حظ جيد. اتمنــا ان يكــون معــي حـظ. معـي قـدم الارنـب خاصصتي وقرشي الحظاظ وحدوتي. قال الطبيب شتراوس لا تكون خرافيا يا تشارلي. لا اعرف ما هو العلم ولاكن جميعهم يقولونه كثيرا لذالك ربما يكون شيئ يساعد على حضور الحظ الجيد. على كل حال انا ساحتفظ بقدم الارنب في يد وبقرشي الحظاظ في اليد الاخرى بلفتحه الموجوده فيه. اقصد القرش. اتمنا ان اخذ الحدوه معي ايضا ولاكنها ثقيله لذالك سوف اتركها في معطفي.

قام جو كارب من المخبز باحضار كعكت شيكولاطه لي من السيد دونر ومن رفاقي في المخبز ويتمنون لي ان اتحسن قريبا. في المقهى يعتقدون اني مريض لان الأستاذ نيمور قال لي يجب ان اقول لهم ذالك ولا أقول شيء عن عمليه تجعلني ذكي. هذا سر الى بعد العمليه في حالت لم تنجح او حدث شيء خاطيء.

ثم جاءت الاوستاذه كينيان لروءيتي واحضرت لي

بعـض المجـلات لاقرءهـا، وبـدت متوتـره قلـيلا وخائفـه. قـامت بتعـديل الازهـار المـوجوده على طاولتي وجعلت كل شيء مرتب وجميل وليس فضووي مثل ما جعلته. ثم عددلت المخده تحت راسي. انـها معجبـه بـي كثيرا لانني احـاول بجـد لتعلوم كل شيء وليس مثل بعض الاشخاص في مركز البالغين الذين لا يهتمون حقا. انها تريدني ان اصبح ذكي. اعرف هذا.

ثم قال الأستاذ نيمور انهو لا يمكنني استقبال مزيد من الزوار حتا ارتاح. سالت الاوستاذ نيمور هل ساهزم ألغيرنون في السباق بعد العمليه وقال ربما. اذا نجحت العمليه فسوف اظهر لذالك الفار انني اصططيع ان اكون ذكي مثله وحتى اذكى منه. ثم ساكون قادر على القراءه وتجهئت الكلمات جيدن وسوف اعرفو الكثير من الاشياء واكون مثل باقي الناس. ياالهي كم سيفاجيء هذا الجميع. اذا نجحت العمليه واصبحت ذكيا ربما اجد والدي ووالدتي واختي واظهرو لهم. ياالهي كم سيتفاجئون من روءيتي ذكي مثلهم ومثل اختي.

يقول الاوستاذ نيمور اذا نجحت جيدن وكانت دائمه فسوف يجعلون اشخاص اخرين اذكياء ايضا مثلي. ربما اشخاص من حول كل العالم. وقال ان هذا يعني انني افعل امر عظيم للعلم وسوف اكون

مشهور واسمي سوف يكون مكتوب في الكتب. لا اهتم كثيرا ان اكون مشهور. اريد فقط ان اكون ذكي مثل الناس الاخرين حتى يكون لدي اصدقاء كثير يحبوني.

لم يعطوني اي شيء اكله اليوم. لا اعرف ما هي علاقت الاكل بان تصبح ذكي وانا جائع والاوستاذ نيمور اخذ كعكة اشسيكولاطة الخاصه بي. ذلك الأستاذ نيمور نكدي ومتذممر. يقول طبيب شتراوس انني اصطيع استعادتها بعد العمليه. لا يمكنك الاكل قبل عمليه. ولا حتى جبنه.

تقرير تطور٧ - ١١ مارس

العمليه لم تكون موءلمه. قام الطبيب شتراوس بعملها وانا نائم. لا اعرف كيف لاني لم ارى ولاكن يوجد ضماضات على عيوني وراسي لمدت ٣ ايام فلم اصططيع كتابت تقارير تطور حتا اليوم. والممرضه النحيله التي رءتني وانا اكتوب قالت اني كتبت تطور بطريقه خطء وقالت لي كيف اتهجاها وايضن كلمت تقرير ومارس. قدرت على تذكر هاذا. ذاكرتي سيئه جدا في تهجئت الكلمات. على كل حال قامو بئزالت الضماضات من على عيني اليوم حتى اصططيع عمل تقرير تطور الان. لاكن لا يزال هناك بعض الضماضات موجوده على راسي.

كنتو خائف عندما جاءو وقالو حان وقت العمليه. جعلوني اقوم من على السرير واذهب على سرير اخر فيه عجلات ودحجروني من الغرفه عبر صاله الى الباب المكتوب عليه جراحه. وكم كنتو متفاجئ من انها غرفه كبيره وجدرانها خضراء وفيها اطباء كثير يجلسون كلهم في الاعلا حول الغرفه يشاهدون العمليه. لم اعرف انها ستكون مثل عرض.

جاء رجل الى الطاوله مغطى بالابيض وملابس بيضاء على وجهه مثل المسلسلات وقفازات مطاط

وقال استرخي يا تشارلي انا اططبيب شتراوس. قلت مرحبا ايها اططبيب انا خائف. قال لا تخاف من شيء يا تشارلي قال سوف تنام فقط. قلت انا خائف بسبب هاذا. قام بالطبطبه على راسي ثم جاء رجلين اخرين ويرتدون قناعات بيضاء ايضا وربطو يدي ورجلي في اسسرير حتى لا اتحرك وهاذا جعلني خائف جدن وشعرت بضيقه في بطني وكانني سوف استفرغ لاكن لم يحدث هاذا فقط بللت نفسي قليلا وكنت سابكي لاكن وضعو شيء مطاط على وجهي لاتنفس منه ورائحته كانت غريبه. كنت كل الوقت اسمع اططبيب شتراوس يتحدث بصوت عالي عن العمليه ويخبر الجميع عن ماذا سيفعل. ولاكن لم افهم اي شيء من كلامه وكنت افكر ربما بعد العمليه ساكون ذكي وسوف افهم كل الاشياء التي يتكلمو عنها. لذالك تنفست بعمق ويبدو انني كنت متعب لاني نمت.

عندما استيقضت كنت في سريري وكان الجو مظلم جدن. لم اصططيع رؤيت اي شيء لاكن سمعت احد يتحدث. كانت الممرضه وبرت يتحدثون وقلت ما الامر متى سيضيئون الانوار ويجرون العمليه. فضحكو وقالو لقد انتهى كل شيء يا تشارلي. والجو مظلم لان هناك ضماضات على عينك.

انه امر اغريب. لقد قامو بالعمليه عندما كنت نائم.

برت ياتي ليراني كل يوم ويكتب كل الاشياء مثل حرارتي وضغط دمي وكل الأشياء الاخرى عني. يقول ان هذا من اجل الطريقه العلميه. يقومون بتسجيل كل شيء يحدث حتى يفعلوه مجددا عندما يريدون. ليس علي ولاكن على اشخاص اخرين مثلي غير اذكياء.

لهاذا اكتب تاقارير تقارير التطور الخاصه بي. برت يقول انها جزء من التجربه وسوف يصنعون نسخ مصروة من هاذه التاق التقارير لدراستها حتى يعـرفو مـاذا يحـدث فـي عقلي. لا افـهم كـيف سيعرفون ما يحدث في عقلي بننظر الى هاذه التقارير. لقد قرءتها من جيد مرات كثيره لارى الذي كتبتوه ولا اعرف ماذا يحدث في عقلي فكيف سيعرفون هم ماذا يحدث.

لاكن عمومن هاذا هو العلم ويجب ان احاول ان اكون ذكي مثل باقي الناس. وعندما اكون ذكي سوف يتحدثون معي وسوف اصطيع الجلوس معهم واسمع مثل جو كارب وفرانك وجيمبي عندما يتحـدثون ويطناقشـون عـن اشياء مـهمه. وهـم يعلمون يبدءون في الكلام عن اشياء مثل الرب او المشكله في كل الاموال التي ينفقها الرئيس او عن الجمروهيين واديمورقراططين. ويصبحون كلهم متحمسون وكانهم سيتشجارجون فيئتي السيد دونر

ويقول لهم عودو للخبز والا سوف يعطيهم كلهم بصل معللب او لا يعطيهم بصل ابدن. اريد ان اتحدث عن اشياء مثل هاذه.

اذا كنت ذكي تصططيع الحصول على اصدقاء كثير وتتحدث معهم ولا تصبح ابدا وحيد مع نفسك كل الوقت.

يقول الاوستاذ نيمور انه لا مشكله في قول كل الاشياء التي تحدث معي في تقارير التطور لاكن يقول لي يجب ان اكتوب اكثر عن مشاعري وعن ما افكر فيه وعن ما اتذككر حول الماضي. قلت لهو لا اعرف كيف افكر او اتذككر وقال حاول فقط.

طول الوقت الذي كانت فيه الضماضات على عيني كنتو احاول ان افكر واتذكر ولاكن لم يحدث شيء. لا اعرف في ماذا افكر او اتذككر. ربما اذا سئلتهو سوف يخبرني كيف اصططيع ان افكر بما انني الان من المفطرض ان اصبح ذكي. في ماذا يفكر الناس الذكيين او يتذكرون. اراهن انها أشياء فخمه. ياليتني كنت اعرف أشياء فخمه.

مارس ١٢- لا احتاج الى كتابت تقرير التطور في الاعلى كل يوم فقط عندما ابدء قطعه جديده بعد ان يئخذ الاوستاذ نيمور القطع القديمه. احتاج فقط الى كتابت اتاريخ في الاعلى. هذا يوففر الوقت. انه

فكره جيده. اصططيع الجلوس على السرير والننظر مـن النافـذه الـى العشـب والشـجر فـي الخـارج. الممرضه النحيله اسمها هيلدا وهي تعاملني بشكل جيد. انها تحضر لي أشياء لاكلها وترتب سريري وتقول اني كنت رجل شجاع لاني تركتهم يفعلون اشياء في راسي. تقول انها لا يمكن ابدن ان تتركهم يفعلون اشياء في دماغها ولو اعطوها كل اموال العالم. قلتو لها انها لم تكون من اجل الاموال. انها لتجعلني ذكي. قالت ربما لا يحق لهم ان يجعلوني ذكي لانه لو يريد الرب ان اكون ذكي لجعلني مولود بذكاء. وماذا عن ادم وحوا وشجرة المعرفه واكل اتتفاحه واسسقوط. وربما يكون الطبيب شتراوس والاوستاذ نيمور يبعثون بامور لا يحق لهوم العبث بها.

انها نحيفه جدن وعندما تتحدث يصبح وجهها كلهو احمر. تقول من الافضل ان اصللي للرب ليسامحني على الذي فعلوه بي. لم اكل اي تفاح ولم افعل اي ذنوب. وانا الان خائف. ربما لم يكن يجب ان اتركهم يفعلون عمليه على دماغي كما تقول لو انها تخالف الرب. لا اريد ان اجعل الرب غاضب.

مارس ١٣- لقد قامو بتغيير ممرضتي اليوم. هاذه الممرضه جميله. اسمها لوسييل ووضحت لي كيف اتهجئه من اجل تقرير التطور الخاص بي ولديها

شعر اصفر وعيون لونها ازرق. سالتها اين هيلدا وقالت هيلدا لم تعود تعمل في هذا القسم من المشتشفى بعد الان. فقط في جناح المولودين عند الاطفال ولا يهم لو تتحدث كثيرن هناك.

عندما سالتها ماذا يعني مولودين قالت الحصول على اطفال ولاكن لما سئلتها كيف يحصلون عليهم وجهها اصبح احمر مثل هيلدا وقالت يجب ان تذهب للحصول على حرارت شخص ما. لا يتحدث معي احد ابدن عن الاطفال. ربما اذا نجح هاذا الشيء واصبحتو ذكي سوف اعرف.

اليوم جائت الاوستاذه كينيان لتراني وقالت تبدو رائع يا تشارلي. انهو يئتي بطيئ ويجب ان تعمل بجد حتى تصير ذكي.

لم اكون اعرف هذا. اذا كنت سئعمل بجد على ايت حال فلماذا عملت العمليه. قالت انها ليست متاكده ولاكن العمليه كانت من اجل انه عندما اعمل بجد لاكون ذكي يثبت معي ولا يكون مثل قبلها لا يثبت جيدا.

حسنا قلت لها ان هاذا جعلني اشعر بالاستياء قليلا لانني كنت احسب اني ساكون ذكي مباشره وسوف اصططيع العوده لاظهر للشباب في المخبز حجم ذكاءي واتحدث معهم عن اشياء وربما يكون هناك

فرصه حتى لئكون مساعد للخباز. ثم كنت ساحاول العثور على امي وابي. سوف يتفاجئون جدا من اذذكاء الذي وصلتوه لان امي كانت تريدني دائما ان اكون ذكي انا ايضا. ربما لن يرسلوني بعيدا بعد الان اذا رئو كم انا ذكي. قلت للاوستاذه كيننيان سوف ابذول كل جهدي لاحاول ان اكون ذكي. طبطبت على يدي وقالت اعرف انك ستحاول. انا اوءمن بك يا تشارلي.

تقرير تطور ٨

١٥ مارس- خرجت من المشتشفى ولاكن لم اعود الى العمل بعد. لا شيء يحدث. اختبرتو الكثير من الاختبارات وانواع السباق المختلفه مع ألغيرنون. اكره ذلك الفئر. فهو يغلبني دائمن. يقول الاوستاذ نيمور يجب عليا ان اعمل هاذه الاختبارات والعب هاذه الالعاب مرات كثيره جدا.

هاذه التوهانات غبيه. وهاذه الصور غبيه ايضا. احب رسم اصصور للرجل والمرءاه ولاكن لن اقول كذبات عن الناس.

ولا اصططيع حل الالغاز جيدا.

اشعر بالصصداع عندما أحاول اتتفكير واتتذكر بشده. واططبيب شتراوس وعدني ان يساعدني ولاكنهو لا يساعدني. لا يقول لي في ماذا افكر ولا متى ساكون ذكي. فقط يجعلني اصطلقي على كنبه واتكلم.

الانسه كينيان تتي لتراني في الجامعه ايضن. قلت لها لا شيء يحدث. متا سوف اصبح ذكي. قالت يجب ان تكون صبور يا تشارلي هاذه الأمور طصطغرق وقت. سوف تحدث ببطء جدن لدرجت انك لن تشعر بانها تحدث. قالت ان برت قال لها انا

اتقددم جيدا.

ما زلتو اظن ان هذه اسسباقات والاختبارات غبيه واظن ان كتابت تقارير التطور هذه غبيه ايضن.

١٦ مارس- اكلت الغداء مع برت في مطعم الكليه. عندهم كل انواع اططعام الجيد ولا يجب ان ادفع له مقابل ايضن. احب الجلوس ومشاهدت البنات والاولاد فــي الكليـه. انـهم يلـهوون احيـانا ولاكـن معظم الوقت يتكلمون عن امور كثيره مختلفه تمامن مثل الخببازين في مخبز دونرز. يقول برت انهم يتحددثون عن الفن واسسياسه واددين. لا اعرف عن ماذا تكون هاذه الأشياء ولاكنني اعرف ان اددين يعني الرب. كانت امي تخبرني بكل شيء عنه وعن كل الاشياء التي قام بها لعمل العالم. قالت يجب ان احب الرب دائما وان اصللي له. لا اتذككر كيف اصللي له ولاكن اظن ان امي كانت تجعلني اصللي له كثير وانا صغير حتى يجعلني اتحسسن ولا اكون مريض. لا اتذككر كيف كنت مريض. اعتقد ان الامر كان عن انني لست ذكي.

على كل حال يقول برت اذا نجحت انتجربه فسوف اقدر على فهم كل هاذه الاشياء التي يتكلم عنها اططلاب وقلتو هل تظن انني سوف اكون ذكي مثلهم وضحك وقال هاءوولاء الاطفال ليسوو اذكياء وسوف تتفوق عليهم وكئنهم واقفين بلا

حركه.

جعلني اتعررف على الكثير من اطتلاب وبعض منهم نظر لي بطريقه غريبه كئنني لا انتمي الى الكليه. كنت سوف انسى وابدء في اخبارهم بانني سوف اكون ذكي قريبن مثلهم لاكن برت قاطععني وقال لهم انني كنت انظظف معمل القسم انفسي. ولاحقن شرح لي انهو يجب ان لا تحدث ايت دعايه. هاذا يعني انهو سر.

لا افهم حقن لماذا يجب ان اجعلهو سر. يقول برت ان هاذا من اجل لو كان يوجد فشل والاوستاذ نـيمور لا يريـد ان يقـوم الجمـيع بضـضحك وخصوصن الاشخاص من موءسست ويلبيرج الذين اعطو له الاموال للمشروع. قلت لا اهتم لو يضحك النـاس علـي. نـاس كثـير يضحكون علي وهـم اصدقاءي ونمرح مع بعض. وضع برت ذراعه على كتفي وقال نيمور غير قلق عليك انت. انه لا يريد الناس ان يضحكو عليه.

لا اعتقد ان الناس سوف يضحكون على الاوستاذ نيمور لانهو عالم في كليه ولاكن برت قال لا يوجد عـالم عظـيم بالنسـبه لزوملاءه وطوللابـه فـي اددسارات العليا. برت طالب في اددسارات العليا وتخصصه في علم النفس مثل الاسم الذي على الباب الى المعمل. لم اكون اعرف ان عندهم

تخصصات في الكليه. كنت احسب انها موجوده فقط في الجيش.

على كل حال اتمنى ان اصبح ذكي قريبن لانني اريد تعلم كل شيء موجود في العالم مثل التي يعرفها الاولاد في الكليه. كل شيء عن الفن واسسياسه والرب.

١٧ مارس- عندما استيقضت هاذا اصصباح مباشرة اعتقددت اني ساكون ذكيا ولاكني لست كذالك. كل صباح اظن انني ساكون ذكيا ولاكن لا شيء يحدث. ربما لم تنجح اتتجربه. ربما لن اصبح ذكي وسوف يجعلونني اعيش في دار وارين. اكره الاختبارات واكره اتتوهانات واكره ألغيرنون.

لم اكون اعرف ابدن من قبل انني اغبى من فئر. لا اشعر برغبه في كتابت المزيد من تقارير التطور. انا انسى الاشياء وحتى عندما اكتبها في مذككرتي احيانا لا اصططيع قراءت كتابتي وهاذا شيء صعب جدن. والاوستاذه كيننيان تقول لي اكون صبور ولاكنني اشعر بتتعب والمرض. واشعر بصصداع طول الوقت. اريد العوده للعمل في المخبز وعدم كتابت تاقارير تقارير تطور بعد الان.

٢٠ مارس- سوف اعود للعمل في المخبز. قال اططبيب شتراوس للدكتور نيمور انهو من الافضل

لي العوده الى العمل لاكن لا يزال يجب علي عدم اخبار احد عن سبب العمليه ويجب ان احضر للمعمل ساعتان كل يوم بعد العمل لاختباراتي وايضا يجب ان استمر في كتابت هذه التقارير الغبيه. سوف يدفعون لي مال كل اسبوع مثل وظيفه جوزءيه لان هاذا كان ضمن اتتفاقهم مع موءسست ويلبيرج. ما زلت لا اعرف ما ذالك الشيء ويلبيرج. الاوستاذه كاننيان وضحته لي ولاكن لا ازال لـم افهم. اذن بما اني لـم اصبح ذكي فلماذا يدفعون لي لكتابت هذه الاشياء الغبيه. سوف افعلوها اذا كانو سيدفعون لي. لاكن الكتابه شيء صعب جدا.

انا سعيد بالعوده الى العمل لانني افتقد وظيفتي في المخبز وكل اصدقاءي وكل المرح الذي نفعله.

يقول اططبيب شتراوس يجب ان احتفظ بمذككره في جيبي حتى اكتب الاشياء التي اتذكروها. ولا يجب ان اكتب تقارير التطور كل يوم فقط عندما افكر في شيء او عندما يحدث شيء مميز. قلت له انهو لا شيء مميز يحدث لي ولا يبدو ان هاذه اتتجربه المميزه ستحدث لي ايضن. قال لا تكون محبط يا تشارلي لانها تاخذ وقت طويل وتحدث ببطء ولانك لا تصططيع ملاحظتها فورا. وشرح لي كيف استغرق ألغيرنون وقت طويل حتى اصبح

اذكى من قبل بثلاثت مرات.

هذا سبب ان ألغيرنون يفوز علي في سباق المتاهه ذالك لانهو اجرا هاذه العمليه ايضن. انهو فئر مميز لانه اول حيوان يبقى ذكي لفتره طويله بعد العمليه. لم اكون اعرف انه فئر مميز. هاذا يجعل الوضع مختلف. اظن انني اصططيع حل اختبار المتاهه اسرع من فئر عادي. ربما اهزم ألغيرنون يوما ما. يا الهي كم سيكون هاذا عظيما. يقول اططبيب شتراوس انهو يبدو ان ذكاء ألغيرنون ربما يكون دائم ويقول هاذه علامه جيده لاننا الاثنان قمنا بنفس العمليه.

٢١ مارس- حضينا بالكثير من المرح في المخبز اليوم. قال جو كارب انظرو اين حدثت عمليت تشارلي ماذا فعلو هل قامو بوضع دماغ له. كنت سئخبره عن اني سؤصبح ذكي ولاكني تذكرت الاوستاذ نيمور قال لا. وبعدها قال فرانك ريلي ماذا فعلت يا تشارلي قلت قمت بفتح باب بططريقه اصعبه. جعلني هاذا اضحك. انهم اصدقائي ويحبونني جدا.

هناك عمل كثير يجب ان اعووض عنه. لم يكون لديهم أي شخص ينظف المكان لان هاذه كانت وظيفتي ولاكنهم احضرو صبي جديد اسمه ايرني ليقوم بتوصيل اططلبات التي كنت اقوم بها

دائمن. قال السيد دونر انه قرر عدم فصله لفتره حتى يعطيني فرصه لئستريح ولا اعمل بجهد. قلت له انني بخير وانني اصططيع توصيل اططلبات واتتنظيف كما كنت افعل لاكن السيد دونر يقول انه سوف يحتفظ بصصبي.

قلت واذن ماذا سافعل. والسيد دونر رتتب على كتفي وقال تشارلي كم عمرك. قلت له ٣٢ سنه وسوف اكون ٣٣ في يوم الميلاد القادم. ومنذ متا وانت هنا قال. قلت له لم اعلم. قال جئت الى هنا منذ ١٧ عام. عمك هيرمان رحمه الله كان صديقي المقررب. وهو احضرك الى هنا وطلب مني ان اسمح لك بالعمل وان اعتني بك قدر ما اصططيع. وعندما مات بعدها بسنتين وامك قامت بئدخالك في دار وارين جعلتهم يطلقون سراحك في بيئت عمل خارجيه. ١٧ سنه مرت يا تشارلي واريدوك ان تعلم ان العمل في المخبز ليس جيدا جدا ولاكن كما قلتو دئما انت لديك وظيفه هنا لبقيت حياتك. لذالك لا تقلق من احضاري لاحد ما ليئخذ مكانك. لن تضططر ابدن للعوده الى دار وارين.

لست قلق لاكن فقط لماذا يحتاج ايرني ليوصل اططلبات والعمل هنا وانا كنت دائما أوصل اططلبات جيدا. يقول اصصبي يحتاج المال يا تشاربي لذالك سوف ادعه يبقى حتى يتعلم كيف

يكــون خبباز متمـرن. يمكنـك ان تكـون مسـاعده وتساعده في اططلبات عندما يحتاج ذالك.

لم أكون مساعدا قبل ذالك ابدا. ايرني ذكي جدا ولاكن الناس الباقين في المخبز لا يحبونه كثيرن. انهم كلهم اصدقاءي الجيدين ونحضى هنا بنكات وضحكات كثيره.

احيانا يقول احد مهلن انظرو لفرانك او جو او حتى جيمبي. لقد قام حقا بعمل واحده تشارلي جوردن تلك المره. لا اعرف حقا لما يقولونها ولاكنهم دائمن يضحكون وانا ايضن اضحك. هاذا اصصباح جيمبي رئيس الخبازين وعنده قدم سيئه ويعرج واستخدم اسمي عندما صرخ على ايرني لئن ايرني اضاع كعكت عيد ميلاد. قال ايرني بحق الرب هل تحاول ان تكون تشارلي جوردن. لا اعرف لماذا قال ذالك. لم اقوم ابدا باضاعت اي طلبيات.

قلت للسيد دونر هل يممكنني ان اكون خباز متمرن مثل ايرين. قلت له انني سوف اصططيع اتتعلم لو اعطاني فرصه.

نظر السيد دونر الي لفتره طويله بطريقه غريبه واعتقدو ان هاذا بسبب انني لا اتحدث كثيرن معظم الوقت. وفرانك سمعني وضحك وضحك حتى قال له السيد دونر ان يخرس ويذهب ليراقب

فرنه. ثم قال السيد دونر ان هناك الكثير من الوقت لفعــل هــذا يـا تشـارلي. عمـل الخبـاز مـهم جـدا ومعقفد كثيرن وليس عليك ان تقلق بئمور مثل هاذه.

اتمنى ان اقول له ولكل باقي الناس عن عمليتي الحقيقيه. اتمنى ان تنجح حقن حتى اصبح ذكي مثل باقي الاخرين.

٢٤ مارس- جاء الاوستاذ نيمور واططبيب شتراوس الى غرفتي هاذه اليله لرؤيت لماذا لا احضر الى المختبر كما يجب ان افعل. قلتو لهم لا اريد ان اتسابق مع ألغيرنون بعد الان. قال الاوستاذ نيمور ليس عليا ان افعل ذالك لفتره ولاكن يجب ان احضر على ايت حال. انه احضر لي هديه لاكنها لم تكن هديه بل كانت اصطعاره. قال انها ادات تعليم تعمــل مثـل اتلفـاز. وهـي تتحـدث وتصـنع صـور واصططيع ان اشغلها قبل ان انام مباشره. قلتو انت تمزح. لماذا يجب ان اشغغل تلفاز قبل ان انام. ولكن الاوستاذ نيمور قال اذا اردت ان اصبح ذكي فيجب ان افعل ما يقول لي. فقلت له لم اعتقد انني سئصبح ذكي على ايت حال.

ثم جاء اططبيب شتراوس ووضع يده على كتفي وقال انت لا تعرف هذا بعد يا تشارلي لكنك تزداد ذكاء طول الوقت. لن تلاحظه لفتره مثل ما انك لا

تلاحظ كيف لا تتحرك ساعت اليد. هاذه هي طريقت اتغيرات التي تحدث فيك. وهي تحدث ببطء جدن لدرجت انك لا تعرف انها تحدث. لكننا نصططيع ملاحظتـها مـن الاختبـارات ومـن اططريقـه التـي تتصرف وتتحدث ومن تقارير التطور الخاصه بك. قال تشارلي يجب ان تثق فينا وفي نفسك. نحن غير متئكدين هل ستكون دائمه ولكن نحن واثقون بئنك قريبا سوف تكون شاب ذكي.

قلت حسنا وقام الاوستاذ نيمور بشرح كيف يعمل اتلفاز الذي ليس حقا تلفاز. سئلتهو ماذا يفعل. اولا بدا حزين لئني طلبت منه مره اخرى ان يشرح لي وهو قال يجب علي فقط ان افعل ما قاله لي. لكن اططبيب شتراوس قال انه يجب ان يشرح لي لئنني قد بدءت في موسائلت اصصولطه. لا اعرف ماذا يعني هاذا ولكن الاوستاذ نيمور بدا وكئنه سوف يقطع شفته وهو يعضها. ثم شرح لي ببطء جدا ان الجهاز فعل اشياء كثيره لمخي. اشياء فعلها قبل ان انام مباشره مثل تعليمي اشياء وانا نعسان جدا ولفتره قليله بعدها ابدء في النوم ولا ازال اسمع الكلام حتى ان كنت لم اعود ارى اصصور. اشياء اخرى هي انه في الليل من المفروض انه يجب ان يجعلني احلم احلام واتذكر اشياء حدثت منذ زمان بعيد عندما كنت طفل. انه مخيف.

نعم نسيت. سئلت الاوستاذ نيمور متى اصططيع العوده الى صف الانسه كينيان في مركز البالغين المتئخرين عقلين وقال قريبا سوف تئتي الاوستاذة كينيان الى مركز اختبار الكلليه لتعليمي بشكل خاص. انا سعيد لهاذا. لم اراها كثيرا منذ العمليه لكنها لطيفه.

٢٥ مارس- ذالك اتلفاز المجنون جعلني مستيقض طول اليل. كيف انام وهناك شخص يصرخ اشياء مجنونه طول اليل في اذني. وايضن اصصور الغريبه. واو. لا اعرف ماذا تقول وانا متستيقض فكيف سوف اعرف ماذا تقول وانا نائم. سئلت برت عنها وقال انها جيده. يقول ان عقلي يتعلم قبل النوم مباشره وان هاذا سوف يساعدني عندما تبدء الاوستاذه كينيان دروسي في مركز الاختبارات. مركز الاختبارات ليس مستشفى حيوانات كما كنت اعتقد. انهو مختبر للعلم. لا اعرف ما هو العلم لكن اعرف فقط اني اساعده بهاذه التجربه.

على كل حال لا اعرف بشئن ذالك اتلفاز اعتقد انه جنوني. اذا كنت تصططيع ان تصبح اذكى وانت نائم فلماذا يذهب اناس الى المدرسه. لا اظن ان ذالك الشيء سينجح. كنت اشاهد في السابق العرض المتئخر والعرض المتئخر جدا على اتلفاز طول الوقت قبل النوم ولم يجعلني ذالك ذكي.

ربما افلام محدده هي التي تجعلك ذكي. ربما مثل برامج المسابقات.

٢٦مارس- كيف ساتمكن من العمل في النهار اذا استمر ذالك الشيء في ايقاضي في اليل. استيقضت في منتصف الليل ولم اصطيع العوده الى انوم لان ذالك الشيء ضل يقول تذككر.. تذككر.. تذككر.. لذالك اعتقد اني تذكرت شيئ. لا اتذكر ما هو بضضبط ولكن اعتقد انه كان عن الاوستاذه كيننيان والمدرسه التي تعلمت فيها عن القرائه. وكيف ذهبت الى هناك.

منذ وقت طويل جدن قمت مره بسؤال جو كارب كيف تعلم القرائه وهل يمكن ان اتعلم القرائه. وضحك مثل ما يضحك دائمن عندما اقول شيء مضحك ويقول لي تشارلي لما تضيع وقتك لا يصطيعون وضع دماغ هناك اذا لم يوجد هناك اصلا شيء. لكن فاني بيردن سمعتني وسئلت قريبها وهو طالب جامعه في كليت بيكمان واخبرتني عن مركز البالغين للاشخاص المتئخرين عقلين في كليت بيكمان.

كتبت الاسم على ورقه وفرانك ضحك وقال لا تصبح متعلما لدرجت ان تتوقف عن الحديث مع اصدقاءك القديمين. قلت له لا تقلق سوف احتفض باصدقائي القديمين دائمن حتى لو اصطيع

القـــراءه والكتابـه. كـان يضحك وجـو كـارب كـان يضحك لكن جيمبي دخل وقال لهم ان يعودو الى عمل اللفاءف. انهم جميعا اصدقاء جيدين لي.

بعد العمل مشيت اكثر من ستت احياء للمدرسه وكنت خائف. كنت سعيد جدا لانني كنت ساتعلم القراءه حتى انني اشتريت جريده واخذتها معي للمنزل حتى اصططيع قرائتها بعد ما اتعلم.

عندما وصلت الى هناك كانت عباره عن صاله طويله كبيره فيها ناس كثير. خفت كثيرا من ان أقول شيء خاطء لاحدهم لذالك بدات بالعوده الى المنزل. لكن لا اعرف لماذا التفيت وقررت الذهاب الى اداخل مره اخرى.

انتظرت حتى ذهب معظم اناس وبقي فقط بعض الاشخاص يمرون امام ساعت وقت كبيره مثل اسساعه الموجوده في المخبز وسالت السيده هل يمكنني تعلم القراءه والكتابه لانني اريد قراءت كل شيء في الجريده واخرجت لها الجريده لتراها. كانت الاوستاذه كينيان ولكن لم اكون اعرف هاذا وقتها. قالت اذا عدتو مجددا غدا وسجلت فسوف ابدء في تعليمك كيف تقرء. ولكن يجب ان تفهم ان هذا سوف يئخذ وقت طويل ربما سنوات حتى تصططيع القرائه. قلت لها لم اعرف انه يئخذ وقت طويل هاكذا ولكن اريد التعلم على ايت حال لانني

خــدعت كثيرا. اقصـد انـي تضـاهرت للنـاس انـي اصطظيع القرائه ولكن هذا ليس صحيح واريد ان اتعلم.

صــاحفت يـدي وقـالت سـعيده بلقـاءك يـا سـيد جوردن. سوف اكون معلمتك. اسمي هو الاوستاذه كيننيان.

اتتفكير واتتذكر صعب والان لم اعود اصططيع ان انام جيدن. ذالك اتتلفاز صوته مرتفع جدا.

٢٧ مارس- والان بعد ان بدات احلم هذه الاحلام واتذكر يقول الاستاذ نيمور يجب ان احضر جلسات علاج نسفي مع الطبيب شتراوس. يقول ان جلسات العلاج النسفي مثل عندما يكون شعورك سيء وتتحدث لتصبح افضل. قلت له ليس لدي شعور سيء وانا اتحدث كثيرا طول اليوم فلماذا يجب ان اذهب الى علاج نسفي لكنه غضب وقال يجب ان اذهب على ايت حال.

العلاج النسفي هو ان اذهب واصطلقي على كنبه والطبــيب شــتراوس يجلـس علـى كرسـي بجـانبي واتحدث عن أي شيء ياتي في راسي. لفتره طويله لم اقول اي شيء لانني لم اصططيع التفكير في شيء لاقوله. ثم اخبرته عن المخبز والاشياء التي يقومون بها هناك. لكنه شيء سخيف الذهاب الى

مكتبه واصطلقي على الكنبه لاتحدث لانني اكتبه في تقارير التطور ويصططيع قراءتها. لذالك اليوم احضرت تقارير التطور معي وقلت له ربما يقرئها فقط وانا سوف اخذ قيلوله على الكنبه. كنت مرهق جدا لان ذالك اتلفاز جعلني مستيقظ طول اليل لكنه قال لا هاذه ليست طريقه صحيحه. يجب ان اتحدث. لذالك تحدثت ثم نمت فجاه على الكنبه على ايت حال- في منتصف الحديث.

٢٨ مارس- عندي صداع. ليس من اتلفاز هاذه المره فالطبيب شتراوس علمني كيف اجعله منخفض والان اصططيع النوم. لا اسمع اي شيء. وحتى الان لا افهم ماذا يقول. احيانا اشغله مره اخرى في اصباح لئكتشف ماذا تعلمت قبل ان انام واثناء نومي ولا اعرف حتى الكلمات. ربما انها لغه أخرى او شيء ما. لكن معظم الوقت تبدو امريكيه. لكنه يتحدث بسرعه.

سئلت الطبيب شتراوس ما فائدت ان اكون ذكي اثنـاء انـوم اذا كنـت اريـد ان أكـون ذكـي وانـا مستيقض. ويقول انه نفس الشيء وانا عندي عقلين. يوجد عقل واعي وعقل لا واعي (هاذه طريقت كتابتها) ولا احد يخبر الاخر بماذا يفعل. انهم لا يتحدثون حتى مع بعض. ولهذا احلم. ويا الهي لقد كنت احلم اشياء مجنونه. واو. منذ ذلك العرض

المتئخر جدا جدا جدا على اتلفاز في اليل.

نسيت ان اسئل الطبيب شتراوس لو كان هذا لدي فقط ام ان كل شخص عنده عقلين.

(لقد بحثت عن الكلمه في القاموص الذي أعطاه لي الطبيب شتراوس. عقل لا واعي: صفة. عن طبيعة العمليات العقلية التي لا تكون حاضرة في الوعي. مثل: صراعات الرغبة في العقل اللاواعي.) يوجد المزيد ولكن حتى الان لا اعرف ماذا تعني. هذا ليس قاموص جيد للناس الاغبياء مثلي.

على كل حال الصداع من الحفله. جو كارب وفرانك ريلي قامو بدعوتي لئذهب معهم بعد العمل الى حانت هالورانز لبعض المشروبات. لا احب ان اشرب ويسكي ولكنهم قالو سيكون الامر ممتع. حضيت بوقت جيد. لعبنا العاب ورقصت على طاولت الحانه وضوء مصباح على راسي والجميع يضحكون.

ثم قال جو كارب يجب ان اظهر للفتيات كيف امسح الحمام في المخبز واعطاني ممسحه. واظهرت لهم كيف وكلهم ضحكو عندما قلت لهم ان السيد دونرز قال اني افضل عامل نظافه وتوصيل عمل لديه لاني احب عملي واقوم به جيدا ولا اتئخر ابدن او غيب ما عدا يوم عمليتي.

قلت ان الاوستاذ كينيان تقول لي دائما يا تشارلي افتخر بعملك لانك تقوم بعملك جيدا.

كل الناس ضحكو وفرانك قال لابد ان الاوستاذه كينيان مختله اذا اختارت تشارلي وجو قال يا تشارلي هل تتغازل معها وقلت لا اعرف ماذا يعني هاذا. اعطوني الكثير من الشراب وجو قال تشارلي تحفـه وهـو مخمـور. اعتقـد ان هـذا يعنـي انني اعجبهم. لدينا أوقات جيده معا ولكن كم أتمنى ان اصبح ذكي مثل اصدقائي المفضلين جو كارب وفرانك ريلي.

لا اتذكر كيف انتهت الحفله ولكنهم طلبو مني ان اخرج وارى هل تمطر ولكن عندما عدت لم اجد احد هناك. ربما خرجو ليبحثو عني. بحثت عنهم كثيرا في كل مكان حتى تاخر الوقت. لكنني ضعت وشعرت بشعور سيء من نفسي لانني ضعت لانني اراهن ان ألغيرنون قادر على الذهاب والعوده في هاذه الشوارع مئت مره ولا يضيع كما ضعت.

ثم لا اتذكر جيدا ولكن السيده فلين تقول ان شرطي لطيف اعادني الى المنزل.

في نفس اليله حلمت بامي وابي لكن لم اصططيع رؤيت وجهها كان كله ابيض وكانت مشوشه. كنت ابكي لاننا كنا في متجر كبير وكنت ضائع ولم

اصططيع العثور عليهم وركضت بين كل الصفوف وعند كل اططاولات الكبيره في المتجر. ثم جاء رجل واخذني الى غرفه كبيره فيها مقاعد واعطاني مصاصه وقال لي فتى كبير مثلي يجب ان لا يبكي لان امي وابي سوف يئتون للعثور علي.

على كل حال هذا هو الحلم وعندي صداع وانتفاخ كبير على راسي وعلامات سودا وزرقا في كل مكان. جو كراب يقول ربما قبضو علي او ربما قام بها الشرطي. لا اعتقد ان الشرطة تقوم باشياء هاكذا. لكن على كل حال لا اظن اني ساشرب ويسكي مجددا.

٢٩ مارس- هزمت ألغيرنون. لم اعرف حتى اني هزمته حتى اخبرني برت سيلدن. ثم خسرت المره الثانيه لانني أصبحت متحمس جدا. لكن بعد ذلك هزمته ٨ مرات. لا بد انني ازداد ذكاء حتى اهزم فار ذكي مثل ألغيرنون. لاكن لا اشعر انني اذكى.

اردت القيام بمزيد من السباقات لكن برت قال هذا يكفي ليوم واحد. جعلني احمل ألغيرنون لدقيقه. ألغيرنون فئر لطيف. ناعم مثل قطن. انهو يرمش وعندما يفتح عينه فهي سوداء ووردية عند الحافات.

سالت هل يمكنني اطعامه لاني شعرت بسوء لاني هزمته واردت ان اكون لطيف واعمل صداقات. برت

قال لا ألغيرنون فار مميز جدا عمل عمليه مثل عمليتي. كان اول فار من بين كل الفئران يبقى ذكي لمده طويله وقال ان ألغيرنون ذكي جدا لدرجت انه يجب عليه حل مشكله بقفل يتغير كل مره يدخل فيها ليحصل على الطعام لذا عليه تعلم شيء جديد كل مره ليحصل على طعامه. جعلني هذا حزينا لانهو اذا لم يصططع التعلم فلن يكون قادر على الاكل وسيكون جائع.

لا اعتقد انه من الصواب ان تحل اختبار كي تاكل. كيف سيشعر برت لو كان عليه حل اختبار في كل مره يريد فيها ان ياكل. اعتقد انني ساصبح صديق لالغيرنون.

وهذا يذكرني. يقول الطبيب شتراوس أنه يجب علي كتابة كل أحلامي والأمور التي أفكر فيها حتى أقولها عندما أذهب إلى مكتبه. قلت له لا ـعرف كيف أفكر بعد لكنه قال أنه يقصد المزيد من الامور كالأشياء التي كتبتها عن أمي وأبي مثل عندما بدأت المدرسة مع الأستاذه كيننيان او أي شيء حدث قبل العملية هو تفكير وأن أكتبها في تقرير التطور خاصتي.

لم أكن أعلم أنني أفكر وأتذكر. ربما يعني هذا أن شيئا يحدث لي. لا أشعر باختلاف ولكنني متحمس جدا لدرجة أنني لا أصطيع النوم.

أعطاني الطبيب شتراوس بعض الحبوب الوردية حتى أنام جيدا. يقول أنه يجب أن أنام كثيرا لأن هاذه الفترة التي تحدث فيها معظم التغييرات في عقلي. لابد أن هذا صحيح لأن عمي هيرمان كان ينام في منزلنا طول الوقت عندما لم يكن يعمل على الكنبة القديمة في الرودهه. كان سمينا وكان يصعب عليه الحصول على عمل لأنه كان يقوم بطلاء بيوت الناس وأصبح بطيئا جدا في صعود السلم ونزوله.

عندما قلت لأمي مره انني اريد ان أكون دهانا مثل عمي هيرمان قالت اختي نورما نعم تشارلي سيكون فنان العائلة. ووالدي ضرب وجهها وقال لها ان لا تكون شريرة هكذا مع اخوها. لا اعرف ماذا يعني فنان ولكن بما ان نورما قد انضربت بسبب قولها فاعتقد انه ليس شيء لطيف. كنت اشعر دائما بالسوء عندما تنضرب نورما بسبب انها شريرة معي. عندما اصبح ذكي سوف أذهب لزيارتها.

٣٠ مارس- اليلة بعد العمل جاءت الاستاذه كينيان لغرفة التدريس القريبة من المعمل. كانت تبدو سعيدة لرؤيتي ولكنها كانت متوترة. تبدو أصغر عن ما اتذكرها. قلت لها أنني كنت أحاول بجد كي أصبح ذكيا. قالت انا اثق بك يا تشارلي بالطريقة التي كنت تحاول بها بجد أن تقرأ وتكتب أفضل من كل

الاخرين. أعلم أنك تصططيع فعلها. في اسوء الحالات سوف تحضى بكل شيء لفترة قصيرة وأنت تفعل شيئا من أجل الاخرين المتئخرين عقليا.

بدءنا بقراءة كتاب صعب جدا. لم أقرأ من قبل كتابا صعبا هكذا. اسمه روبنسون كروزو عن رجل يضيع وصبح معذولا في جزيرة صحراء. انه ذكي ويتمكن من عمل أشياء كثيرة حتى يحصل على منزل وطعام وهو سباح ماهر. فقط اشعر بالأسف عليه لأنه وحيد وليس عنده أصدقاء. لكن أعتقد أنه لابد من وجود شــخص اخـر علـى الجزيـرة لأن هنـاك صـورة لـه بمظلته الغريبة وينظر إلى اثار أقدام. أتمنى أن يحصل على صديق ولا يبقى وحيدا هكذا.

٣١ مارس- تقوم الاستاذه كيننيان بتعليمي كيف أكتب بطريقة أفضل. تقول لي انظر إلى كلمة ثم أغلق عينك وكررها كثيرا حتى تتذكرها. اعاني كثيرا مـع هـذا وانـت تنطقـها هـاذا وكلمـة أسـتطيع وضـمادات فـأنت يجـب ان لا تقـول اصـطيع وضماضات. يجب أن تقول أستطيع وضمادات. كنت اكتب هاكذا قبل أن أبدأ في أن أكون أكثر ذكاء. أشعر بلخبطة ولكن الأستاذة كيننيان تقول لا تقلق فالهجاء لا يفترض أن يكون منطقيا.

تقرير تطور ٩

١ أبريل- جاء الجميع لرؤيتي اليوم في المخبز حيث بدأت عملي الجديد بالقرب من خلاط العجين. حدث الأمر هكذا. قام أوليفر الذي يعمل على الخلاط بالاستقالة أمس. كنت أساعده من قبل أحضر أكياس الدقيق له ليضعها في الخلاط. على كل حال لـم اكـن أعلـم أنـي أصـطيع أستطيع تشغيل الخلاط. إنه صعب جدا وأوليفر قد ذهب إلى مدرسة الخبازين لعام كامل قبل أن يستطيع معرفة كيف يكون خباز مساعد.

لكن جو كارب صديقي وقال لي تشارلي لم لا تأخذ وضيفة وظيفة أوليفر. كل شخص في المخبز جاء حولي وكانو يضحكون وفرانك ريلي قال نعم يا تشارلي فأنت كنت هنا لوقت كافي. هيا. جيمبي ليس هنا ولن يعرف أنك جربتها. كنت خائفا لأن جيمبي هو الخباز الرئيسي وقال لي أن لا أذهب أبدا ناحية الخلاط لأنني سوف أتأذى. جميعهم قالو هيا افعلها ما عدا فاني بيرني التي قالت توقفو لم لا تدعون الرجل المسكين وشأنه.

فرانك ريلي قال اخرسي يا فاني إنه يوم خدعت أبريل وإذا عمل تشارلي على الخلاط فربما يصلحه جيدا حتى نحصل كلنا على باقي اليوم إجازة. قلت

لا أستطيع إصلاح الخلاط ولكن أستطيع تشغيله لأنني كنت أشاهد أوليفر منذ عدت.

شغلت خلاط العجين وكان الجميع موتفاجئ خاصة فرانك ريلي. أصبحت فاني بيردن متحمسة وقالت بسبب ان اوليفر اصطغرق سنتين ليتعلم كيف يخلـط العجـين جيـدا وذهـب قبلـها إلـى مدرسـة الخبازين. وبيرني بيت الذي يساعد في عمل الآلة قال أنني فعلتها أسرع وأفضل من اوليفر. لم يضحك أحد. عندما عاد جيمبي وأخبرته فاني غضب كثيرا مني بسبب عملي على الخلاط.

لكنها قالت شاهده وانظر بنفسك كيف يفعلها. كانو يعبثون معه من أجل خدعت أبريل لكنه عبث معهم بدلا من ذلك. وقف جيمبي يراقبني وكنت أعلم أنه غاضب مني لأنه لا يحب عندما لا يفعل الناس ما يطلبه منهم مثل الأستاذ نيمور. لكنه شاهدني وأنا أشغل الخلاط وحك رأسه وقال لا أصدق ما أراه. ثم نادى السيد دونر وطلب مني تشغيل الخلاط مرة أخرى حتى يراني السيد دونر.

كنت خائفا جدا من أن يغضب مني ويصرخ علي لذا عندما انتهيت قلت هل أستطيع العودة إلى وظيفتي الان. علـي كنـس مقـدمة المخـبز خلـف طاولـة المحاسبة. نظر السيد دونر إلي بطريقة غريبة لفترة طويلة. ثم قال لابد أن هذه كذبة أبريل تخدعوني

بها. ما الخدعة هنا؟

قال جيمبي هذا ما ظننته كنت اعتقد انها مزحة. بدأ يعرج ويحوم حول الآلة من كل اتجاه وقال للسيد دونر لا أفهم الأمر أيضا لكن تشارلي يعرف كيف يتعامل معها وعلي الاعتراف أنه يقوم بعمل أفضل من أوليفر.

كان الجميع مجتمعين حولي ويتحدثون عن الأمر وشعرت بالخوف لأنهم كانو ينظرون نحوي بطريقة غريبه وكانو متحمسين. وفرانك قال لقد أخبرتك أن هناك شيء غريب في تشارلي مؤخرا. وجو كارب يقول نعم أعلم ما تقصد. قام السيد دونر بإعادة الجميع إلى أعمالهم وأخذني معه إلى مقدمة المتجر.

قال لا أعرف كيف فعلتها يا تشارلي ولكن يبدو أنك تعلمت شيئا أخيرا. أريدك أن تكون حذرا وأن تفعل أفضل ما لديك. لقد حصلت على وظيفة جديدة معها علاوه ٥ دولارات.

قلت لا أريد وظيفة جديدة لأنني أحب التنظيف والكنس والتوصيل وفعل الأمور لأصدقائي لكن السيد دونر قال لا تهتم لأصدقائك فأنا أحتاجك في هاذه الوظيفة. لا أحترم كثيرا الرجل الذي لا يرغب في التقدم.

قلت ماذا تعني التقدم. حك رأسه ونظر إلي من فوق نظارته. لا تهتم لذالك يا تشارلي. من الآن فصاعدا ستعمل على الخلاط. هذا تقدم.

لذا الان بدلا من توصيل الطلبات وتنظيف الحمام ورمي القمامة. أنا عامل الخلاط الجديد. هذا تقدم. سئلت فاني وقالت لا تهتم لهاؤلاء الحمقى. هذا يوم خدعة أبريل والنكتة انقلبت عليهم وأصبحو هم الحمقى بدلا منك.

طلبت من جو أن يخبرني ما هي النكتة التي انقلبت عليهم وقال لي اذهب واقفز في البحيرة. أعتقد انهم غاضبين مني لأنني شغلت الآلة ولم يحصلو على اليوم إجازة كما كانو يعتقدون. هل هاذا يعني أنني أزداد ذكاء.

٣ أبريل- انهيت روبنسون كروزو. أردت أن اعرف المزيد عن ما حدث له لكن الاستاذه كينيان تقول أن هذا كل شيء. لماذا.

٤ أبريل- تقول الاستاذه كينينان أنني أتعلم بسرعة. قرأت بعض تقارير التطور التي كتبتها ونظرت إلي بطريقة غريبة قليلا. تقول أنني شخص جيد وسيرون جميعا. سألتها لماذا. قالت لا تهتم لكن يجب ان لا أشعر بسوء إذا وجدت أن الجميع ليسو لطفاء كما أعتقد. قالت بالنسبة لشخص أعطاه الرب القليل

فقد فعلت أكثر من ما فعل الكثير من الناس الذين لديهم عقول لا يستخدمونها حتى. قلت أن كل أصدقائي أذكياء وجيدون. إنهم يحبوني ولم يفعلو أبدا أي شي غير لطيف لي. ثم دخل شيء في عينها وكان عليها الخروج بسرعة والذهاب إلى غرفة السيدات.

بينما كنت أجلس في غرفة التدريس في انتظارها كنت أتسائل كيف أن الاستاذه كينيان سيدة لطيفة مثل ما كانت أمي. أتذكر أن أمي قالت لي أن أكون شخصا جيدا ولطيفا مع الناس دائما. قالت لكن كن حذرا دائما لأن بعض الناس لا يفهمون وربما يظنون أنك تحاول عمل مشاكل.

هذا يجعلني أتذكر عندما كان يجب على أمي أن تذهب بعيدا ووضعوني في منزل السيدة ليرويس التي كانت تعيش في المنزل المجاور. أمي ذهبت إلى المستشفى. قال أبي أنها لم تكن مريضة أو أي شيء لكنها ذهبت إلى المستشفى لتحضر لي شقيقا أو شقيقة صغيرة. (لا زلت لا أعرف كيف يفعلون ذالك). قلت لهم أني أريد أخ صغير حتى ألعب معه ولا أعرف لماذا أحضرو لي أخت لاكنها كانت لطيفة مثل دمية. لكنها كانت تبكي كل الوقت.

لم اوءذيها أبدا أو أي شيء.

وضعوها في سرير في غرفتهم ومرة سمعت أبي يقول لا تقلقي تشارلي لن يوءذيها.

كانت تبدو مثل حزمة كلها وردية وتصرخ أحيانا لدرجة لا أعرف أن أنام. وعندما ذهبت للنوم جعلتني أستيقظ في منتصف اليل. مرة عندما كنت في السرير وأمي في المطبخ كانت تبكي. نهضت لأحملها وأجعلها تهدأ مثل ما تفعل أمي. لكن أمي جائت وهي تصرخ وأخذتها مني. وضربتني على وجهي بقوة لدرجة أنني سقطت على السرير.

ثم بدأت صرخ. إياك أبدا أن تلمسها مرة أخرى. سوف توءذيها. إنها رضيعة. لا شأن لك بلمسها. لم أعلم ذلك حينها ولكن أعتقد أني أعرف الان أنها كانت تعتقد أنني سوف اوءذي الطفلة لأنني كنت غبيا جدا لأعرف ما أفعل. يجعلني هذا الان أشعر بالسوء لأنني لم أكن أبدا لأوءذي الطفلة.

يجب أن أخبر الطبيب شتراوس بذلك عندما أذهب إلى مكتبه.

٦ أبريل- اليوم، تعلمت، الفاصلة، هذه، فاصلة (،) نقطة، بتاج، الاستاذه كينيان، تقول أنها، مهمة، لأنــها، تجعــل الكتابــة، أفضــل، قــالت، يمكـن، لشخص، أن يخسر، الكثير، من المال، إذا لم تكن، الفاصلة، في المكان، الصحيح، لدي، بعض المال،

الـذي، جمعتـه، مـن عملـي، والـذي، تـدفعه لـي، المؤسسة، لكن ليس، كثيرا و، لا أفهم، كيف، تحافظ، عليه، فاصلة، من الخسارة،

لكنها تقول، أن كل الناس، تستخدم الفواصل، لذلك سوف، استخدمها، أيضا،،،،

٧ أبريل- استخدمت الفاصلة بشكل خاطئ. إنها علامات الترقيم. أخبرتني الاستاذه كيننيان أن أبحث عن الكلمات الطويلة في القاموس لأتعلم كيف أكتبها. قلت ما الفرق إذا كنت تستطيع القراءة على أية حال. قالت انه جزء من تعليمك لذا من الآن فصاعدا سوف أبحث عن كل الكلمات التي لست متأكد من كتابتها. يجعلني هذا أستغرق وقتا طويلا في الكتابة لكن أعتقد أنني أتذكر أكثر وأكثر.

على كل حال هاذا كيف كتبت كلمة علامات الترقيم صحيحة. إنها مكتوبة هاكذا في القاموس. تقول الاستاذه كيننيان أن النقطة من علامات الترقيم أيضا، وتوجد علامات كثيرة أخرى لأتعلمها. قلت لها أنني كنت أظن أنها كانت تقصد أن كل النقاط يجب أن تكون لها تاج واسمها فواصل. لكنها قالت لا.

قالت؛ يجب، عليك. أن-تخلطهم ؟مع!بعض: أرتني؟ كيف» أقوم، بخلطهم ! مع؛ بعض، والأن! أستطيع. خلط (كل؟ أنواع علامات الترقيم- في، كتابتي!

توجد» الكثير، من القواعد؛ عليٍ تعلمها؟ لكن. أحاولً حفظها في رأسي:

هنالك؟ أمر، يعجبني: في، جملة: العزيزة أستاذة كينيان: (وهي، الطريقة؟ التي، تبدو عليها؛ في رسالة، عمل (إن حدث، ودخلت! عالم-الأعمال؟) وهو، لأنها: تعطيني: دائماٍ سبب» عندما- أسأل. إنَها عبقريةٍ! أتمنى؟ أن أصّبح ذكيا-مثلها؛

علامات الترقيم، ممتعة؟ جدا!

٨ أبريل- يا لي من مغفّل! لم أكن قد فهمت حتى ما كانت تتحدّث عنه. قرأت كتاب القواعد الليلة الماضية وقد وضّح لي الأمر كلّه. ثم أدركت أنه كان بنفس الطريقة التي كانت الأستاذة كينيان تحاول قولها لي، ولكن لم أفهمها. استيقظت في منتصف الليل وكان الأمر كلّه قد استقام في عقلي.

قالت الأستاذة كينيان أن التلفاز الذي يعمل قبل ذهابي إلى النوم مباشرة وأثناء الليل قد ساعدني. قالت إنني بلغت هضبة. هذا مثل القمّة المُسطّحة لتل.

بعد أن فهمت كيفية استخدام علامات الترقيم، قرأت كل تقارير التطور القديمة التي كتبتها منذ البداية. يا إلهي، كم كان الهجاء وعلامات الترقيم جنونيا! أخبرت الأستاذة كينيان أنه يتعين عليّ

مراجعة الصفحات وإصلاح كلّ الأخطاء، لكنها قالت: «كلا يا تشارلي، الأستاذ نيمور يريدها كما هي. لهذا يدعك تحتفظ بها بعد تصوير نسخة منها؛ كي ترى تطوّرك بنفسك. أنت تتقدّم بسرعة يا تشارلي».

جعلني هذا أشعر بشعور جيّد. بعد الدرس، ذهبت إلى الأسفل ولعبت مع ألغيرنون. لم نعد نتسابق معًا.

١٠ أبريل- أشعر بالتعب. ليس مثل الحاجة إلى طبيب، ولكن أشعر بفراغ في صدري، كشعور التعرض للكلمة ووجود حرقة في القلب في نفس الوقت.

لم أكن أنوي الكتابة عن الموضوع، لكن أعتقد أنه يجب عليّ ذلك، لأنه مهم. اليوم هو أول يوم في حياتي أغيب فيه عن العمل متعمّدا وأبقى في المنزل.

في الليلة الماضية دعاني جو كارب وفرانك ريلي لحضور حفلة. كان هنالك الكثير من الفتيات وجيمبي كان موجودا وإيرني كذلك. تذكرت كيف أصبحت مريضا في آخر مرة شربت فيها كثيرا، لذا قلت لجو إنّني لا أريد أن أشرب أي شيء. أعطاني زجاجة كولا سادة. طعمها كان غريبا لكنني ظننت

أنه مجرد طعم سيئ موجود في فمي.

حظينا بكثير من المرح لفترة.

«ارقص مع إلين» قال جو. «سوف تعلّمك الخطوات». ثم غمز لها وكأن هناك شيئا في عينه.

قالت: «لم لا تدعه وشأنه؟»

صفعني على ظهري. «هذا تشارلي جوردن، صديقي، رفيقي. إنه شاب غير عادي، لقد ترقى للعمل على آلة خلط العجين. كل ما طلبته منك هو أن ترقصي معه وتمنحيه وقتا جيدا. ما العيب في ذلك؟»

دفعني بقوة حتى صرت قريبا منها جدا. لذا رقَصَت معي. سقطت ثلاث مرات ولم أعرف لماذا لأنه لم يكن هنالك أحد آخر يرقص غيري وإلين. وطوال الوقت كنت أتعثّر لأن قدم أحدهم كانت تخرج دائما.

كانوا مجتمعين حولي كدائرة يشاهدون ويضحكون على الطريقة التي كنا نؤدي بها الخطوات. لقد ضحكوا بقوة أكبر على كل مرة أسقط فيها، وضحكت أنا أيضا لأنه كان أمرا مضحكا جدا. لكن لم أضحك في آخر مرة حدث فيها. نهضت فدفعني جو مجددا.

ثم رأيت النظرة على وجه جو ومنحني هذا شعورا غريبا في معدتي.

«إنه بهلول» قالت إحدى الفتيات. وكان الجميع يضحكون.

«لقد كنت محقا يا فرانك» قالت إيلين وهي تختنق. «إنه رجل لعرض جانبي ترفيهي». ثم قالت: «تفضل يا تشارلي، إليك فاكهة». أعطتني تفاحة، لكن عندما قضمتها، كانت مزيفة.

ثم بدأ فرانك بالضحك وقال: «قلت لك أنه سيأكلها. هل يمكنك تخيّل وجود شخص غبي بما يكفي ليأكل فاكهة بلاستيكية؟»

قال جو: «لم أضحك كثيرا هكذا منذ أرسلناه إلى الخارج ليرى إن كانت تمطر في تلك الليلة التي تخلصنا منه فيها في حانة هالوران».

ثم رأيت صورة تذكرتها في عقلي عندما كنت طفلا وكان الأطفال في الحي يجعلونني ألعب معهم الغميضة وكنت الشخص الذي يعدّ. وبعد أن قمت بالعد إلى عشرة مرارا وتكرارا على أصابعي ذهبت لأبحث عن الآخرين. ظللت أبحث حتى أصبح الجو باردا ومظلما وكان يجب عليّ العودة إلى المنزل.

لكن لم أجدهم أبدا ولم أعرف السبب أبدا.

ما قاله فرانك ذكّرني. كان ذلك نفس الشيء الذي حدث في هالوران. وكان ذلك ما يفعله جو والبقية. يضحكون عليّ. وكان الأطفال الذين يلعبون الغميضة يخدعونني ويضحكون عليّ أيضا.

كان الأشخاص في الحفلة عبارة عن مجموعة من الوجوه المشوّشة التي تنظر جميعها نحوي إلى الأسفل وتضحك عليّ.

«انظروا إليه. وجهه أحمر».

«إنه يحمرّ خجلا. تشارلي يحمرّ خجلا».

« يا إلين، ماذا فعلتي لتشارلي؟ لم يسبق لي رؤيته يتصرف بهذا الشكل».

«يا إلهي، من المؤكد أن إيلين قد أثرت عليه».

لم أدري ماذا أفعل ولا إلى أين أتوجّه. لقد حكت جسدها بجسدي وجعلني هذا أشعر بشيء غريب. كان الجميع يضحكون عليّ، وفجأة شعرت بأنني عارٍ، وأردت أن أخبّئ نفسي كي لا يروني. ركضت إلى خارج الشقة. كانت شقة كبيرة وفيها الكثير من الممرات ولم أتمكن من العثور على طريقٍ يؤدي إلى الدرج. كنت قد نسيت أمر المصعد تماما. ثم بعد ذلك، وجدت السلالم وركضت نحو الشارع ومشيت لفترة طويلة قبل أن أعود إلى غرفتي. لم

أكن أعرف قط أن جو وفرانك والآخرين كانوا يرغبون بوجودي معهم فقط ليسخروا مني.

الآن أعرف مقصدهم عندما يقولون «عَمَل واحدة تشارلي جوردن.»

أشعر بالخزي.

وأمر آخر. حلمت بتلك الفتاة إيلين وهي ترقص وتفرك جسمها بجسمي وعندما استيقظت كان الفراش مُبلّلًا وفوضويا.

١٣ أبريل- ما زلت لم أعد للعمل في المخبز. أخبرت السيدة فلين، مالكة المبنى، أن تتصل بالسيد دونر وتخبره أنني مريض. مؤخرا، تنظر إليّ السيدة فلين وكأنّها خائفة مني.

أظن أنه أمر جيد أنني اكتشفت كيف أن الجميع يضحكون علي. لقد فكرت في الأمر كثيرا. أعتقد أنه بسبب غبائي وبسبب أنّني أكون غير مدركٍ للأشياء الغبية التي أفعلها. يعتقد الناس أن عدم قدرة شخصٍ غبي على فعل الأشياء بالطريقة التي يفعلونها أمرٌ مضحك.

على كل حال، أعرف الآن أنني أزداد ذكاء يوما بعد يوم. أعرف علامات الترقيم، وأستطيع تهجئة الكلمات بشكل صحيح. أحب البحث عن كل

الكلمات الصعبة في القاموس وأتذكّرها. وأحاول كتابة تقارير التطور هذه بعناية شديدة ولكن هذا أمر صعب للغاية. أصبحت أقرأ كثيرا الآن، وتقول الأستاذة كينيان إنني أقرأ بسرعة كبيرة. بل إنني أفهم الكثير من الأمور التي أقرأ عنها، وتبقى موجودة في عقلي. وهناك أوقات حيث أغلق عينيّ وأفكر في صفحة فتعود إلى ذهني كلها كصورة.

لكن هنالك أمور أخرى تعود إلى ذهني أيضا. في بعض الأحيان، أغلق عيني وأرى صورة واضحة. كما في هاذا الصباح بعدما استيقظت مباشرة، كنت مستلقي في فراشي بعينين مفتوحتين. كان الأمر وكـأن فجـوة كبـيرة انفتحـت فـي جـدران عقلي وأستطيع المرور من خلالها ببساطة. أعتقد أنها تعود إلى فترة بعيدة... منذ وقت طويل للغاية عندما بدأت العمل في مخبز دورنز للمرة الأولى. أرى الشارع حيث يقع المخبز؛ ضبابيًا في البداية ثم يترقّع ببعض الأشياء الواقعية جدا لدرجة أنها مـوجودة الآن أمـامي هنـا، وأشياء أخرى تبقى مشوشة، ولست متأكدا...

رجل مُسنّ بعربة أطفال قد حُوِّلت إلى عربة دفع بموقد فحم، ورائحة الكستناء المحمّصة، وثلجٌ على الأرض. شابٌّ نحيل، بعينين واسعتين ونظرةٍ خائفة على وجهه، ينظر نحو لوحة المتجر. ما المكتوب

عليها؟ أعرف الآن أن اللوحة مكتوب عليها مخبز دورنز، لكن بالنظر للوراء في ذاكرتي، وإلى اللوحة، لا أستطيع قراءة الكلمات عبر عينيه. لا شيء من اللوحات منطقيّ. أعتقد أن ذلك الشاب، ذا النظرة الخائفة على وجهه، هو أنا.

أضــواءُ نـيون سـاطعة. أشـجارُ كريسـماس وباعـةٌ متجـوّلون علـى الأرصـفة. أشـخاص مُنـدسّون فـي معــاطف، بيـاقاتٍ مرفوعـة وأوشِحـة تلتـفّ حـول أعنقاهم. لكنه لا يملك قفازات. يداه باردتان ويضع على الأرض حزمة ثقيلة من الحقائب المصنوعة من الورق البني. إنه يتوقف ليرى الألعاب الميكانيكية الصغيرة التي يُشغّلها البائع: الدّب المتشقلب، والكلب القافز، والفقمة التي تُدير كرة على أنفها. يتشقلب، يقفز، يتدور. لو كانت كل هذه الألعاب ملكا له لأصبح أسعد شخصٍ على وجه الأرض.

يريد أن يسأل البائع ذا الوجه الأحمر، وأصابعه الملتصقة بالقفّازات القُطنية بنّية اللون، إن كان يستطيع إمساك الدب المُتشقلب للحظات، لكنّه خائف. يعود ليحمل حزمة الحقائب الورقية ويضعها على كتفيه. صحيح أنه نحيل، ولكنه قوي بسبب سنوات كثيرة من العمل الشاق.

«تشاري تشاري... مخ كبير فاضي»

اجتمع الأطفال حوله يضحكون ويغيظونه ككلابٍ صغيرة تحاول عض أقدامه. يبتسم تشارلي لهم. يود لو ينزل حزمته ويلعب معهم، لكن عندما يفكّر في الأمر يشعر بوخز الجلد الذي على ظهره كما أنه يشعر بالطريقة التي يرمي بها الأولاد الكبار الأشياء عليه.

وفي طريق عودته إلى المخبز، يرى بعض الأولاد الواقفين عند باب ممرٍّ مُظلم.

«انظروا، ها هو تشارلي!»

«أنت، تشارلي. ماذا لديك هناك؟ هل تريد لعب النرد؟»

«تعالا هنا. لن نؤذيك»

لكن هنالك شيء بخصوص الممر؛ الردهة المظلمة، والضحكات، شيء يجعله يشعر بوخز في جلده مجددا. يحاول معرفة ما هو، لكن كل ما يستطيع تذكره هو أوساخهم وتبولهم على كل ملابسه، والعم هيرمان وهو يصرخ عندما عاد إلى المنزل مغطى بالقاذورات، وكيف ركض العم هيرمان إلى الخارج وبيده مطرقة للعثور على الأولاد الذين فعلوا به ذلك. تشارلي يتراجع مبتعدا عن الأولاد الضاحكين، ويُسقط الحزمة. يرفعها مجددا ويركض بقية الطريق نحو المخبز.

اجتمع الأطفال حوله يضحكون ويغيظونه ككلابٍ صغيرة تحاول عض أقدامه. يبتسم تشارلي لهم. يود لو ينزل حزمته ويلعب معهم، لكن عندما يفكّر في الأمر يشعر بوخز الجلد الذي على ظهره كما أنه يشعر بالطريقة التي يرمي بها الأولاد الكبار الأشياء عليه.

وفي طريق عودته إلى المخبز، يرى بعض الأولاد الواقفين عند باب ممرٍّ مُظلم.

«انظروا، ها هو تشارلي!»

«أنت، تشارلي. ماذا لديك هناك؟ هل تريد لعب النرد؟»

«تعالا هنا. لن نؤذيك»

لكن هنالك شيء بخصوص الممر؛ الردهة المظلمة، والضحكات، شيء يجعله يشعر بوخز في جلده مجددا. يحاول معرفة ما هو، لكن كل ما يستطيع تذكره هو أوساخهم وتبولهم على كل ملابسه، والعم هيرمان وهو يصرخ عندما عاد إلى المنزل مغطى بالقاذورات، وكيف ركض العم هيرمان إلى الخارج وبيده مطرقة للعثور على الأولاد الذين فعلوا به ذلك. تشارلي يتراجع مبتعدا عن الأولاد الضاحكين، ويُسقط الحزمة. يرفعها مجددا ويركض بقية الطريق نحو المخبز.

يندفع تشارلي عبر الأبواب المتأرجحة مُتجها ناحية الجهة الخلفية من المخبز، ويضع الحزمة على إحدى الطاولات الخشبية. يستند على الجدار داسًّا يديه في جيوبه. يتمنى لو أن معه لعبته الدوّارة ذات الخيط.

يعجبه المكان هنا في الجزء الخلفي من المخبز حيث الأرضيات بيضاء بسبب الدقيق، أبيض من الجدران السّخماء والسقف.

البطانة السميكة لحذائه العالي ملطّخة بالأبيض، ويوجد بياض في أماكن الخياطة وفتحات الأربطة، وتحت أظافره، وفي الشقوق المتصدّعة لجلد يديه.

إنه يسترخي هنا -يجلس القرفصاء مستندا إلى الجدار- منحنيا إلى الخلف بطريقة تجعل قبعة البيسبول خاصته، المطبوعة بحرف D، تميل نحو الأمام لتغطّي عينيه. إنه يحب رائحة الدقيق، والعجينة الحلوة، وخَبز الخبز والكعك واللفائف. يصــدر الفــرن صــوت طقطقـة، ويجعلـه يشـعر بالنّعَس.

نعاس.. دافئ.. جميل

فجأة، سقوط، التواء، ورأس يصطدم بالجدار. أحدهم ركل ساقيه من تحته، نحو الخارج.

هذا كل ما يمكنني تذكّره. أستطيع رؤيته بوضوح، لكنّني عاجز عن معرفة سبب حدوثه. يشبه الأمر عندما كنت أذهب إلى السينما. لم أكن أفهم أبدا من المرة الأولى لأنهم كانوا سريعين ولكن كنت أفهم ما يقولون بعد مشاهدة الفيلم ثلاث أو أربع مرات. عليّ أن أسأل الطبيب شتراوس عن هذا الأمر.

١٤ أبريل- يقول الطبيب شتراوس إن أهم شيء هو أن أستمر في تذكّر الذكريات مثل التي تذكرتها بالأمس وأن أقوم بكتابتها. بعد ذلك يمكننا التحدث عنها عندما أذهب إلى مكتبه.

الطبيب شتراوس طبيب نفساني وجرّاح أعصاب. لم أكن أعلم ذلك. كنت أعتقد أنه مجرد طبيب عام. لكن عندما حضرت إلى مكتبه هذا الصباح، أخبرني بأهمية أن أعرف نفسي وأتعلم أمورا عنها كي أتمكن من فهم مشكلاتي. قلت لم يكن لدي أي مشكلات.

لكنه ضحك ثم نهض من كرسيّه واتّجه إلى النافذة. «كلّما ازداد ذكاؤك، ازدادت مشكلاتك يا تشارلي. سوف يسبقُ نضجك العقلي نضجك العاطفي. وأعتقد أنك ستكتشف ذلك مع تقدّمك، وستكون هناك أمور كثيرة ترغب في أن تتحدث معي بشأنها. أريدك فقط أن تتذكّر أن هذا هو المكان الذي يتعيّن عليك القدوم إليه عندما تكون بحاجةٍ إلى المساعدة».

ما زلت لا أفهم عمّ يدور الأمر، لكنّه قال حتى لو لم أفهم أحلامي وذكرياتي أو لم تأتي إلي، إلا أنّها سترتبط ببعضها البعض ذات يوم في المستقبل، وسأعرف المزيد عن نفسي. قال إن أهم شيء هو معرفة الأشياء التي يقولها أولئك الناس في ذكرياتي. الأمر كله متعلق بي عندما كنت صبيا، وعليّ تذكّر ما حدث.

لم أكن أعرف أبدا بوجود هذه الأمور. وكأنه إذا صرت ذكيا بما يكفي سأتمكن من فهم كل الكلمات التي في عقلي، وسأعرف كل ما يتعلق بالأولاد الواقفين في الممرّ، وبعمّي هيرمان وبوالديّ. لكن ما يقصده هو أنّني سأشعر بالسوء حيال الأمر كله وربّما أصبح مريضا في عقلي.

لذلك يجب عليّ الآن القدوم لمكتبه مرتين في الأسبوع للتحدث عن الأشياء التي تضايقني. كل ما نفعله هو الجلوس: أنا أتحدّث، والطبيب شتراوس يستمع. يسمّى هذا علاج، ويعني أنّ التحدث عن الأمور سيجعل شعوري أفضل. أخبرته أن أحد الأمور التي تضايقني هو ما يتعلق بالنساء. مثل الرقص مع تلك الفتاة إيلين والذي جعلني متحمسا للغاية. لذا تحدثنا عن الأمر وشعرت بإحساس غـريب عنـدما كنـت أتحـدث، بـالبرودةِ والتعـرّق، وبِطنينٍ في رأسي، وظننتُ أنني سأتقيّأ. ربما لأنني

كنت أعتقد دائما أن التحدث عن هذا الأمر شيء سيئ وبذيء. لكن الطبيب شتراوس قال إن ما حدث لي بعد الحفلة يسمى احتلاما، وأنه من الطبيعي أن يحدث للصبية.

إذن، فحتّى مع ازدياد ذكائي وتعلّمي الكثير من الأشياء، إلا أنه يعتقد أنني ما أزال صبيا فيما يتعلق بالنساء. الأمر مُحيرّ، لكنّني سأكتشف كلّ شيء عن حياتي.

١٥ أبريل - إنّني أقرأ كثيرا هذه الأيام كما أن كل شيء تقريبا يبقى محفوظا في عقلي. فإلى جانب التاريخ والجغرافيا والحساب، تقول الأستاذة كينيان إنّ عليّ البدء بتعلّم لغات أجنبيّة. كما أعطاني الأستاذ نيمور المزيد من الأشرطة لأشغّلها وأنا نائم. ما زالت لا أعرف الطريقة التي يعمل بها العقل الواعي واللا واعي، لكن الطبيب شتراوس يخبرني ألّا أُشغل بالي بهذا الآن. لقد جعلني أعِدُه ألّا أقرأ أي كتب في علم النفس عندما أبدأ بتعلّم مواد جامعيّة خلال الأسابيع القادمة، وذلك إلى حين الوقت الذي يسمحُ لي فيه بقراءتِها. يقول إنّها ستُربكني وتجعلني أفكر في النظريات النفسية بدلا من التفكير في أرائي ومشاعري الشخصيّة. لكن لا بأس بقراءة الروايات. في هذا الأسبوع، قرأتُ رواية غاتسبي العظيم، ورواية مأساة أمريكية، ورواية أيها

الملاك، تطلّع باتجاه بيتك. لم أكن أعلم أبدا أن الرجال والنساء يفعلون أشياء كهذه.

١٦ أبريل- أشعر بتحسّنٍ كبير اليوم، لكنني ما زالت غاضبا بسبب أن الناس كانوا يسخرون منّي ويستهزئون بي طوال الوقت.

عندما أصبح ذكيا كما يقول الأستاذ نيمور، بذكاء إضافي يعادل ضعف معدّل ذكائي الحالي الذي يبلغ ٧٠، فربمّا حينها، أصبح محبوبا من الناس، ويكونون أصدقائي.

لا أعرف ماذا يعني معدّل الذكاء بالضبط، لكن الأستاذ نيمور يقول إنه كان شيئا يقيس مدى ذكائك السابق، كما يقوم الميزان في الصيدلية بوزن الأرطال. لكن الطبيب شتراوس دخل في جدال حاد معه وقال إن معدل الذكاء لم يقِس الذكاء على الإطلاق. قال إن معدل الذكاء أظهر مستوى الذكاء الذي يمكنك الوصول إليه، مثل الأرقام الموجودة على كوب قياس. لا يزال عليك ملء الكوب بالأشياء.

وعندما سألت برت سيلدن -الذي يعطيني اختبارات الذكاء ويعمل مع ألغيرنون- قال إن البعض قد يقول إن كلاهما كانا على خطأ، ووفقا للأشياء التي كان يقرأ فيها، فإن معدل الذكاء يقيس الكثير من الأشياء المختلفة، بما في ذلك بعض الأشياء التي

تعلمتها بالفعل، وأنّه ليس طريقة جيدة حقا لقياس الذكاء.

إذن، ما زلت لا أعرف معنى معدل الذكاء، وكل شخص يخبرني بمعنى مختلف. ذكائي أصبح ١٠٠ تقريبا، وسيكون أكثر من ١٥٠ عمّا قريب، ولكن سيكون عليهم أن يستمرّوا بملئي بالأشياء. لم أكن أريد قول أي شيء، لكن لا أرى كيف سيكون بمقدورهم، إذا كانوا لا يعرفون ماهيّته، ولا مكانه، أن يعرفوا مقداره عند كل شخص.

يقول الأستاذ نيمور إنّ عليّ أخذ اختبار رورشاخ بعد غد. أتساءل ماذا يكون.

١٧ أبريـل- راودنـي كـابوس ليلـة البارحـة، وهـذا الصباح، بعدما استيقظت، قمت بعمل تداع حر بالطريقة التي قال لي الطبيب شتراوس أن أتبعها عندما أتذكر أحلامي. أفكر في حلمي وأدع عقلي ببساطة يتجول حتى تأتي أفكار أخرى إلى عقلي. أستمر في فعل ذلك حتى يصبح عقلي فارغا. يقول الطبيب شتراوس إن هذا يعني أنني قد وصلت مرحلة يحاول فيها عقلي اللاواعي منع عقلي الواعي من التذكّر. إنّه جدار بين الحاضر والماضي. أحيانا يظل الجدار قائما، وأحيانا ينهدم عندما أتذكّر ما وراءه.

مثل ما حدث هذا الصباح.

كان الحلم عن الأستاذة كينيان وهي تقرأ تقارير التطور الخاصة بي. في الحلم، أجلس لأكتب، لكنني أكون عاجزا عن الكتابة والقراءة مجددًا. كل شيء قد اختفى. أصاب بالرعب فأطلب من جيمبي في المخبز أن يكتب من أجلي. لكن عندما تقرأ الأستاذة كينيان التقارير تستشيط غضبا وتمزّق الأوراق لأن فيها كلمات بذيئة.

وعندما أعود إلى المنزل أجد الأستاذ نيمور والطبيب شتراوس في انتظاري ويضربانني بسبب كتابتي كلمات بذيئة في تقرير التطور. وعندما يغادران، ألتقط الأوراق الممزقة لكنها تتحول إلى شريطة دانتيل من شرائط عيد الحب، ومُغطّاة بالدماء.

كان حلما مروِّعا لكنني نهضت من السرير وكتبته كاملا ثم بدأت بالتداعي الحر.

مخبز... خَبز... الجرّة... أحدهم يركلني... سقوط... مضرّج بالدماء... كتابة... قلم رصاص كبير على بطاقة فالنتاين حمراء... قلب ذهبي صغير... قلادة... سلسلة... تغمرها الدماء... وهو يضحك عليّ...

السلسلة من قلادة... تدور في الأرجاء... تعكس أشعة الشمس على عينيّ. وأحبّ مشاهدتها تدور... مشاهدة السلسلة... متشابكة هكذا وتلتوي وتدور...

وفتاة صغيرة تراقبني.

اسمها الأستاذة كينن- أقصد هاريت.

«هاريت... هاريت... جميعنا نحبّ هاريت»

ثمّ لا وجود لشيء. أصبح فارغا مجددا.

الأستاذة كينيان تقف ورائي، وتقرأ تقارير التطور التي أكتبها.

ثم نكون في مركز البالغين للأشخاص المتأخرين عقليا، وتقرأ التاراكيب التراكيب بينما أكتبها.

تتحول المدرسة إلى مدرسة ب.س ١٣ وأكون بعمر الحادية عشرة والأستاذة كينيان بعمر الحادية عشرة أيضا، لكنها لم تعد الأستاذة كينيان. إنها فتاة صغيرة لديها غمّازات وشعرٌ طويل مُجعّد اسمها هاريت. جميعنا نحبّ هاريت. إنه عيد الحبّ.

أتذكّر...

أتذكّر ما حدث في مدرسة ب.س ١٣ ولماذا اضطروا إلى تغيير مدرستي وإرسالي إلى مدرسة ب.س ٢٢٢. كان ذلك بسبب هاريت.

أرى تشارلي، ذو الحادية عشر. يحمل قلادة صغيرة ذهبية اللون وجدها ذات يوم في الشارع. لا توجد معها سلسلة، لكنه وضعها في خيط، ويحبّ تدوير

القلادة حتى تضرب الخيط، ثم يشاهدها وهي ترتخي، وتدور، وأشعة الشمس تومض على عينيه.

أحيانا عندما يلعب الأطفال لعبة الالتقاط، يدعونه يلعب في المنتصف ويحاول الإمساك بالكرة قبل أن يمكسـها أحـد الطـرفين. إنـه يجـب التواجـد فـي المنتصف، حتى وإن لم يستطع التقاط الكرة أبدا، وذات مرّة عندما أسقط هيمي روث الكرة عن طريق الخطأ والتقطها هو، لم يسمحوا له برميها وجعلوه يذهب إلى المنتصف مجددا.

عندما تمرّ هاري بالقرب منهم، يتوقّف الأولاد عن اللعب وينظرون إليها. جميع الأولاد يحبون هاريت. عندما تحرّك رأسها، تتقافز شعراتها المجعدة، ولديها غمازات. تشارلي لا يعرف سبب الضجة التي يثيرونها حول فتاة ولماذا يريدون دائما التحدث معها (إنه يفضل لعب الكرة أو لعبة ركل العبوة أو لعبة رينغوليفيو على التحدث مع فتاة) لكن جميع الأولاد يحبون هاريت لذا فهو يُحبّها أيضا.

إنها لا تضايقه أبدا كما يفعل باقي الأطفال، وهو يؤدي لها بعض الخُدع. إنه يمشي على الطاولات عندما لا تكون الأستاذة موجودة. يرمي مماحي من النافـذة، ويمـلأ السبورة والجـدران بـالشّخابيط. وهاريت تُصارخ وتُقهقه «أوه شوفو تشارلي. أليس مضحك؟ أليس سخيف؟»

إنه عيد الحب، والأولاد يتحدثون عن هدايا الحب التي سيحضرونها لهاريت، فيقول تشارلي: «سوف أعطي هاريت هدية أيضا».

فيضـحكون، ويقـول بـاري: «مـن أيـن ستأتي لـها بهدية؟»

«سوف أحضر لها هدية جميلة. ستَرَون»

لكنه لا يملك أية نقود من أجل هدية، لذا يقرّر إعطاء هاريت القلادة التي على شكل قلب مثل هدايا عيد الحب الموجودة في نوافذ المتاجر. في تلك الليلة، يأخذ مناديل ورقية من درج والدته، ويستغرقُ وقتا طويلا في لفّها وربطها بشريطة حمراء صغيرة. ثم يأخذها إلى هيمي روث في اليوم التالي أثناء فترة الغداء في المدرسة ويطلب من هيمي أن يكتب له على الورقة.

يطلب من هيمي أن يكتب: «عزيزتي هاريت، أعتقد أنك أكثر أجمل فتاة في كل العالم. أنا معجب بك كثيرا وأحبك. أريدك أن تكوني رفيقتي في يوم عيد الحب. صديقك: تشارلي جوردن».

يكتب هيمي بحذر شديد وبحروف كبيرة على الورقة، وهو يضحك طوال الوقت، ويقول لتشارلي: «يا إلهي، هذا سوف يجعل عينها تخرج

من مكانها. انتظر حتى ترى هاريت هذا».

تشارلي خائف، لكنّه يريد أن يعطي هاريت تلك القلادة، لذا يتبعها من المدرسة حتى المنزل وينتظر حتى تدخل منزلها. ثم يتسلّل إلى الرواق ويعلّق العلبة على مقبض الباب. ثم يدقّ الجرس مرتين ويركض عبر الشارع ويختبئ خلف شجرة.

عندما تنزل هاريت للدور السفلي، تنظر حولها لترى من دقّ الجرس. ثم ترى العلبة. فتأخذها وتصعد إلى الأعلى. يعود تشارلي من المدرسة إلى المنزل ويتعرض للضرب لأنه أخذ المناديل الورقية والشريطة من درج والدته دون أن يستأذن منها. لكنّه لا يأبه لذلك. في الغد، سوف ترتدي هاريت القلادة، وتخبر الأولاد أنه أعطاها إياها. وحينها سوف يرَون.

في اليوم التالي، يقطع الطريق نحو المدرسة ركضًا، لكن الوقت كان مبكرا للغاية. هاريت لم تحضر بعد، وهو في أوج حماسته.

ولكن عندما تدخل هاريت، فإنها لا تنظر إليه حتى، ولم تكن ترتدي القلادة، وتبدو غاضبة جدا.

إنه يفعل كل شيء عندما لا تكون الأستاذة جانسون موجودة: يعمل وجوهًا مُضحكة. يضحك بصوتٍ مرتفع. يقف على كرسيّه ويُهزهز ردفيه. حتى إنه

يرمي قطعة من الطبشور على هارولد. لكن هاريت لا تنظر إليه ولو لمرّة. ربما نسيَت. ربما سترتديها غدا. تعبرُ الردهة، لكنه عندما يأتي ليتحدث معها، تندفع مسرعة بعيدا عنه دون أن تتفوّه بكلمة.

وفي الأسفل في ساحة المدرسة، يجد أَخَوَيها الكبيرين في انتظاره.

يدفعه غس. «أيها الوغد الصغير، هل كتبت هذه الرسائل القذِرة لأختي؟»

يقول تشارلي إنه لم يكتب أي رسائل قذرة. «لقد أعطيتها هدية فقط».

وأوسكار الذي كان عضوا في فريق كرة القدم قبل أن يتخرج من الثانوية يجذب تشارلي من قميصه ويمزق اثنين من أزراره. «ابق بعيدا عن شقيقتي الصغيرة أيها المنُحلّ. أنت لا تنتمي إلى هذه المدرسة على أية حال».

يدفع تشارلي نحو غس الذي يمُسكه من حلقِه. تشارلي يصبح خائفا جدا ويبدأ في البكاء.

ثم يبدؤون في إيذائه. أوسكار يلكمه في أنفه، وغس يرميه بقوة على الأرض ويركله في جوانبه ثم يركله الاثنان معا؛ واحد فالآخر، وبعض الأطفال الآخرين في الساحة -أصدقاء تشارلي- جاءوا

يركضون ويصفّقون بأيديهم «تشاجروا! تشاجروا! إنهم يضربون تشارلي!»

ثيابه ممزّقة، وأنفه ينزف، وأحد أسنانه مكسور، وبعد رحيل غس وأوسكار، يجلس على الرصيف ويبكي. طعم الدماء حامض. والأطفال الآخرون يضحكون ويصيحون قائلين: «تشارلي انضرب! تشارلي انضرب!» بعدها يأتي السيد وانغر، أحد المشرفين في المدرسة، ويطاردهم حتى يبتعدوا. يأخذ تشارلي إلى غرفة الأولاد ويخبره أن يغسل الدماء والتراب من على وجهه ويديه قبل أن يعود إلى المنزل...

أظن أنني كنت غبيا للغاية لأنني صدقت ما أخبرني به الناس. ما كان عليّ أن أثق بهيمي ولا بأي أحد.

لم أكن أتذكر أيًّا من هذا قبل اليوم، لكن كل شيء عاد إلي بعدما فكّرت في الحلم. للأمر علاقة بالشعور المصاحب لقراءة الأستاذة كينيان لتقارير التطور خاصّتي. على كل حال، أنا ممتن الآن لكوني لست مضطرا لأن أطلب من أحد كتابة أشياء لي. أستطيع الآن فعل ذلك بنفسي.

لكنّني أدركت للتوّ شيئا. لم تُعِد إليّ هاريت قلادتي أبدا.

١٨ أبريل- لقد عرفت ما هو الرورشاخ. إنه الاختبار

الـذي فيـه بقـع حبـر، ذلـك الـذي اختبرتـه قبـل الخضوع للعملية. بمجرد أن عرفت ما هو، أصبتُ بالذعر. كنت أعلم أن برت سيطلب مني العثور على الصورة، وكنت أعلم أنني لن أكون قادرا على ذلك. كنت أفكّر؛ آه لو أن هناك طريقة ما لمعرفة نوعية الصور المخبأة هناك. ربما لم يكن هنالك وجود لأي صور على الإطلاق. ربما كان مجرد خدعة لمعرفة ما إذا كنت غبيا كفاية للبحث عن شيء لم يكن موجودا.

قال: «حسنا يا تشارلي. لقد رأيتَ هذه البطاقات من قبل. أتذكُر؟»

«بالطبع، أتذكّر».

عَلِم أنني غاضب من طريقة إجابتي، ورفع رأسه نحوي متفاجئا.

«أهناك خطبٌ ما يا تشارلي؟»

«كلا، لا شيء. بقع الحبر هذه تثير غضبي».

ابتسم وهزّ رأسه. «ما من داع للغضب. هذا مجرد اختبار من اختبارات الشخصية الاعتيادية. والآن، أريدك أن تنظر إلى هذه البطاقة. ماذا قد تكون؟ ماذا ترى على هذه البطاقة؟ يرى الناس أشياء مختلفة في بقع الحبر هذه. أخبرني ماذا قد تكون

بالنسبة لك، بمَ تجعلك تفكّر».

كنت مندهشا. حدّقت في البطاقة ثم فيه. لم أتوقع أبدا أن يقول هذا. «أتقصد أنه لا توجد صور مخبأة في بقع الحبر هذه؟»

قطّب برت حاجبيه وخلع نظارته. «ماذا؟»

«صور مخبّئة في بقع الحبر! لقد أخبرتني في المرة الماضية أن الجميع يستطيعون رؤيتها وأردت مني العثور عليها أيضا».

«كلا، يا تشارلي. من غير الممكن أنني قد قلت ذلك».

صرخت عليه قائلًا «ماذا تقصد؟» لقد جعلني خوفي الشديد من بقع الحبر غاضبا على نفسي وعلى برت أيضا. «هذا ما أخبرتني به. إنّ كونكَ ذكيًا بما فيه الكفاية لتلتحق بالجامعة لا يمنحك الحق في أن تسخر مني. لقد سئمت وتعبت من ضحك الجميع عليّ».

لا أذكرُ أبدا أنّي قد شعرت بالغضب قبل هذا. لا أظن أن غضبي كان من برت شخصيا لكن كل شيء قد تفجّر فجأة. رميت بطاقات الرورشاخ على الطاولة وخرجت. كان الأستاذ نيمور مارًّا عبر الرواق، وعندما مررتُ بجانبه دون إلقاء التحية عليه

علم أن هنالك خطبًا ما. ولحق بي هو وبرت عندما كنت على وشك النزول بالمصعد.

«يا تشارلي» قال نيمور، وهو يجذب ذراعي: «انتظر لحظة. ما سبب كل هذا؟»

خلّصت ذراعي من يده وأومأت برأسي ناحية برت. «لقد سئمت وتعبت من ضحك الجميع علي. هذا كل ما في الأمر. ربمّا لم أكن أعرف شيئا من قبل، لكنّي بتّ أعرف الآن، ولا يعجبني ما يحدث».

«لا أحد هنا يسخر منك يا تشارلي» قال نيمور.

«ماذا عن بقع الحبر؟ في المرة الماضية أخبرني برت أن هنالك صورًا في الحبر، وأن الجميع يستطيعون رؤيتها، وأنا....»

«انظر يا تشارلي، هل ترغب بسماع ما قاله برت بالضبط، وسماع إجابتك أيضا؟ لدينا شريط مسجّل لجلسة الاختبار. نستطيع إعادة تشغيله أمامك لتسمع ما قيل بالضبط».

عدتُّ معهما إلى مكتب القسم النفسي بمشاعر مختلطة. كنتُ واثقا من أنهما قد سخرا مني وخدعاني عندما كنتُ جاهلا للغاية ولا أعرف شيئا. كان شعور بالغضب مثيراً، ولم أستسلم بسهولة. كنتُ مستعدا للشجار.

وأثناء بحث نيمور في الملفات لإخراج الشريط، قال برت موضّحا: «لقد استخدمتُ في المرة الماضية نفس الكلمات التي استخدمتها اليوم تقريبا. من شروط هذه الاختبارات أن تكون الإجراءات هي نفسها في كل مرة».

«لن أصدّق حتى أسمع».

تبادلنا النظرات، وشعرت بالدماء تغلي في وجهي مجددا. كانا يسخران مني. ثم أدركت ما قلته لتوّي. ومع سماع ما قلتُه، فهمت سبب النظرة. كانا يعلمان ما يحدث لي. كنت قد وصلت لمستوى جديد، وكانت مشاعر الغضب والتشكّك أول رد فعل لي تجاه العالم من حولي.

انطلق صوت برت من الشريط:

«أريدك الآن أن تنظر إلى هذه البطاقة يا تشارلي. ماذا قد تكون؟ ماذا ترى على هذه البطاقة؟ يرى الناس أشياء مختلفة في بقع الحبر هذه. أخبرني بم تجعلك تفكّر...»

نفس الكلمات. نفس نبرة الصوت تقريبا التي استخدمها منذ دقائق في المختبر. ثم سمعت إجاباتي؛ صبيانية، أشياء لا معقولة. ثم انزلقت ببطء للجلوس في الكرسي بجانب مكتب الأستاذ نيمور. «أكان ذلك أنا حقا؟»

عدت إلى المختبر مع برت، وشرعنا في إكمال الروشاخ. راجعنا البطاقات ببطء. كانت استجابتي مختلفة هذه المرة. لقد «رأيت» أشياء في بقع الحبر. خفاشان يجذبان بعضهما البعض. رجلان يتبارزان بالسيوف. تخيلت أشياء كثيرة. لكن رغم ذلك، وجدت نفسي غير قادر على الوثوق في برت بالكامل بعد الآن. ظللت أقلب البطاقات، وأتحقق من الأجزاء الخلفية لها لأرى ما إن كان هنالك شيءٌ ما عليّ إدراكه.

استرقتُ النظر عندما كان يدوّن ملاحظاته. لكن كل شيء كان مكتوبا برموز تبدو هكذا:

وف+ أ ددف-أ د أص. وف-أ س ف+ شي.

لا يزال الاختبار غير منطقي. يبدو بالنسبة لي أن أي شخص يستطيع اختلاق أكاذيب عن أشياء لم يرها حقا. كيف سيعرفون أنّني لم أكن أستغبيهم بقول أشياء لم أتخيلها بالفعل؟

ربما سأتمكن من فهمه عندما يسمح لي الطبيب شتراوس بالقراءة في علم النفس. صرتُ أجد صعوبة أكبر في كتابة كل مشاعري وأفكاري لأنني بتّ أعرف الآن أن الآخرين يقرؤونها. ربما سيكون من الأفضل أن أحتفظ ببعض هذه التقارير لنفسي لفترة. سوف أسأل الطبيب شتراوس. لم أصبح هذا

الأمر يزعجني فجأة؟

تقرير تطور ١٠

٢١ أبريل - اكتشفتُ طريقة جديدة لإعداد الآلات المختلفة في المخبز بهدف تسريع الإنتاج. يقول السيد دونر إنه بهذا سيوفّر تكاليف العمال ويزيد من الأرباح. لقد أعطاني ١٥ دولارًا علاوة، وزيادة أسبوعية بقيمة عشرة دولارات.

أردت اصطحاب جو كارب وفرانك ريلي إلى الغداء للاحتفال، لكن جو كان عليه شراء بعض الأشياء لزوجته، وفرانك كان عليه مقابلة قريبه. أعتقد أنهم سيحتاجون إلى بعض الوقت للاعتياد على التغييرات التي حدثت لي.

يبدو الجميع خائفا مني. عندما ذهبت إلى جيمبي وربتّ على كتفه لأطلب منه شيئا، انتفض قافزا وسكب كوب القهوة خاصته على نفسه. إنه يحدق في عندما يظن أنني غير منتبه. لم يعد أحد في المكان يتحدث معي، ولم يعد هنالك أطفال يجتمعون حولي. يجعلني هذا أشعر بشيء من الوِحدة في عملي.

جعلني التفكير في الأمر أتذكر المرة التي غفوت فيها وأنا واقف، فركل فرانك قدمي من تحتي. الرائحة اللطيفة الدافئة، الجدران البيضاء، صوت الفرن عندما يفتح فرانك الباب لتقليب الأرغفة.

السقوط المفاجئ... الالتواء.... كل شيء يخرج من تحي ورأسي يصطدم بالجدار.

إنه أنا، ومع ذلك، يبدو أن من يستلقي هناك شخصٌ آخر.... تشارلي آخر. إنّه مرتبك... يحكّ رأسه... يحدّق في فرانك، طويل ونحيف، ثم في جيمبي بقربه، جيمبي الضخم، كثيف الشعر، ذي الوجه الرمادي والحواجب البنية الكثيفة التي تكاد تغطي عينيه الزرقاوين.

«دع الفتى وشأنه» يقول جيمبي. «يا إلهي، لم تتنمر عليه دائما يا فرانك؟»

«لا أقصد شيئا» يجيب فرانك ضاحكا. «ما أفعله لا يؤذيه، فهو لا يدرك شيئا. هل تدرك شيئا تشارلي؟»

يحكّ تشارلي رأسه وينكمش خوفا. إنه لا يعرف ما الذي فعله ليستحق هذا العقاب، لكن فرصة حدوث المزيد موجودة دائما.

«لكنك تدرك ما تفعل» يقول جيمبي، هو يسير ببطء وتثاقل على حذائه الطبي التجبيريّ «فلِم تتنمر عليه طوال الوقت بحق الجحيم؟» يجلس الرجلان أمام الطاولة الممتدة، فرانك الطويل وجيمبي الضخم، ويشكّلان العجينة من أجل اللفائف التي يجب خبزها من أجل الطلبات

المسائية.

يعملان في صمت لفترة، ثم يتوقف فرانك ويقلب قبعته البيضاء للخلف «أنت يا جيمب، أتعتقد أن تشارلي قد يتعلم كيفية خبز اللفائف؟»

يسند جيمبي مرفقه على طاولة العمل. «لم لا ندعه وشأنه فحسب؟»

«كلا، أنا أعني ما أقول يا جيمبْ. بجديّة. أراهن أن باستطاعته تعلم شيء بسيط كصُنع اللفائف».

يبدو أن الفكرة تروق لجيمبي الذي يلتفت ويحدّق في تشارلي. «ربما تكون محقا بعض الشيء. تشارلي، تعال هنا للحظة».

وكعادته عندما يتحدث الناس عنه، كان تشارلي يجلس مطأطئ الرأس؛ مُحدّقا في أربطة حذائه. إنه يعرف كيف يشدّها ويربطها. بإمكانه عمل اللفائف. بإمكانه أن يتعلم كيفية ضرب العجين، وفرده، ولفّه، وتشكيله على شكل دوائر صغيرة.

ينظر إليه فرانك بتشكّك. «ربّما لا يجدر بنا فعل ذلك يا جيمب. لعلّ هذا أمر خاطئ. إن كان الشخص الأحمق غير قادر على التعلم، فربما لا يجدر بنا أن نبدأ معه بأي شيء».

«دع أنت هذا الأمر لي» يقول جيمبي الذي استلم

الآن فكرة فرانك. «أعتقد أنه قد يتعلم. انظر يا تشارلي. أترغب بتعلّم شيء ما؟ هل تريد أن أعلمك كيف تصنع اللفائف مثلما نفعل أنا وفرانك؟»

يحدق فيه تشارلي، والابتسامة تذوي من على وجهه. إنه يفهم رغبة جيمبي، ويشعر بأنه محاصر. يريد إسعاد جيمبي، لكن يوجد شيء ما بشأن كلمتي تعلّم وتعليم، شيء ما يذكره بالتعرض للعقاب الشديد، لكنه لا يتذكّر ما هو؛ مجرد يد بيضاء مرتفعة، تضربه لتجبره على تعلم شيء لم يستطع فهمه.

يبدأ تشارلي بالتراجع، لكن جيمبي يجذب ذراعه. «هدّئ من روعك يا فتى. لن نؤذيك. انظر إليه يرتجف وكأنه سيتداعى. انظر يا تشارلي، سأعطيك قطعة جالبة للحظ لامعة وجديدة كي تلعب بها». يمدّ يده ويكشف عن سلسلة نحاسية بقرص نحاسي لامـع مكتـوب عليـه ستا-برايت لصـقل المعـادن. يمسك السلسلة من أحد أطرافها فيدور القرص الـذهبي البـرّاق ببـطء، ملتقطـا ضـوء مصابيح الفلورسنت. للقلادة سطوع يتذكره تشارلي، لكنّه لا يعرف ماهيته أو سبب تذكره.

لا يمــد يـده لأخـذها. فـهو يعـرف أنـه سـيتعرض للعقاب إذا مد يده لأخذ أشياء الآخرين. إذا وضعها أحد في يدك فلا بأس بذلك. لكن عدا ذلك أمر

خاطئ. عندما يرى أن جيمبي يعرضها عليه، يومئ برأسه ويبتسم مجددا.

«هذا شيء يعرفه»، يضحك فرانك. «أعطِه شيئا براقًا ولامعا». ينحني فرانك، الذي يدع جيمبي يستلم التجربة، نحو الأمام بحماس. «ربما إذا كان يريد قطعة القمامة تلك بشدة وأخبرته أنه سيحصل عليها إذا تعلم كيفية تشكيل العجين كلفائف، فقد ينجح الأمر».

مع شروع الخبّازين في مهمة تعليم تشارلي، يتجمهر أشخاص آخرون من المخبز. يفسح فرانك مساحة بينهم وبين الطاولة، ويجذب جيمبي قطعة متوسطة الحجم من العجين كي يعمل تشارلي عليها. يوجد حديث عن الرهان على ما إذا كان بمقدور تشارلي تعلّم كيفية صنع اللفائف أم لا. «راقِبنا وافعل كل ما نفعله. إذا تعلمت طريقة صنع اللفائف، فستحصل على القطعة اللامعة الجالبة للحظ».

ينحني تشارلي على مقعده، ويراقب بانتباه شديد جيمبي وهو يأخذ السكين ويقطع كُتلة من العجين. إنه يدرس كل حركة أثناء فرد جيمبي للعجين جاعلًا إياه على شكل لفافة طويلة، ثم قيامه بتقطيعها ولفها على شكل دائرة، ومُتوقّفا بين الفينة والأخرى لرشّ الدقيق عليها.

«والآن راقبني» يقول فرانك، ثم يُعيد ما قام به جيمبي. يشعر تشارلي بالحيرة. هناك اختلافات. جيمبي يمد كوعيه نحو الخارج أثناء لفّه للعجين، كجناحي طائر، لكن فرانك يبقي ذراعيه قريبين من جانبيه. جيمبي يبقي إبهاميه مع بقية أصابعه أثناء قيامه بالعجن، لكن فرانك يعمل براحة كفّيه، جاعلا إبهاميه بعيدين عن بقية الأصابع ومرتفعين في الهواء.

لقد جعله قلقه من هذه الأشياء عاجزا عن التحرك عندما قال له جيمبي «هيا، حاول».

يهزّ تشارلي رأسه.

«انظر يا تشارلي، سأفعلها مجددا ببطء. راقب كل شيء أفعله، وافعل كلّ خطوة معي. حسنا؟ لكن حاول أن تتذكّر كل شيء حتى تكون قادرا فيما بعد على فعل الطريقة كلّها بمفردك. والآن تعال: هكذا».

يقطّب تشارلي جبينه وهو يراقب جيمبي يجذب قطعة من العجين ويلفّها على شكل كُرة. يتردّد، لكنه يأخذ السكين ويقطع قطعة من العجين ويضعها في منتصف الطاولة. وببطء، مادّا كوعيه نحو الخارج تماما كجيمبي، ويلفّها ككُرة.

ينقل نظره من يديه إلى يدي جيمبي، ويحرص على إبقاء أصابعه مثله تمامًا؛ سوية مع بقية أصابعه، ومضمومة قليلا. عليه أن يفعلها بشكلٍ صحيح، بنفس الطريقة التي يريد منه جيمبي أن يفعلها. يوجد في داخله صدى يتردّد قائلًا، افعلها على نحو صحيح، وسيعجبون بك. وهو يريد أن يعجب به جيمبي وفرانك.

عندما انتهى جيمبي من عمل العجينة على شكل كُرة، رجع إلى الخلف قليلا، وكذلك فعل تشارلي. «أوه، هذا عظيم! انظر يا فرانك، لقد حوّله إلى كُرة».

يومئ فرانك برأسه ويبتسم. يتنهّد تشارلي ويرتعد كيانه بالكامل مع زيادة التوتّر. إنّه ليس مُعتادا على لحظات النجاح النادرة هذه.

«حسنا»، يقول جيمبي. «والآن سنصنع إحدى اللفائف». برعونة يتخلّلها حذر، يتتبّع تشارلي كل حركات جيمبي خطوة بخطوة. في بعض الأحيان، تتسبب رعشةٌ في يده أو ذراعه بتشويه ما يفعل، لكنه يتمكن خلال فترة قصيرة من لف جزء من العجين وضبطه على شكل لُفافة. ومع عمله بجانب جيمبي يصنع ست لفائف، وبِرشّ الدقيق عليها، يضعها بحذر إلى جانب لفائف جيمبي على الصينية الكبيرة المغطّاة بالدقيق.

«حسنا يا تشارلي» أصبح وجه جيمبي جادًا للغاية. «والآن، دعنا نَرك تفعلها بنفسك. تذكّر كل الأشياء التي فعلتها منذ البداية. والآن، ابدأ».

يحدّق تشارلي في كتلة العجين الهائلة وفي السكين التي دفعها جيمبي نحو يده. ومرة أخرى يصيبه الهلع. ماذا فَعَل أولا؟ كيف كان شكل يده؟ أصابعه؟ إلى أي اتجاه دفع الكُرة؟... ألفُ فكرةٍ مُربكة تندفع كلّها معا في عقله، وهو واقف هناك يبتسم. يريد أن يفعلها، أن يجعل جيمبي وفرانك سعيدين ويُعجبان به، وأن يحصل على القطعة البرّاقة الجالبة للحظ التي وعده بها جيمبي. يُقلّب قطعة العجين السّلسة والثقيلة على الطاولة مرارا وتكرارا لكنّه لا يستطيع دفع نفسه للبدء. إنه غير قادر على شقّ العجين لأنه يعلم أنه سيفشل، وهذا يجعله خائفا.

«لقد نسي بالفعل»، قال فرانك. «المعلومات لا تثبت».

إنّه يريدها أن تثبت. يقطّبُ جبينه ويحاول أن يتذكّر: تبدأ أولا بقصّ قطعة. ثم تلفّها ككُرة. لكن كيف تصبح لفافة كتلك الموجودة على الصينية؟ هذا شيء آخر. امنحه وقتا وسيتذكّر. سوف يتذكّر بمجرّد أن يخفّ التشويش. بضع ثوانٍ أخرى وسيحصل

عليها. يريد أن يحتفظ بما تعلّمه، ولو لبعض الوقت. يريد ذلك بشدّة.

«حسنا يا تشارلي» يقول جيمبي متنهّدا، ويأخذ السكين من يده. «لا بأس. لا تقلق بشأن الأمر. هذا ليس عملك على أية حال».

دقيقةٌ أخرى وسيتذكّر. لو أنّهم فقط لم يستعجلوه. لِمَ يجب أن يحدث كلّ شيء بهذه العجلة؟

«هيا يا تشارلي. اذهب لتجلس وطالع كتاب الرسومات خاصّتك. علينا العودة إلى العمل».

يومئ تشارلي برأسه ويبتسم، ويخرج كتاب الرسومات من جيبه الخلفيّ. يكوي الكتاب بيده ليفرده ثم يضعه على رأسه وكأنه قبعة. يضحك فرانك، ويبتسم جيمبي أخيراً.

«هيا أيها الطفل الكبير»، يقول جيمبي وهو يشخر من شدّة الضحك. «اذهب هناك واجلس حتى يحتاجك السيد دونر».

يردّ تشارلي بابتسامه ويعود إلى أكياس الدقيق القابعة في الزاوية القريبة من آلات الخلط. إنه يفضّل الاستناد بظهره إلى الجدار بينما يجلس متربّعا على الأرض ويتفرّج على الصور الموجودة في كتاب الرسومات خاصّته. ومع شروعه في قلب

الصفحات، يشعر برغبة في البكاء، لكنّه لا يدري لماذا. ما الذي قد يجعله يشعر بالحزن؟ السحابة الضبابية تأتي وتذهب، والآن، يتطلّع للمتعة الناتجة عن الصور الملونة البراقة في كتاب الرسومات خاصته، والذي تصفحّه لثلاثين، أربعين مرّة. إنه يعرف كل الشخصيات الموجودة في الرسومات؛ لقد سأل عن أسمائها (جميع الذين يقابلهم تقريبا) مرارا وتكرارا، وهو يدرك أن الشكل الغريب من الحروف والكلمات في البالون الأبيض الموجود فوق الشخصيات يعني أنها تقول شيئا. هل سيتسنّى له أبدا تعلّم قراءة المكتوب في البالون؟ لو أنّهم منحوه ما يكفي من الوقت -لو أنهم لم يستعجلوه أو يدفعوه بسرعة- لاستطاع فعلها. لكن لا أحد يملك الوقت.

يجذب تشارلي ساقيه نحو الأعلى ويفتح كتاب الرسومات على الصفحة الأولى حيث يتدلى كل من باتمان وروبن من على حبل طويل على جانب أحد المباني. ويُقرّر، يوما ما، سوف يقرأ. وبعدها سيصبح قادرا على قراءة القصّة. يشعر بيدٍ على كتفه فينظر نحو الأعلى. إنه جيمبي حاملا بيده القرص النحاسي والسلسلة، وتاركا إياها تتدلى وتدور كي تلتقط الضوء. «إليك»، يقول بصوتٍ غليظ، راميا إياها في حجر تشارلي، ثم يبتعد عارجًا...

لم أفكّر في هذا من قبل، لكنّ ما فعله كان أمرًا لطيفا حقا. لم فعل ذلك؟ على كل حال، هذه هي الذكرى التي لدي عن ذلك الوقت، أوضح وأكثر اكتمالا من أي شيء سبق واختبرتُه. مثل النظر عبر نافذة المطبخ في الصباح الباكر عندما تكون أشعة الصباح لا تزال رماديّة. لقد قطعتُ شوطًا طويلا منذ ذلك الحين، وأدين بهذا كلّه للطبيب شتراوس والأستاذ نيمور، وللأشخاص الآخرين هنا في بيكمان. لكن فيم قد يفكر كلٌّ من فرانك وجيمبي الآن يا ترى، وبم يشعران، وقد عاينا تغيّري؟

٢٢ أبريل- الأشخاص في المخبز يتغيّرون. لا يقتصر الأمر على تجاهلهم لي، بل يمكنني الشعور بعدائيّتهم تجاهي. يجري دونر بعض الترتيبات من أجلي كي أنضّم لاتحاد الخبّازين، كما حصلتُ على علاوةٍ أخرى. أعفنُ ما في الأمر أنّ كل المتعة قد اختفت لأن الآخرين يمقتونني. بطريقةٍ ما، لا أستطيع لومهم. إنهم لا يفهمون ما حدث لي، ولا يمكنني إخبارهم. الناس غير فخورين بي كما كنتُ أتوقّع؛ على الإطلاق.

لكن لا يزال عليّ العثور على شخصٍ لأتحدّث معه. سوف أطلب من الأستاذة كينيان أن تذهب إلى السينما معي مساء الغد كي نحتفل بحصولي على العلاوة. إذا كنتُ قادرا على التحلّي بالشجاعة لفعل

ذلك.

٢٤ أبريل- استطاع الأستاذ نيمور أخيرا الاتفاق مع الطبيب شتراوس ومعي على أنه سيكون من المستحيل بالنسبة لي كتابة كل شيء إذا كنت أعرف أن الآخرين في المختبر سيقرؤونه في الحال. حاولتُ أن أكون صادقا تماما بشأن كل شيء، أيا يكن الشخص الذي أتحدّث عنه، لكن هناك أشياء لا أستطيع كتابتها إلا لو احتفظت بها لنفسي؛ على الأقل لفترة.

لذا سمحوا لي حاليًا بإخفاء بعض التقارير الشخصية للغاية، لكن قبل تقديم التقرير النهائي لمؤسسة ويلبيرج، فإن الأستاذ نيمور سيقرأ كل شيء ليقرّر الأجزاء التي يجب نشرها.

ما حدث اليوم في المختبر كان مُزعجا للغاية.

كنتُ قد عَرَجتُ في وقتٍ سابق من هذا الليلة على المكتب كي أسأل الطبيب شتراوس أو الأستاذ نيمور عمّا إذا كان بمقدوري أن أطلب من أليس كينيان الخروج معي إلى السينما، ولكن قبل أن أطرق الباب، سمعتهما يتجادلان معا. ما كان ينبغي لي أن أبقى، لكن من الصعب عليّ التخلص من عادة الاستماع لأن الناس كانوا يتحدثون عني دائما ويتصرفون كما لو أنني كنت غير موجود، كما لو

أنهم لم يهتمّوا قطّ لما أسمعه أثناء استراقي للسمع.

سمعتُ أحدا يضرب على المكتب، وبعدها صاح الأستاذ نيمور قائلا: «سبق وأن أبلغتُ لجنة المؤتمر بأننا سنقدّم الورقة البحثية في شيكاغو».

ثم سمعت صوت الطبيب شتراوس: «لكنك مخطئ يا هارولد. ستة أسابيع من الآن تظل فترة مبكرة للغاية. إنه ما يزال في طور التغيّر».

وبعدها نيمور: «لقد توقعنا النمط بشكل صحيح حتى الآن. من حقنا أن نقدم تقريرا أوليا. أؤكد لك يا جاي، ما من شيء يدعو للخوف. لقد نجحنا. الأمر كله إيجابي. لا يمكن إلا أن تسير الأمور على ما يرام».

شتراوس: «هذا الأمر مهم للغاية لنا جميعا ولا يمكن أن نعرضه هكذا علنا في وقت سابق لأوانه. إنك تجعل السلطة بين يديك...»

نيمور: «لا تنسَ أنّني العضو الأعلى رتبة في هذا المشروع».

شتراوس: «ولا تنسَ أن سمعتك ليست الوحيدة التي على المحك. إذا قدّمنا ادعاءات كثيرة الآن، فسنتسبب بفتح النار على فرضيتنا بالكامل».

نيمور: «لم أعد أخشى التراجع. لقد تحققت من كل شيء مرارا وتكرارا. لن يتسبب التقرير الأولي في إلحاق أي ضرر. إنني واثق الآن من أن كل شيء سيسير على النحو الصحيح».

استمر الجدال بهذه الطريقة مع قول شتراوس إن نيمور طامع في كرسي علم النفس في هالستون، وقول نيمور إن شتروواس يتسلق على أكتاف أبحاثه النفسية. بعدها قال شتراوس إن الجراحة النفسية وأنماط حقن الإنزيمات قد ساهمت في المشروع بقدر مساهمة نظريات نيمور، وإنّ الآلاف من جرّاحي الأعصاب حول العالم سيستخدمون أساليبه ذات يوم، لكن نيمور ذكّره عند هذه المرحلة بأن هذه الأساليب الجديدة لم تكن لترى النور لولا نظريته الرئيسية.

وتبادلا المسمّيات -انتهازي، سوداوي، متشائم- ووجدت نفسي مرعوبا. أدركت فجأة أنه لم يعد يحق لي الوقوف هناك خارج المكتب والاستماع لما يدور دون علمهما. ربما لم يكونا ليهتمّا بذلك عندما كنت بليد العقل ولا أفهم ما يجري، لكن بما أنني قادر الآن على الفهم، فلن يرغبا في أن أستمع. غادرت دون معرفة النتيجة.

كان الظلام قد حل، وسرت لفترة طويلة كي أحاول معرفة سبب خوفي. كنت أراهما بوضوح للمرة

الأولى؛ ليس كآلهة أو أبطال، بل مجرد رجلين خائفين من خروج عملهما عن السيطرة. لكن إن كان نيمور محقا، وكانت التجربة ناجحة، فما أهمية ذلك؟ هنالك الكثير لنفعله، وأمامنا الكثير من الخطط التي يتعيّن وضعها.

سأنتظر حتى الغد كي أستأذن منهما للخروج مع الأستاذة كينيان إلى السينما من أجل الاحتفال بعلاوتي.

أبريل ٢٦- أعلم أنه لا يجب عليّ التسكع في الكلّية بعد انتهائي من المختبر، لكن رؤية هؤلاء الفتية والفتيات الصغار يروحون ويجيئون حاملين الكتب، وسماع نقاشاتهم بشأن كل الأشياء التي يتعلمونها في فصولهم الدراسية، يملؤني بالحماس. ليتني أستطيع الجلوس معهم والتحدث سوية ونحن نحتسي القهوة في المطعم المخصص للغداء في الحرم الجامعي، حيث يجتمعون لمناقشة الكتب والسياسة والأفكار. من المشوّق سماعهم وهم يتحدثون عن الشعر والعلم والفلسفة؛ عن شكسبير وميلتون ونيوتن وأينشتاين وفرويد، عن أفلاطون وهيجل وكانط، وكل الأسماء التي يتردّد صداها في عقلي كأجراس كنيسة مهيبة.

أستمع أحيانا إلى المحادثات التي تدور على الطاولات المحيطة بي، وأتظاهر بأنّني طالب

جامعي، على الرغم من كوني أفوقهم عمرا. أحمل معي كتبا، كما بدأت بتدخين الغليون. الأمر ساذج، لكنّي أشعر -بما أنني أنتمي إلى المختبر- بأنّي جزء من الجامعة. أكره الذهاب إلى المنزل لتلك الغرفة الموحشة.

٢٧ أبريل- كوّنت بعض الصداقات في الحرم الجامعي. كانوا يتناقشون عمّا إذا كان شكسبير قد كتب حقا مسرحيّاته. قال أحد الفتيان -الفتى السمين ذو الوجه المتعرّق- إن مارلو هو من كتب جميع مسرحيات شكسبير. لكن ليني، الفتى القصير ذا النظارات الداكنة، لم يصدق ذلك الكلام المذكور عن مارلو، وقال إن الجميع يعلم أن السير فرانسيس بيكون هو الذي كتب المسرحيات لأن شكسبير لم يذهب إلى الجامعة ولم يتلق التعليم الواضح في تلك المسرحيات. ذلك عندما قال الشخص الذي يرتدي قبعة المستجدين إنه سمع شخصين في غرفة الرجال يتحدثان بشأن كيف أن مسرحيات شكسبير مكتوبة في الأصل بقلم امرأة.

وتحدثوا عن السياسة والفن والرب. كانت هذه المرة الأولى التي أسمع فيها شخص يتحدث عن احتمالية عدم وجود إله. دبّ هذا الرعب فيّ، لأنني بدأت، للمرة الأولى في حياتي، في التفكير في معنى الرب.

بتّ أفهم الآن أنّ أحد أهم أسباب الالتحاق

بالجامعة وتلقي التعليم يتمثل في إدراك عدم صحّة أشياء كنت تؤمن بها طوال حياتك، وفي كون الأشياء لا تبدو كما هي عليه حقا.

وفي كل مرة يخوضون فيها الأحاديث والنقاشات، أشعر بالإثارة تتقد في داخلي. هذا ما أردت فعله؛ الذهاب إلى الكُلّية وسماع الناس يتحدثون عن أشياء مهمة.

صرت الآن أقضي معظم وقت فراغي في المكتبة؛ أقرأ وأستوعب قدر ما يُمكنني من الكتب. لا أركز على شيء مُعيّن، فقط أقرأ الكثير من القصص حاليا -دوستويفسكي، وفلوبير، وديكنز، وهمنغواي، وفولكنر- كلّ ما تقع عليه يداي لتغذية نهمٍ لا يُمكن إشباعه.

٢٨ أبريل- في حلم الليلة الماضية سمعت أمي تصرخ في أبي وفي المعلِّمة في المدرسة الابتدائية ب.س ١٣ (مدرستي الأولى قبل أن ينقلوني إلى ب.س ٢٢٢)...

«إنه طبيعي! إنه طبيعي! سوف يكبر كالآخرين. بل أفضل من الآخرين». كانت تحاول خدش المُعلّمة، لكن أبي كان يُمسك بها ليمنعها من ذلك.

«سوف يذهب إلى الكلّية ذات يوم. سيكون شخصًا ذا شأن». كانت مستمرة في الصراخ، وتحاول مقاومة

أبي بكل قوّتها كي تُفلت منه. «سوف يذهب إلى الكلّية ذات يوم. سيكون شخصًا ذا شأن».

كُنّا في مكتب مدير المدرسة، وكان هناك الكثير من الناس الذين يبدو عليهم الشعور بالحرج، لكن المدير المساعد كان يبتسم ويدير رأسه كي لا يراه أحد.

كان للمدير في حُلُمي لحيةٌ طويلة، وكان يحوم في الغرفة ويشير نحوي. «سيتعيّن عليه الذهاب إلى مدرسة خاصة. ضعه في دار ومدرسة وارين ستيت للتدريب. لا يمكننا السماح بوجوده هنا».

كان أبي يجرّ والدتي من مكتب المدير، وكانت تصرخ وتبكي أيضا. لم أرَ وجهها، لكنّ دموعها الحمراء الكبيرة ظلّت تتساقط وتتناثر عليّ...

هذا الصباح، استطعت تذكّر الحلم، لكنه الآن يضم أمورا أكثر... تتمكن ذاكرتي من شق طريقها عبر الضباب؛ إلى الوراء عندما كنت بعمر السادسة حين وقع هذا كلّه. قبل ولادة نورما مباشرة. أرى أمي، امرأة نحيلة داكنة الشعر، تتحدث بسرعة كبيرة وتستخدم يديها أكثر من اللازم. وجهها، كالعادة، ضبابيّ. شعرها مربوط ككعكة، ويدها ترتفع نحوه، تلمسه وتربّت عليه لتُمَلّسه، كما لو أنها تتأكد من أنّه ما يزال موجوداً. أتذكّر أنها كثيرا ما

كانت تلاحق والدي بحركةٍ وحديثٍ سريعين، كطائرٍ أبيض كبير، وكان والدي المُتعَب أثقل من أن يتمكن من الهرب من زعيقها.

أرى تشارلي، واقفًا وسط المطبخ، يستمتع بلعبته الـدوارة ذات الخــرز والحلقـات الزاهيـة الألـوان والمربوطة بخيط. يرفع الخيط بيدٍ واحدة ويلفّ الحلقات، فتدور بين تسارع وتباطؤ، في توهّجاتٍ دوّارةٍ لامعة. إنه يقضي ساعات طويلة في مراقبة اللعبة الدوّارة. لا أدري من صنعها له، أو ما حدث لها، لكنّني أراه واقفا في ذهول، مشدوها بالخيط الذي ينحلّ نحو الأسفل فيجعل الحلقات تدور.

تصرخ عليه بالرفض، تصرخ على والده. «لن آخذه. ما من خطبٍ به».

«لن يكون من الجيد التظاهر أكثر من ذلك بعدم وجود خطبٍ به يا روز. انظري إليه يا روز، عمره ست سنوات و-»

«إنه ليس أحمقًا. إنه طبيعي. سيصبح مثل أيّ شخص آخر».

ينظر بحزنٍ إلى ابنه المُمسك باللعبة، فيبتسم تشارلي ويرفعها ليريه مدى جمالها وهي مُستمرّة بالدوران.

«أبعِد ذلك الشيء!» صرخت أمي، ودفعت اللعبة من يد تشارلي، فسقطت وتحطمت عبر أرضية المطبخ. «اذهب والعب بمكعبات الحروف الأبجدية خاصّتك».

يقف هناك، مذعوراً من الهيجان المفاجئ. ينكمشُ مرتعدا، دون أن يدري ما الذي ستفعله. يبدأ جسده في الارتجاف. يتجادلان، ويتسبب تعالي الأصوات المتحركـة جيئة وذهـابا فـي ضـغطٍ يعصـره مـن الداخل، وفي شعورٍ بالهلع.

«اذهب إلى الحمام يا تشارلي. إياك أن تجرؤ على فعلها في بِنطالك».

يريد طاعتها، لكن ساقيه أضعف من أن تتحركا. يرتفع ذراعاه نحو الأعلى بطريقةٍ تلقائيّة لتفادي الضربات.

«بحق الإله يا روز، دعي الطفل وشأنه. لقد أفزعتِه. إنك تفعلين هذا دائما. والطفل المسكين»

«لم لا تساعدني إذن؟ عليّ أن أفعل كل شيء بنفسـي. إنـي أحـاول تعليمـه كـلّ يـوم، أحـاول مساعدته على اللحاق بالآخرين. إنه بطيء فقط، هذا كل ما في الأمر. يمكنه التعلّم مثل أي شخص آخر».

«أنتِ تخدعين نفسكِ يا روز. هذا ليس عدلًا، سواء لنا أو له. التظاهر بأنه طبيعي. دفعه هكذا كحيوان يمكنــه تعــلّم أداء بعـض الحيـل. لـم لا تـدعينه وشأنه؟»

telegram @tea_sugar

«لأنني أريده أن يكون مثل أي شخصٍ آخر».

ومع استمرار الجدال، يتعاظم الشعور الذي يعصر تشارلي من الداخل. يشعر وكأن أمعاءه ستنفجر، ويعلم أنّ عليه الذهاب إلى الحمّام كما أخبرَته مرات عديدة. لكنه لا يستطيع المشي. يشعر برغبة في الجلوس هناك مباشرة في المطبخ، لكنّ هذا فعلٌ خاطئ، وستصفعه.

يريد لعبته. إن كانت لعبته معه، وجلس يشاهدها وهي تدور وتدور، فسيتمكّن من السيطرة على نفسه ولن يفعلها في بِنطاله. لكن أجزاء اللعبة قد تفككت، وتناثرت بعض الحلقات تحت الطاولة، وبعضها الآخر تحت المغسلة، والخيط موجود بالقرب من الموقد.

إنّه لأمر غريب للغاية؛ أن أتمكن من تذكر أصواتهم بوضوح لكن أعجز رغم ذلك عن رؤية وجوههم التي ما تزال ضبابيّة، ولا أرى سوى خطوط عامّة. أبي ضخمٌ ومتثاقل. أمي نحيلةٌ وسريعة. ومع سماعي لهما الآن، يتجادلان معا عبر السنوات،

تنتابني رغبة عارمة في أن أصرخ عليهما: «انظرا إليه! قابعٌ هناك! انظرا إلى تشارلي! إنه بحاجة إلى الذهاب لدورة المياه!»

يقف تشارلي متشبثا بقميصه الأحمر ذي المربعات، يجذبه ويعبث به، أثناء تجادلهما حوله. الكلمات شرارات غاضبة متقاذفة بينهما؛ شعورٌ بالغضب والذنب لا يمكنه التعرّف عليه.

«سوف يعود في شهر سبتمر القادمِ إلى مدرسة ب.س ١٣ وسيعيد واجبات الفصل الدراسي مرة أخرى».

«لمِ لا تدعين نفسك تبصر الحقيقة؟ تقول المُعلّمة إنه يفتقر إلى القدرة على أداء الواجبات في صفٍّ طبيعي».

«تلك المعلمة الفاسقة؟ عندي أسماء أفضل تناسبها. دعها تعاود الكرّة معي وسأفعل ما هو أكثر من مجرد مراسلة هيئة التدريس. سأقتلع عينَي تلك العاهرة القذرة من مكانيهما. لمَ تتلوّى هكذا يا تشارلي؟ اذهب إلى الحمّام. اذهب بنفسك. أنت تعرف الطريقة».

«ألا ترين أنه يريد منكِ اصطحابه؟ إنّه مذعور».

«لا دخل لكَ بهذا. إنه قادر تماما على الذهاب إلى الحمّام بنفسه. يقول الكتاب إن هذا يرفع من ثقته

بنفسه ويمنحه شعورا بالإنجاز».

يغمره الشعور بالرعب المحدق به في تلك الغرفة الباردة. إنه خائف من الذهاب إلى هناك بمفرده. يمدّ يده ليتمسّك بيدها، ويردّد بصوتٍ يملؤه النحيب: «حمّا...حمّا...» فتصفع يده لتبعدها عنه.

«ليس بعد الآن،» تقول بصرامة. «أنت فتى كبير الآن. تستطيع الذهاب بمفردك. هيا انطلق الآن بسرعة نحو ذلك الحمام وأنزل بنطالك كما علّمتُك. أُحذِّرك؛ سوف أضربك إذا فعلتَها في بِنطالك».

أستطيع تقريبا أن أشعر به الآن، التمدّد والتلبّك في أمعائه بينما يقف الاثنان في انتظار رؤية ما سيفعله. يتحوّل نشيجه إلى بكاء خافت لأنه فقد فجأة القدرة على التحكم فيه، ويشهق ويغطّي وجهه بيديه بينما يوسّخ نفسه.

إنه لين ودافئ، وينتابه خليطٌ مُحيّر من مشاعر الراحة والخوف. إنّه يخصّه، لكنّها كعادتها ستأخذه منه. ستأخذه منه وتحتفظ به لنفسها. وستضربه. تتجه نحوه وهي تصرخ بأنه فتى سيئ، ويركض تشارلي نحو والده طلبا للمساعدة.

وفجأة، أتذكّر بأن اسمها روز واسمه مات. يا له من أمرٍ غريب؛ أن تنسى اسميْ والديك. وماذا عن نورما؟ غريب كيف أنّني لم أفكّر فيهم جميعا لفترةٍ طويلة.

ليتني أستطيع رؤية وجه مات الآن، لأعرف ما كان يجول في ذهنه في تلك اللحظة. كل ما أتذكره أنها عندما بدأت بضربي، أدار مات جوردن ظهره وخرج من الشّقة.

كم أتمنى لو أستطيع رؤية وجهيهما على نحوٍ أوضح.

تقرير تطوّر ١١

١ مايو- لِمَ لمْ تسبق لي ملاحظة مدى جمال أليس كينيان؟ لديها عينان بُنّيتان رقيقتان كعينيْ حمامة، وشعر بني كثيف ينسدل على صفحة رقبتها. وعندما تبتسم، تبدو شفتاها الممتلئتين كما لو أنّهما مزمومتان في عبوس.

ذهبنا إلى السينما، ثم إلى العشاء. لم أشاهد الكثير من الشريط الأوّل لأن وعيي بوجودها إلى جانبي كان كبيرا. لمَسَت ذراعها العارية مسند الذراع الخاص بي مرتين، وفي المرّتين، دفعني الخوف من أن تشعر بالانزعاج إلى التراجع. كانت بشرتها الناعمة الموجودة على بعد بوصاتٍ منّي هي كل ما يشغل تفكيري حينها. ثم رأيت، أمامنا بصفّين، شابا قد لفّ ذراعه حول فتاته، وانتابتني رغبةٌ في لفّ ذراعي حول الأستاذة كينيان. أمرٌ مُرعب. لكن إن فعلتُها ببطء... أولًا، أُريح ذراعي على ظهر مقعدها.. ثم أتحرك نحو الأعلى... بوصةً بوصة... لأضعها بالقرب من كتفيها ومؤخرة رقبتها...وكأنّ الأمر مُصادفة.

لم أجرؤ.

كان أفضلُ ما استطعت فعله هو وضع كوعي على ظهر مقعدها، لكن مع بلوغي تلك النقطة، كان عليّ

تغيير وضعية جلوسي كي أمسح العرق عن وجهي ورقبتي.

ومرّةً لمَست ساقُها ساقي بالصدفة.

أصبح الأمر بمثابة محنةٍ شديدة -مؤلمة للغاية- لدرجةِ أنّني أجبرت نفسي على الانشغال في شيء آخر عدا التفكير بها. كان الفيلم الأول حربيا، ولم أنتبه سوى لنهايته، حيث يعود الجندي الأمريكي إلى أوروبا ليتزوج المرأة التي أنقذت حياته. أما الفيلم الثاني فقد أثار اهتمامي. كان فيلما نفسيا عن امرأة ورجل يبدو أنّهما واقعان في الحب لكنّهما في الواقع يُدمّران بعضيهما. كل الأمور تشير إلى أن الرجل يعتزم قتل زوجته، لكن في اللحظة الأخيرة، يحدث أنها تصيح بشيء خلال كابوس يجعله يتذكر شيئا حدث له في طفولته. تُظهر له الذكرى المُفاجِئة أنّ كراهيّته موجّهة في الحقيقة نحو مربية فاسدة كانت ترعبه بقصصٍ مخيفة، وتركت شرخا في شخصيّته. ولحماسته بهذا الاكتشاف، يشرع في البكاء وذرف دموع الفرح لدرجة استيقاظ زوجته، فيضمّها بين ذراعيه، والمعنى الضمني هنا هو أنّ جميع مشكلاته قد حُلّت. كان زائفا ورخيصا، ولابدّ أن غضبي قد ظهر عليّ لأن أليس سألتني ما الخطب. «إنه كذبة،» أجبتُ مُوضّحا أثناء سيرنا في الردهة. «لا تسير الأمور على هذا النحو؛ هكذا بهذه

البساطة».

«كـلا بـالطبع»، أجـابت ضـاحكة. «إنـه عـالمٌ مـن الخيالات».

«كلا، هذه ليست إجابة!» قلتُ بكلّ إصرار. «يتعيّن وجود قواعد تسري حتى في عالم الخيالات. يجب أن تكون الأجزاء متّسقة وتنتمي إلى بعضها البعض. هذا النوع من الأفلام كذبة. لقد أجبرِت الأحداث على التلاؤم معا، لأن المخرج أو الكاتب أو أيا يكن أراد أن يضع هناك شيئا في غير مكانه. والأمر لا يبدو صائبا».

نظرت إليّ بتمعّن بينما كنا نخطو نحو الخارج تحت أضواء الليل الساطعة والمبهرة لميدان التايمز. «أنت تتطور بسرعة».

«أشعر بالارتباك. لم أعد أدري ما الذي أعرف».

«هذا لا يهمّ» قالت بإصرار. «لقد بدأتَ ترى الأشياء وتفهمُها.» ولوّحت بيدها في محاولة لإمساك أضواء النيون والمواد اللامعة التي كانت تحيط بنا أثناء عبورنا إلى الجادة السابعة. «لقد بدأتَ ترى ما وراء سـطح الأشـياء. مـا تقولـه بشـأن الأشـياء ووجـوب تلاؤمها معًا؛ كان ذلك تبصُّرا ممتازا جدا».

«أوه، بربّك. لا أشعر بأنّني أُنجزُ شيئا. لا أفهم أمورا

بشأن نفسي أو ماضيّ. إنّني لا أعرف حتى مكان والديّ، أو كيف يبدوان. أتعلمين أنّي حينما أراهما في ذكرى خاطفة أو في أحلامي، يكون وجهاهما ضبابيّين؟ أريد أن أرى تعبيراتهما. لا أستطيع أن أفهم ما يحدث ما لم أتمكّن من رؤية وجهيهما...».

«اهدأ يا تشارلي». كان الآخرون قد بدأوا في الالتفات والتحديق. دسّت ذراعها خلف ذراعي وجذبتني نحوها في محاولةٍ منها لكبح جماحي. «تحلّ بالصبر. لا تنسَ أنّك تُنجز في أسابيع ما يستغرق آخرون لإنجازه عُمرًا بأكمله. أنت أشبه بإسفنجةٍ عملاقة منقوعة في المعرفة، وعمّا قريب، ستبدأ في ربط الأمور ببعضها البعض، وستُدرك الصِّلات والروابط بين جميع عوالم التعلّم المختلفة. جميع المستويات يا تشارلي؛ كخطواتٍ على سلّمٍ عملاق. ستصعد أعلى فأعلى، وسترى المزيد والمزيد من العالم المحيط بك».

وأثناء دخولنا المقصف الموجود في شارع ٤٥ والتقاطنا صواني الطعام خاصّتنا، تحدّثَت بكل حماسة، وقالت «إنّ رؤية الأشخاص العاديّين قاصرة للغاية ومحدودة. إنهم غير قادرين على تغيير الكثير أو التقدم لدرجة أعلى من تلك التي يكونون عليها، لكنّك عبقري. سوف تستمرّ في الصعود نحو الأعلى ورؤية المزيد. سوف تكشف

لك كل خطوة تخطوها عن عوالم لم يكن ليخطر وجودها على بالك».

التفتَ الناس الواقفون في الطابور ممن سمعوا حديثها نحوي وحدّقوا في وجهي، ولم تخفض صوتها إلا بعدما وكزتها بلطف كي تتوقف. ثم قالت هامسة «أدعو الله فقط ألّا تُصاب بأيّ أذى».

ظللتُ صامتا حينها لبرهة لا أدري ما أقول. طلبنا طعامنا عند منضدة الطلب وحملناه إلى طاولتنا وأكلنا دون أن نتحدث. أصابني كل هذا الصمت بالتوتر. كنت أعرف سبب خوفها لذا استخدمت المزاح في الحديث عنه.

«ولم قد أصاب بأذى؟ لن أكون أسوأ حالًا مما كنت عليه في السابق. حتى ألغيرنون ما يزال ذكيا، أليس كذلك؟ طالما أنه موجود هناك في الأعلى، فأنا بخير». كانت تعبث بسكّينها في الزبدة، مُشكّلة حفـرا دائريـة، وقـد تسبّبت الحركـة فـي تنويمـي مغناطيسيا. «ثم إنّني سمعت بالصدفة شيئا ما؛ في أثناء جدال الأستاذ نيمور والطبيب شتراوس، قال الأستاذ نيمور إنه واثق أن كل شيء سيسير على ما يرام».

«آمل ذلك»، أجابت قائلة. «أنت لا تملك أدنى فكرة عن مدى خوفي من حدوث شيء خاطئ. أشعر بأنني

أتحمل جزءً من المسؤولية».

رأتني أحدق في السكين فوضعته بحذر إلى جانب صحنها.

«لم أكن لأفعلها، لكنني فعلتُها لأجلك».

فأطلقَت ضحكة جعلتني أرتعد. كانت تلك هي اللحظة التي رأيتُ فيها أن لون عينيها بنّيٌ رقيق. خفضــت نظرهــا سـريعا بـاتجاه غطـاء الطاولـة، واحمرّت خجلا.

«شكرا لك يا تشارلي». وأمسكَت بيدي.

كانت هذه المرة الأولى التي يفعل فيها أحدٌ هذا، وقد جعلني أكثر جسارة. انحنيتُ نحو الأمام، وأنا ممسكٌ بيدها، وخرجت الكلمات من فمي. «أنا معجب بكِ للغاية». خشيت، بعد نطقي بها، أن تضحك، لكنّها هزّت رأسها وابتسَمت.

«أنا أيضًا مُعجبةٌ بك يا تشارلي».

«لكنّ شعوري يتجاوز الإعجاب.. ما أقصده... أوه، اللعنة! لا أدري ما أقصد».

كنتُ أعلم أنني أحمرّ خجلا، ولم أدرِ إلى أين أنظر ولا ماذا أفعل بيديّ. أوقعتُ شوكة بالخطأ، وعندما انحنــيتُ لاســترجاعها، أسـقطت كوبـا مـن المـاء

وانسكب على فستانها. فجأة، وجدتُّ نفسي وقد صرتُ أخرقا ومُحرجا من جديد، وعندما حاولتُ الاعتذار، تضخّم لساني في فمي.

«لا بأس يا تشارلي» قالت، في محاولة منها لطمأنتي. «إنّه مجرد ماء. لا تدع الأمر يزعجك على هذا النحو».

وفي سيّارة الأجرة ونحن في طريقنا إلى المنزل، كنا صامتَين لفترة طويلة، ثمّ وضعَت حقيبتها جانبا وعدَّلَت ربطةَ عنقي ونفَخَت المنديل الذي في جيب الصدر لديّ، وقالت:

«لقد كنتَ منزعجا للغاية الليلة يا تشارلي».

«أشعر بالسُّخف».

«لقد أزعجتُك بالحديث عن الأمر. جعلتُك واعيا بذاتك وأشعرتُك بالإحراج».

«هذا ليس السبب. ما يزعجني هو عجزي عن التعبير عن مشاعري بالكلمات».

«هذه المشاعر جديدة عليك. ليس ضروريا أن يُوضع كل شيء... في كلمات».

اقتربتُ منها وحاولتُ الإمساك بيدها مجدّدًا، لكنّها ابتعدت».

«كلا يا تشارلي. لا أعتقد أن هذا جيّد بالنسبة لك، وقد يُحدثُ تأثيراً سلبيًّا عليك.»

شعرتُ، عندما أحبطتني، بالإحراج والسخف في آن. جعلني الأمر غاضبا من نفسي، ثم ابتعدتُّ عائدا إلى جانبي من المقعد وشَرَعتُ في التحديق عبر النافذة. لقد كرَهتُها كما لم أكره أحدا من قبل؛ بإجاباتها السهلة وقلقِها الأموميّ. أردّتُ أن أصفع وجهها، أن أجعلها تزحف، ثمّ أحضُنُها بين ذراعيّ واقبّلها.

«أعتذر إن كنتُ قد أزعجتك يا تشارلي».

«انسيْ الأمر».

«لكن عليك أن تفهم ما يحدث».

«أفهمه جيدا»، أجبت. «وأفّضل ألّا أتحدّث عنه».

وبحلول الوقت الذي وصلت فيه سيارة الأجرة إلى شقّتها في شارع ٧٧، كان البؤس قد بلغ منّي مبلغه.

قـالت «اسمع، هـذه غلطتـي. مـا كـان ينبغـي لـي الخروج معك الليلة».

«نعم، أدركُ ذلك الآن».

«ما أعنيه هو أنه لا يحقّ لنا وضع هذا على مستوى شخصي... عاطفيّ. لديك الكثير لتفعله. لا يحقّ لي

دخول حياتك في هذا الوقت».

«وهذه مشكلتي أنا. أليس كذلك؟»

«أليست كذلك؟ لم يُعد هذا شأنا خاصا بك يا تشارلي. أصبح عليك التزامات الآن، ليس للأستاذ نيمور والطبيب شتراوس فحسب، بل للملايين الذين قد يتّبعون خُطاك».

وكلما تحدّثَت بهذه الطريقة، ساء شعوري أكثر. لقد أشارت بوضوح إلى غرابتي وارتباكي، وافتقاري إلى المعرفة بشأن الأمور الصائبة التي يجب قولها أو فعلها. كنتُ مُجرّد مراهقٍ مُتخبّطٍ في نظرها، وكانت تحاول رفضي بلطف.

وبينما كنّا واقفين عند باب شقّتها، استدارت وابتسمت، وخِلتُ لوهلة أنها ستدعوني للدخول، لكنّها همست وحسب قائلة:

«ليلة سعيدة يا تشارلي، وشكرًا على الأمسية الرائعة».

أردتُّ أن أقبّلها وأن أتمنى لها ليلة سعيدة. كان الأمر يشغل بالي في وقت سابق. ألا تتوقع المرأة أن تُقبّلها؟ في الروايات التي قرأتُها، والأفلام التي شاهدّتُها، يبادرُ الرّجل. كنتُ قد قرّرتُ الليلة الماضية أن أقبّلها. لكنّني لم أنفكّ عن التفكير: ماذا

لو رفضتني؟

اقتربتُ منها ووضعتُ يدي على كتفها، لكنّها كانت أسرع منّي. أوقفتني وأخذت يدي ووضعتها بين يديها، وقالت «من الأفضل أن نتمنى لبعضنا ليلة سعيدة على هذا النحو فقط يا تشارلي، لا يمكننا أن ندع هذا يصبح شخصيا. ليس بعد».

وقبل أن أُبدي اعتراضي أو أحاول سؤالها عمّا قصدته بقولها ليس بعد، كانت قد دخلت. «ليلة سعيد يا تشارلي، وأشكرك مرة أخرى على الأمسية الرائعة جدا...جدا»، وأغلقت الباب.

كنتُ أشتعلُ غيظًا وحَنقا؛ منها، ومن نفسي، ومن العالم، ولكن بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى المنزل، أدركت أنها كانت مُحقّة. والآن، لا أدري ما إذا كانت تهتمّ لأمري حقا أم أنها كانت تتصرف بلطفٍ وحسب. ما الذي قد يُعجبها فيّ؟ ما يجعل الأمر مُحرجًا وغريبًا هو أنني لم يسبق لي وأن اختبرت شيئا كهذا. كيف يتعلّم شخص كيفية التصرف تجاه شخصٍ آخر؟ كيف يتعلم رجل كيفية التصرّف تجاه امرأة؟

الكتب لا تقدم الكثير من المساعدة.

لكن في المرّة القادمة، سأتمنى لها ليلة سعيدة وأقبّلها.

٣ مايو- يتمثّل أحد الأمور التي تجعلني في حيرة من أمري في أنني لا أعرف متى تحضر الأشياء من ماضيّ حقا؛ هل حدثت بالفعل على هذا النحو، أم أن هذا ما بدت عليه في ذلك الوقت، أم أنّها من اختراعي. أنا مثل شخص قضى حياته كلها نصف نائم، يحاول الآن معرفة كيف كان حاله قبل أن يستيقظ. يبدو كلّ شيء بطيءَ الحركة وضبابيًّا على نحوٍ غريب.

راودني كابوسٌ الليلةَ الماضية، وعندما استيقظت، تذكّرتُ أمرًا.

أولًا، الكابوس: أركض في ممرٍّ طويل، وقد أعمتني دوّامات الغبار. في بعض الأحيان، أركض نحو الامام، ومن ثم أدور في مكاني وأعود للركض باتجاه الخلف، لكنّني مذعور لأنني أخفي شيئا في جيبي. لا أعرف ماهيّته ولا من أين حصلت عليه، لكنني أعرف أنهم يريدون أخذه مني، وهذا ما يجعلني مرعوبًا.

يتهاوى الجدار، وفجأة، أجد فتاة صهباء، ذراعاها ممدودان نحوي، ووجهها قناعٌ فارغ. تضمّني بين ذراعيها، وتقبّلني وتلاطفني، وأريد احتضانها بقوّة لكنني خائف: كلما زاد لمسها لي ازداد شعوري بالذُّعر، لأنّني أعلم أنّه يجب عليّ ألّا ألمس فتاةً

أبدا. بعد ذلك، وبينما تفرك جسدها في جسدي، أشعر ببقبقة وخفقان غريبين في داخلي يجعلانني أشعر بالدفء. لكن وعندما أتطلّع نحوها، أرى بين يديها سكينا مُضرّجَةً بالدماء.

أحاول الصراخ بينما أهمّ بالركض، لكن الصوت ينحبس في حلقي، وجيوبي فارغة. أبحث في جيوبي لكنّني لا أعرف ما أضعت ولا سبب إخفائي له. أعرف فقط أنه اختفى، وأن هنالك دماءً على يدي أيضا.

عندما استيقظت، فكّرتُ في أليس، وانتابني شعور الهلع ذاته الذي كان في حلمي. ممّ أنا خائف؟ أمرٌ متعلّق بالسكين.

أعددتُ لنفسي كوبًا من القهوة ودخّنت سيجارة. لم يسبق لي أن رأيت حلمًا كهذا، وكنت أعلم أنه مرتبط بأمسيتي مع أليس. أدركتُ أنني قد بدأت أفكّرُ فيها بطريقةٍ مختلفة.

ما يزال التداعي الحر صعب المراس لأن التحكم بتوجّه أفكارك أمر شاق... أن تدع عقلكَ منفتحا وتسمح لأي شيء بالتدفق فيه... الأفكار تبقبق على السطح كحمّام فقاعات... امرأة تستحم... فتاة... نورما تستحمّ... أنا أشاهد من خلال ثقب المفتاح... وعندما تخرجُ من الحوض لتجفّف نفسها، أرى أن جسدها مختلفٌ عن جسدي. شيءٌ مفقود.

أركض عبر الممر... أحدهم يلاحقني... ليس أحدا... مجرد سكين مطبخ كبيرة ولامعة. وأنا خائف وأبكي لكن الصوت لا يخرج لأن رقبتي مقطوعة وأنا أنزف.

«أماه، تشارلي يتلصّص عليّ عبر ثقب المفتاح...»

لمَ هي مختلفة؟ ماذا حدث لها؟ ... دماء... نزيف... حجرة صغيرة مظلمة...

ثلاثة فئران عمياء... ثلاثة فئران عمياء،

انظر كيف تركض! انظر كيف تركض!

تركض جميعا وراء زوجة المُزارع،

تقطع أذيالها بسكينة نحت،

هل رأيت في حياتك مثل هذا المنظر،

كثلاثة... فئران... عمياء؟

تشارلي بمفرده في المطبخ في الصباح الباكر. الجميع نائمون، أمّا هو فيسلّي نفسه بلعبته الدوّارة. يندفع أحد أزرار قميصه أثناء انحنائه، ويتدحرج عبر النّمط الخطّي المُعقّد لمشمّع أرضيّة المطبخ. يتدحرج ناحية الحمام، ويتبعه، لكنه يفقد أثره. أين الزّر؟ يدخل الحمام في سبيل العثور عليه. هنالك خزانة في الحمام توجد فيها سلة الملابس، ويُعجبه أن يُخرج كل الملابس ويتفرّج عليها. أغراض والده

ووالدته...وفساتين نورما. يعجبه أن يرتديها ويتظاهر بأنه نورما، لكنّه عندما فعل ذلك مرّة، ضربته أمه على فعلته. وهناك، في سلة الملابس، يعثر على ملابس نورما الداخليّة، وعليها دماء جافة. ما الخطأ الذي ارتكَبَته؟ كان مرعوبا. أيا كان الذي فعل ذلك فربما يأتي للبحث عنه...

لِمَ يحتفظ عقلي بذكرى من الطفولة بهذه القوّة، ولم تخيفني الآن؟ هل للأمر علاقة بمشاعري تجاه أليس؟

بالتفكير في الأمر الآن، أستطيع أن أتفهّم السبب الذي جعلهم يعلّموني الابتعاد عن النساء. كان إعرابي عن مشاعري لأليس أمرا خاطئا. لا أملك الحق في التفكير في امرأة بهذه الطريقة؛ ليس بعد.

ولكن حتى مع كتابتي لهذه الكلمات، ثمة شيء بداخلي يصرخ بوجود المزيد. أنا شخص. لقد كنت شخصا ما قبل خضوعي لسكّين الجرّاح. ويجب أن أحبّ أحدا ما.

مايو ٨- حتى الآن، وبعد أن علمتُ بما يجري دون علم السّيد دونر، أجد صعوبة في تصديقه. في البداية، لاحظتُ وجود خطبٍ ما في فترة الذروة منذ يومين. كان جيمبي وراء منضدة الحساب يجهزّ

كعكة عيد ميلاد لأحد زبائننا الدائمين، وهي كعكة تباع بسعر ٣.٩٥ دولار. لكن عندما سجّل جيمبي عملية البيع، أظهر السجل مبلغ ٢.٩٥ دولار فقط. شرعت في إخباره بأنه قد ارتكب خطأ، لكن رأيت في المرآة التي على منضدة الحساب، رأيت الزبون يمرّر غمزة وابتسامة لجيمبي، ثم ردّ جيمبي عليه بابتسامة. وعندما أخذ الرجل باقي نقوده، رأيت وميض عملة فضية كبيرة متروكة في يد جيمبي، قبل أن تقبض أصابعه عليها، والحركة السريعة التي دسّ بها النصف دولار في جيبه.

«تشارلي»، نادتني امرأة من ورائي: «أهناك المزيد من حلوى الاكلير المحشوّة بالكريمة هذه؟»

«سأذهب للخلف وأتأكد».

سررتُ بهذه المقاطعة لأنها منحتني وقتا للتفكير فيما رأيتُه. من المؤكد أن جيمبي لم يرتكب خطأ. لقد تعمّد تقليل التكلفة للعميل، وكان هنالك نوع من الاتفاق بينهما.

اتّكأتُ بهدوء على الجدار، دون أن أدري ماذا أفعل. عمل جيمبي لصالح السيد دونر لأكثر من خمسة عشر عاما. لقد دعا دونر -الذي دائما ما يعامل من يعملون لديه كالأصدقاء المقربين، كالأقارب- عائلة جيمبي إلى منزله لتناول العشاء أكثر من مرة. وكثيراً

ما كان يُعين جيمبي مسؤولاً عن المتجر عندما يضطر للخروج، كما سمعت قصصا بشأن المرات التي أعطى فيها دونر أموالا لجيمبي كي يدفع فواتير المستشفى لزوجته.

لم أستطع استيعاب كيف يمكن لأحدٍ ما أن يسرق من رجل بهذه الصفات. لا بد من وجود تفسيرٍ آخر. لقد أخطأ جيمبي حقا في عملية الحساب، أما النصف دولار فكان بقشيشا. أو لعل السيد دونر قد وضع ترتيبات خاصة مع هذا الزبون بعينه الذي يشـتري كعكـات كريميـة بـانتظام. أي شـيء عـدا تصديق أن جيمبي كان يسرق. لطالما كان جيمبي لطيفا معي.

لم أعد أريد أن أعرف. أبقيتُ نظري بعيدا عن السجل بينما كنت أخرج صينية حلوى الاكلير، وأرتّب البسكويت والكعك والفطائر.

لكن عندما دخلت المرأة الصهباء الصغيرة التي كانت تقرص خدّي دائما وتمزح بشأن العثور على صديقة حميمة لي، تذكّرتُ أنها كانت تأتي في أغلب الأحيان عندما يكون دونر في الخارج يتناول غداءه بينما يكون جيمبي هو المسؤول خلف منضدة الحساب. في معظم الأوقات، كان جيمبي يبعثني إلى منزلها من أجل توصيل الطلبات.

وبطريقة لا إرادية، عمل عقلي على حساب مجموع مشترياتها ووجده ٤.٥٥ دولار. لكنّني التفتّ ناحية الجهة الأخرى كي لا أرى ما يكتبه جيمبي في السجل النقدي. أردت أن أعرف الحقيقة، ومع ذلك كنت خائفًا مما قد أعرفه.

«٢.٤٥ دولار أيتها السيدة ويلر»، أجاب قائلا.

تسجيل البيع. عدّ الباقي. صوت إغلاق الدرج. «شكرا لك أيتها السيدة ويلر». التفتُّ في الوقت المناسب لأراه وهو يضع يده في جيبه، وأسمع الصلصلة الخفيفة الصادرة من العملات المعدنية.

كم عدد المرات التي استخدمني فيها كوسيط لتسليم الطرود لها، وتقليل حسابها، ليقتسما الفرق لاحقا؟ هل استخدمني كل هذه السنوات لمساعدته على السرقة؟

لم أستطع إشاحة نظري عن جيمبي وهو يمشي بتثاقل خلف منضدة الحساب، والعرق يتساقط من تحت قبعته الورقية. كان يبدو مفعما بالحيوية وحسن النية، لكن مع رفعِهِ لبصره انتبه لنظراتي فعبس وأدار ظهره مُبتعدا.

أردتُّ أن أضربه. أردت أن أذهب خلف المنضدة وأحطّم وجهه. لا أذكر أنّي قد كرهتُ أحدا من قبل، ولكن هذا الصباح، كرهتُ جيمبي من كلّ قلبي.

لم يقدّم صب كل هذا على الورق في هدوء غرفتي أية مساعدة. في كل مرة أفكر فيها بشأن سرقة جيمبي من السيد دونر، أشعر برغبة في تحطيم شيءٍ ما. لحسن الحظ، لا أعتقد أنّي قادرٌ على العنف. لا أعتقد انني قد ضربت أي شخص في حياتي.

لكن ما يزال عليّ أن أقرر ما سأفعله. أخبر دونر أن موظفه الموثوق كان يسرق منه طوال هذه السنوات؟ جيمبي سينكرُ الأمر، ولن أتمكن أبدا من إثبات صحة ما قلت. وما سيكون تأثير ذلك على السيد دونر؟ لا أعرف ما العمل.

٩ مايو- لا أستطيع النوم. لقد تمكّن هذا الأمر منّي. إنني أدين للسيد دونر بالكثير ولا أستطيع البقاء مكتوف اليدين وأراه يسرقه بهذه الطريقة. سأكون مذنبا كجيمبي تماما بصمتي. ومع ذلك، هل من شأني إخباره بالأمر؟ أكثر ما يزعجني هو استخدامه لي لمساعدته في سرقة دونر عندما كان يرسلني لأداء عمليات التسليم. كوني كنتُ جاهلا بالأمر يجعلني خارج دائرة الملامة. لكن بما أنني بتّ أعرف الآن، فأنا شريكه في الذنب بصمتي.

لكن من ناحية أخرى؛ جيمبي زميلي في العمل، ولديه ثلاثة أطفال. ماذا سيفعل إذا طرده دونر؟ قد

لا يكون قادرًا على الحصول على وظيفة أخرى، خصوصا مع قدمه الحنفاء.

هل هذه مشكلتي؟

ما الصواب؟ يا لها من مفارقة؛ أن يعجز كلّ ذكائي عن حل مشكلة كهذه.

١٠ مايو- سألتُ الأستاذ نيمور عن رأيه، وأصرّ على أنني متفرج بريء، وما من سببٍ يجعلني أتورّط في أمور قد تتطور إلى الأسوأ. لا يبدو أن حقيقة استعانته بي باعتباري وسيطًا تزعجه على الإطلاق. إذا لم أكن أفهم ما يجري حينها، كما يقول، فلا يهم إذن. فذنبي في هذا الأمر يشبه ذنب السكين في جريمة طعن أو السيارة في حادث تصادم.

أجبته مُجادِلًا: «لكنّني لستُ جمادًا. أنا شخص».

بدا مُرتبكًا للحظة، ثم ضحك. «بالطبع يا تشارلي. لكنني لم أكن أقصد الآن. قصدت قبل العملية».

المتعجرف المغرور. شعرت برغبة في ضربه هو الآخر. «كنتُ شخصا قبل العملية كذلك؛ في حال نسيت...»

«نعم، بالطبع يا تشارلي. لا تُسئ فهمي. لكن الوضع كان مختلفا...»

ثم تذكَّرَ أنّ عليه التحقق من بعض الرسوم البيانية في المختبر.

ليس من عادة الطبيب شتراوس التحدث كثيرا أثناء جلسات العلاج النفسي التي نخوضها، لكن عندما طرحتُ الأمر اليوم، قال إنني ملزمٌ من الناحية الأخلاقية بإخبار السيّد دونر. لكن كلما فكّرت في الأمر، ازداد تعقيدا. كان عليّ أخذُ رأي شخصٍ آخر لحسم الأمر، ولم يخطر ببالي سوى أليس. أخيرا، وفي العاشرة والنصف، لم أستطع الصمود أكثر من ذلك. اتصلتُ ثلاث مرات، وفي كل مرة كنت أقطع الاتصال في منتصفه، لكن في المحاولة الرابعة، تمكّنت من الاستمرار حتى سمعت صوتها.

في البداية، لم تظنّ أن مقابلتي ستكون فكرة سديدة، لكنّني توسلت لها كي تقابلني في المقصف حيث تناولنا الغداء آخر مرّة. «إنّني أكنّ لكِ الكثير من الاحترام. دائما ما كنتِ تقدمين لي نصائح جيّدة». وعندما كانت لا تزال متردّدة، أصررتُ عليها. «يجب عليكِ مساعدتي. أنتِ مسؤولة جزئيا. لقد قلتِ هذا بنفسك. لم أكن لأخوض الأمر من الأساس لولاكِ. لا يمكنكِ تجاهلي الآن».

لا بدّ من أنها شعرت بأن الأمر عاجل لأنّها وافقت على مقابلتي. أغلقتُ المكالمة ثمّ حدّقت في الهاتف. لماذا كانت معرفة رأيها وشعورها أمرا مهما

جدا بالنسبة لي؟ لأكثر من عام في مركز البالغين، كان إرضاؤها هو الشيء الوحيد الذي يهمّني. أهذا ما جعلني أوافق على الخضوع للعمليّة في المقام الأوّل؟

ذرعتُ الردهة أمام المقصف جيئة وذهابا حتى بدأ الشرطي يراقبني بريبة. ثم دخلتُ واشتريت قهوة. لحسن الحظ، كانت الطاولة التي استخدمناها آخر مرة فارغة. عليها أن تفكّر في البحث عنّي هناك.

رأتني ولوّحت لي، لكنّها توقفت أمام منضدة الحساب لتشتري قهوة قبل أن تأتي إلى الطاولة. ابتسَمَت، وعلمتُ أن ذلك كان لأنني اخترت نفس الطاولة. لفتة رومانسية حمقاء.

«أعرف أن الوقت متأخر»، قلتُ معتذرا، «لكن أقسم لكِ أنني كنت أفقد صوابي. كان عليّ أن أتحدّث معكِ».

ارتشَفت قهوتها واستمَعت بهدوء بينما كنت أحكي كيف اكتشفتُ غشّ جيمبي، ورد فعلي، والنصائح المتعارضة التي تلقيتُها في المختبر. عندما انتهيت، عادت بظهرها للوراء وهزّت رأسها:

«أنت تدهشني يا تشارلي. لقد أحرزتَ تقدّمًا كبيرا في بعض النواحي، لكن عندما يتعلق الأمرُ باتّخاذ القرار، فأنتَ لا تزال طفلا. لا أستطيع أن أقرّر بدلا

عنك يا تشارلي. لا يمكن العثور على الإجابة في الكتب أو حلّها من خلال ذكرها للآخرين. إلّا إذا كنتَ تريد أن تظلّ طفلا لبقيّة حياتك. يجب أن تجد الإجابة في داخلك، أن تشعر بالأمر الصائب الذي ينبغي فعله. عليك أن تتعلم الثقة بنفسك يا تشارلي».

في البداية، كنتُ منزعجا من محاضرتها، ثم فجأة، بدأ الأمر يصبح منطقيًّا.

«أتقصدين أنّ عليّ اتخاذ القرار بنفسي؟»

هزّت رأسها بالإيجاب.

قلت «في الواقع، ومع تفكيري الآن في الأمر، أظنّ أنّني اتخذتُ بالفعل جزءً منه! أعتقد أنّ كلا من نيمور وشترواس مخطئ».

كانت تراقبني من كثب، وباهتمامٍ شديد. «شيءٌ ما يحدث لك يا تشارلي. لو أنّك تستطيع فقط رؤية وجهك».

«اللعنة! أنتِ مُحقّة تماما. شيء ما يحدث. سحابة من الدخان كانت مُعلّقة أمام ناظري، وبنفخةٍ واحدة، أبعدتِها تماما. فكرةٌ بسيطة. أثقُ بنفسي. ولم يخطر لي هذا أبدا من قبل».

«أنتَ رائعٌ يا تشارلي».

أخذتُ يدها وأمسكتُ بها. «كلا، بل أنتِ. تلامسين عيني وتجعلينني قادرا على الرؤية».

احمرّت خجلا وسحَبَت يدها.

قلت «آخر مرة كنّا فيها هنا، قلتُ لكِ إنّني معجبٌ بك. كان يجب أن أثق بنفسي لأقول لكِ إنّني أحبّك».

«كلا يا تشارلي، ليس بعد».

«ليس بعد؟» أجبت صارخا. «هذا ما أخبرتني به المرة الماضية. لم لا؟»

«ششش... انتظر بعض الوقت يا تشارلي. أنهِ دراساتِك. انظر إلى أين تقودُك. أنت تتغير بسرعةٍ كبيرة».

«وما علاقة هذا بذاك؟ مشاعري نحوكِ لن تتغير لأنني أزدادُ ذكاءً. بل سأحبّكِ أكثر».

«لكنّك تتغير عاطفيا أيضا. من ناحية غريبة؛ أنا أول امرأةٍ في حياتك تفكّر فيها بهذه الطريقة. حتى الآن، كنت مُعلّمتك؛ شخصًا تلجأ إليه للحصول على المساعدة والمشورة. حتما سيجعلك هذا تظنّ أنك واقعٌ في حبي. تعرّف على نساءٍ أُخريات. امنح نفسك المزيد من الوقت».

«معنى كلامك أن الصبية يقعون دائما في حب

مدرّساتهم، وأنني مجرد صبيّ من الناحية العاطفية».

«أنت تُحرّف كلامي. كلا، لا أفكّر فيك كصبيّ».

«متخلّفٌ عاطفيا إذن».

«كلا».

«لماذا إذن؟»

«لا تدفعني يا تشارلي. لا أعلم. لقد تجاوزتَ مستواي الثقافي بالفعل. وفي غضون عدة شهور، أو حتى أسابيع، ستكون شخصا مختلفا. ربما نصبحُ غير قادرين على التواصل عندما تنضج فكريا. ربما حتى لا ترغب بي عندما تنضج عاطفيا. عليّ التفكير في نفسي أيضا يا تشارلي. لننتظر ونرى. كُن صبورًا».

كان كلامها منطقيا، لكنّني كنت أرفض الإنصات. «تلك الليلة،» قلت والعبرة تخنقني، «لا تعرفين كم كنتُ أتطلّع لذلك الموعد. كدّتُ أفقد صوابي وأنا أحاول معرفة كيف أتصرف، وماذا أقول، في رغبةٍ مني لترك أفضل انطباع، وكان الذعر يتملكني خوفاً من قول شيءٍ يغضبكِ».

«لم تُغضبني يا تشارلي، بل شعرتُ بالإطراء».

«إذن، متى يمكنني ملاقاتكِ مجددا؟»

«ليس لدي الحق في جعلك تنخرط معي».

«لكنني منخرط بالفعل» انفعلتُ صارخا، ثم رأيت الآخرين يلتفتون نحوي وينظرون إلي، فخفضّتُ صوتي حتى صار يرتجف من الغضب. «أنا شخص؛ رجُل، ولا يمكنني العيش مع الكتب والأشرطة والمتاهات الإلكترونية فقط. تقولين «اخرج مع نساء أخريات»، كيف أفعل هذا وأنا لا أعرف أية امرأة أخرى؟ في داخلي شيءٌ يشتعل، وكل ما أعرفه هو أنّه يجعلني أفكّر فيكِ. أكونُ في خضمّ قراءة صفحة، فأرى وجهكِ عليها، غير مُشوّش ككلّ أولئك الذين من ماضيّ، بل مشرق وحيّ. ألمسُ الصفحة فيختفي وجهك، وتنتابني الرغبة في تمزيق الكتاب ورميه بعيدا».

«تشارلي، أرجوك..»

«دعيني أراكِ مجدّدا».

«غدا في المختبر».

«تعلمين أن هذا ليس ما أعنيه. بعيدا عن المختبر. بعيدا عن الجامعة. بمفردنا».

يمكنني رؤية أنها تريد الموافقة. كانت متفاجئة من إصراري. كنتُ متفاجئا من نفسي. كل ما أعرفه أنه لم يكن بمقدوري التوقف عن الضغط عليها. ومع

ذلك، كان حلقي متضخما بالرعب وأنا أترجّاها. كانت راحتاي رطبتين. هل كنتُ خائفًا من رفضها أم من موافقتها؟ لو لم تكسر التوتر بإجابتها لأغمي عليّ.

«حسنا يا تشارلي. بعيدا عن المختبر والجامعة، لكن ليس بمفردنا. لا أرى أن من الصائب وجودنا معا بمفردنا».

«في أي مكان تريدينه»، أجبت وأنا ألتقط أنفاسي. «كي يتسنى لي فقط التواجد معكِ دون التفكير في الاختبارات... الإحصائيات... الأسئلة... الإجابات...» قطّبتُ لوهلة. «حسنا. لديهم حفلات ربيعية مجانية في سنترال بارك. يمكنكَ اصطحابي إلى إحدى هذه الحفلات في الأسبوع المقبل». وعندما وصلنا إلى مدخل شقتها، التفَتت بسرعة وطبَعت قبلةً على خدّي. «ليلة سعيدة يا تشارلي. أنا سعيدة لأنّك اتصلت بي. سأراك في المعمل». أغلَقت الباب، وبقيتُ واقفا خارج المبنى، أنظر إلى ضوء شقتها من النافذة حتى انطفأ. ليس ثمّة شكٌّ الآن. أنا واقعٌ في الحبّ.

١١ مايو- بعد كلّ هذا التفكير والقلق، أدركتُ أنّ أليس كانت مُحقّة. كان عليّ أن أثق في حدسي. في المخبز، راقبتُ جيمبي من كثب. لثلاث مراتٍ اليوم؛ رأيته يحاسب الزبائن بمبالغ أقلّ، ويحتفظ في جيبه

بحصّته من الفرق حيث يعيد الزبائن المال إليه. لم يفعل ذلك إلا مع بعض الزبائن الدائمين، وخطر لي أن هؤلاء الأشخاص مذنبون مثله تماما. لم يكن ليحدث هذا من الأساس لولا موافقتهم. لم يجب أن يكون جيمبي كبش الفداء؟

حينها قرّرتُ الوصول إلى حل وسط. قد لا يكون القرار المثالي، لكنّه كان قراري، وقد بدا لي أنه أفضل إجابة في ظل هذه الظروف. سأخبر جيمبي بما أعرف، وسأحذّره كي يتوقّف.

عثرتُ عليه بمفرده في الخلف في غرفة الغسيل، وعندما تقدّمتُ نحوه ابتعد عنّي. قلت «أودّ التحدث معك بشأن أمرٍ مهم. أريد أخذ نصيحتك من أجل صديق يعاني من مشكلة. لقد اكتشف أن أحد زملائه الموظفين يغشّ رئيسه، ولا يدري ماذا يفعل حيال ذلك. لا تعجبه فكرة إخبار رئيسه وإيقاع الرجل في مشكلة، لكنه لن يقف مكتوف اليدين ويدع رئيسه -الذي يحسن معاملتهما- يتعرض للغش».

نظر جيمبي إليّ نظرة حادة. «وماذا يخطط صديقك هذا أن يفعل؟»

«هنا المشكلة. إنه لا يريد فعل أي شيء. إنه يشعر بأنّه لن يكون هنالك أي مكسب بفعل أي شيء على الإطلاق. وفي حال توقّفت السرقة، فسينسى

الموضوع برمّته». «يجب على صديقك أن يهتم بأموره ولا يتدخل فيما لا يعنيه»، قال جيمبي وهو ينقل قدمه الحنفاء. «عليه أن يغضّ طرفه عن هذه الأمور ويعرف من هم أصدقاؤه. الرئيسُ رئيس، وعلى الأفراد العاملين التكاتف معًا».

«صديقي لا يشعر بهذه الطريقة».

«هذا ليس من شأنه».

«إنــه يشـعر بـأن معرفتـه بـالأمر تحمّلـه جزءً مـن المسؤولية. لذا قرّر أنه إذا توقف الأمر فلن يكون هنالك داعٍ لقول أي شيء. وإلا فسيحكي القصة بأكملها. ما رأيك؟ هل تعتقد أن السرقة ستتوقف في ظلّ هذه الظروف؟»

كان المجهود الشاق الذي يبذله لإخفاء غضبه جليًّا. من الواضح أنه أراد ضربي، لكنه استمر في الضغط على قبضته.

«أخبر صديقك أنه على ما يبدو أن الرجل ليس لديه أي خيار».

«هذا جيد،» قلت. «هذا سيجعل صديقي سعيدًا جدًا».

شرع جيمبي في الابتعاد، ثم توقف لوهلة ونظر إلى الخلف.

«هل يمكن أن يكون صديقك هذا مهتمّا بحِصّة؟ أهذا هو السبب؟»

«كلا، إنه لا يريد سوى أن يتوقّف الأمر برمّته».

نظر إليّ مُحملقِا بغضب. «سوف ترى. ستندم على حشرك لنفسك فيما لا يعنيك، لطالما دافعتُ عنك. لا بد من أن رأسي كان به خلل.» ثم ابتعد عارِجًا.

ربما كان يجب أن أخبر دونر القصة بأكملها وأتسبّب في طرد جيمبي. لا أعرف. يوجد قول يذكر عند فعل الأمر بهذه الطريقة. لقد انتهى الأمر وانقضى. لكن كم من الناس يفعلون فعلة جيمبي ويستغلّون الآخرين بهذه الطريقة؟

١٥ مايو- دراستي تسير على ما يُرام. أصبحت مكتبة الجامعة بيتي الثاني. اضطروا لتجهيز غرفة خاصة بي لأن الأمر لا يستغرق سوى ثانية واحدة لاستيعاب الصفحة المطبوعة، والطلاب الفضوليون يجتمعون حولي دائما أثناء قراءتي للكتب وتقليبي لصفحاتها.

تتمثّل أكثر الاهتمامات التي أستوعبها في الوقت الحالي في إيتيمولوجيا اللغات القديمة، والأعمال الأحدث بشأن حساب المتغيّرات، والتاريخ الهندوسي. يا له من أمر مذهل؛ وجود روابط بين

أشياء تبدو في ظاهرها شديدة التباين. لقد انتقلتُ إلى هضبةٍ أعلى، والآن، تبدو تيّارات التخصصات المختلفة أقرب إلى بعضها البعض، كما لو أنّها تتدفق جميعا من مصدرٍ واحد.

غريب كيف أنه عندما أكون في كافيتريا الجامعة وأسمع الطلاب يتجادلون حول مواضيع التاريخ أو السياسة أو الدين، يبدو الأمر كله طفوليا للغاية.

بتّ أفتقر إلى المتعة في مناقشة الأفكار على هذا المستوى الابتدائي. يستاءُ الناس عندما يُظهر لهم المرء أنّهم لا يتعاملون مع تعقيدات المشكلة؛ أنّهم لا يعرفون ما يوجد وراء تموّجات السطح. لا يختلف مقدار السوء في المستويات الأعلى، وقد تخلّيت عن أية محاولة لمناقشة هذه المواضيع مع الأساتذة الجامعيين في بيكمان.

عرّفني برت على أستاذ في علوم الاقتصاد في كافيتريا الكلية، وهو معروف بعمله في العوامل الاقتصادية التي تؤثر على أسعار الفائدة. كنت أريد منذ فترة طويلة التحدث إلى خبير اقتصادي بشأن بعض الأفكار التي صادفتُها في قراءتي. كانت الجوانب الأخلاقية لاستخدام الحصار العسكري كسلاح في أوقات السلام تزعجني. سألته عن رأيه في المقترح الذي قدّمه بعض أعضاء مجلس الشيوخ، والذي يقترح البدء في استخدام هكذا

تكتيكـات، مثـل «الوضـع فـي القائمـة السـوداء» و»تعزيز ضوابط الإذن الملاحي» التي استخدمت في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ضد بعض الدول الأصغر التي تعارضنا الآن.

كان يستمع بهدوء، محدّقا في الفراغ، وافترضت أنّه يجمع أفكاره لتقديم إجابة، ولكن بعد بضع دقائق، تنحنح وهزّ رأسه. ثم وضّح قائلا إن هذا خارج نطاق تخصّصه. كان اهتمامه ينحصر في أسعار الفائدة، ولم يفكر كثيراً في الاقتصاد العسكري. اقترح عليّ مقابلة الدكتور ويسي الذي سبق أن أجرى بحثا حول اتفاقيات التجارة الحربية خلال الحــرب العالميـة الثانيـة. ربّمـا يكـون قـادرًا علـى مساعدتي.

وقبل أن يتسنّى لي التفوه بشيءٍ آخر، أمسك بيدي وصافحها. كان سعيدا بلقائي، لكن كانت هنالك بعض الملاحظات التي يتعيّن عليه جمعها من أجل محاضرة سيُلقيها. ثمّ ذهب.

تكرّر الأمر عندما حاولت مناقشة الشاعر تشوسر مع متخصصٍ في الأدب الأمريكي، واستفسرتُ من أحد المســتشرقين عــن أمــور بشــأن جزر تروبريانـد، وحاولتُ التركيز على مشكلات البطالة التي تسببها الأتمتة مع أخصائي نفسي اجتماعي متخصص في استطلاعات الرأي العام حول سلوك المراهقين.

كانوا دائما ما يجدون الأعذار للتهرّب، خوفًا من فضح محدوديّة معرفتهم.

كم يبدون مختلفين الآن. وكم كنتُ أحمقًا باعتقادي أن الأساتذة مفكّرون عمالقة. إنهم مجرد بشر، ويخشون أن يكتشف بقيّة العالم ذلك. وأليس امرأةٌ أيضا، ليست إلهة، وسوف أصحبُها إلى الحفل ليلة الغد.

١٧ مايو- حلّ الصباح تقريبا وما زلتُ عاجزاً عن النوم. عليّ أن أفهم ما حدث لي ليلة البارحة في الحفل.

بدأت الأمسية على نحوٍ جيد بما يكفي. كان المركز التجاري في سنترال بارك قد امتلأ مبكراً، وتعيّن عليّ أنا وأليس شقّ طريقنا عبر الأزواج المتمدّدين على العشب. وأخيرا، وفي منطقة بعيدة عن الممر، وجدنا شجرة غير مستخدمة، حيث كان الدليل الوحيد على وجود أزواجٍ آخرين -خارج نطاق ضوء المصابيح- هو الضحكة الأنثوية المُرتفعة ووهج السجائر المُشتعلة.

«سيسيرُ الأمر على ما يرام،» قالت أليس. «ما من داعٍ لأن نكون أمام الأوركسترا مباشرة».

«ماذا يعزفون الآن؟» سألتها.

«مقطوعة لا مير لديبوسي. أتُعجبك؟»

استقررتُ بجانبها وقلت «لا أعرف الكثير حول هذا النوع من الموسيقى. عليّ التفكير فيها.»

همست قائلة «لا تفكّر فيها، بل اشعر بها. دعها تجتاحك كاجتياح البحر دون محاولة فهمها». ثم استلقت على ظهرها فوق العشب وأدارت وجهها ناحية الموسيقى.

لم تكن لديّ أدنى طريقة لمعرفة ما تتوقّعه منّي. كان هذا أبعد ما يكون عن الحدود الجليّة لحلّ المشكلات واكتساب المعرفة بطريقة منهجيّة. ظللتُ أقول لنفسي إن كفوفي المتعرّقة والانقباض في صدري، والرغبة في وضع ذراعي حولها، ما هي إلا تفاعلات كيميائية حيويّة. حتى إنّني تتبّعت نمط المحفزات والتفاعلات التي تسبّبت في توتّري وحماستي. ومع ذلك، فكلّ شيء غامض ومُرتبك. هل أضع ذراعي حولها أم لا؟ هل كانت تنتظر منّي أن أفعل ذلك؟ هل ستغضب؟ رأيت بوضوح أنّني ما زلت أتصرف كفتى مُراهق، وقد أغضبني هذا كثيرا.

«هاكِ»، قلتُ بصوتٍ مختنق. «لم لا تسترخين أكثر؟ استريحي على كتفي». سمَحت لي بوضع ذراعي حولها، لكنها لم تنظر إليّ. لقد بدت غارقة جدا في الموسيقى ولم تدرك ما أفعله. هل كانت

تريدني أن أضمها بهذه الطريقة، أم كانت تتسامح فقط مع حدوث الأمر؟ ومع تسلّل ذراعي للأسفل باتجاه خصرها، شعرتُ بها ترتعش، لكنّها استمرت في التحديق باتجاه الأوركسترا. كانت تتظاهر بأنها تركّز على الموسيقى كي لا تضطر إلى الاستجابة لي. لم ترغب في معرفة ما يجري. فطالما كانت تنظر بعيدا، وتستمع، كان بمقدورها التظاهر أن قربي منها، وذراعي الملتف حولها، كانا بدون علمها أو موافقتها. لقد أرادت أن أغمر جسدها بالحب بينما تفكر هي في أمورٍ أسمى. اقتربتُ نحوها بفظاظة وأدرتُ ذقنها. «لم لا تنظرين إليّ؟ هل تتظاهرين بأنّني غير موجود؟»

فأجابت بهمس «كلا يا تشارلي، بل أتظاهر بأنّني غير موجودة».

عندما لمستُ كتفها، تصلّبت وارتجفت، لكنّني جذبتها نحوي. ثم حدث الأمر. بدأ كأزيزٍ أجوف في أذني... كمنشارٍ كهربائي...بعيد جدا. ثم البرد: وخزٌ في الذراعين والساقين، وخدرٌ في الأصابع. وفجأة، راودني شعور بأنني تحت المرقبة.

تغيّرٌ حادّ في الإدراك. فمن نقطة معينة في الظلام المخيم خلف الشجرة، رأيتنا نحن الاثنين مستلقيين في أحضان بعضنا البعض.

نظرت نحو الأعلى لأرى صبيا يبلغ من العمر خمسة عشر أو ستة عشر عاما، رابضًا بالقرب منّا. «مهلا!» صرخت. وبينما كان يقف، رأيت بنطاله مفتوحًا وكان مكشوفًا.

«ما الأمر؟» قالت وهي تلتقط أنفاسها.

قفزتُ ناهضًا، واختفى في الظلام. «هل رأيتِه؟»

«كلا،» أجابت وهي تفرد تنّورتها بتوتّر. «لم أرَ أحدا».

«كان يقف هنا مباشرة. يراقبنا. كان قريبا بما يكفي لِلَمسِك».

«إلى أين أنت ذاهبٌ يا تشارلي؟»

«لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيرا عن هنا».

«دعه وشأنه يا تشارلي. الأمر غير مهم».

لكنّه كان مهما بالنسبة لي. ركضتُ في الظلام، وتعثّرتُ بالأزواج المندهشين، لكن لم تكن هنالك طريقة لمعرفة إلى أين ذهب.

وكلما فكرت فيه أكثر، تعاظم لديّ شعور الغثيان الذي يأتي قبل الإغماء. ضائعٌ ووحيد في البرّية العظيمة. ثم سيطرتُ على نفسي ووجدت طريق العودة إلى حيثُ كانت تجلس أليس.

«هل عثرت عليه؟»

«كلا، لكنّه كان هناك. لقد رأيتُه».

نظرت إليّ باستغراب. «هل أنت على ما يرام؟»

«سأكون على ما يرام... امنحيني دقيقة... فقط ذلك الأزيز اللعين في أُذُنيّ».

«ربمّا من الأفضل أن نذهب».

وطوال طريق عودتنا إلى شقّتها، لم أكن أفكر سوى في ذلك الفتى وهو رابضٌ هناك في الظلام، وللحظةٍ خاطفة قبضتُ على لمحة ممّا كان يراه؛ نحن الاثنان مستلقيان هناك في أحضان بعضنا البعض.

«أتودّ الدخول؟ يمكنني إعداد بعض القهوة».

أردتُّ ذلـك، لكـنّ شـيئا مـا حـذّرني مـن فعلـه. «يُستحسن ألّا أفعل. لدي الكثير من الأعمال التي يتعيّن عليّ القيام بها الليلة».

«أهذا بسبب أمرٍ قلتُه أو فعلتُه يا تشارلي؟»

«كلا بالطبع. كل ما في الأمر أنني منزعج بسبب ذلك الفتى الذي كان يراقبنا».

كانت تقف على مقرُبةٍ منّي، تنتظر منّي أن أقبّلها.

وضعتُ ذراعي حولها، لكنّه حدث مُجددا. إذا لم أبتعد بسرعة فسأفقد وعيي.

«تبدو مريضا يا تشارلي».

«هل رأيتِه يا أليس؟ أخبريني الحقيقة...»

هزّت رأسها بالنفي. «كلا، كان المكان مُظلما جدا. لكنّني متأكدة من...»

«عليّ الذهاب. سأتصلُ بكِ».

وقبل أن يتسنّى لها إيقافي، غادرتُ مُسرعا. كان عليّ الخروج من ذلك المبنى قبل أن ينهار كلُّ شيء.

وبالتفكير في الأمر الآن، فإنني موقنٌ من الأمر كان مجرّد هلوسة. يرى الطبيب شتراوس أنني لا أزال، من الناحية العاطفية، في تلك المرحلة من المراهقة حيث يتسبب التواجد بالقرب من النساء أو التفكير في الجنس في إطلاق نوبات قلقٍ وهلع، وحتى هلوسات. إنّه يرى أن تطوّري الفكريّ المتسارع خدعني وجعلني أظن أن بمقدوري عيش حياة عاطفية طبيعية. لكن يجب عليّ تقبّل حقيقة أنّ المخاوف والحواجز التي تُثار في هذه المواقف الجنسية تكشفُ أنني ما زلتُ مراهقا من الناحية العاطفية؛ مازلتُ متخلّفا جنسيًّا. أعتقد أنه يقصد أنّي غير مستعد للدخول في علاقة مع امرأةٍ مثل

أليس كينيان. ليس بعد.

٢٠ مايو- لقد طُردّتُ من العمل في المخبز اليوم. أعلم أنّ من الحماقة التمسّك بالماضي، لكن كان هنالك شيء ما بشأن ذلك المكان، بِجُدرانه ذات الطوب الأبيض الذي استحال بُنّيا نتيجة حرارة الفرن... كان بمثابة منزلٍ لي. ماذا فعلت كي يكرهوني إلى هذه الدرجة؟

لا أستطيع لوم دونر. عليه التفكير في عمله، وفي الموظّفين الآخرين. لكنه كان أقرب إليّ من الأب.

دعاني إلى مكتبه، وأزاح التقارير والفواتير من على الكرسي المنفرد الموجود بجانب طاولته المتحرّكة، ودون أن ينظر إليّ، قال «كان في نيّتي أن أتحدّث معك، ولا فرق في فعل ذلك الآن».

يبدو الأمر سخيفا الآن، ولكن في أثناء جلوسي هناك، وتحديقي فيه -قصير، ممتلئ، بشاربٍ بنّي أشعث يتدلى بطريقة هزليّة على شفته العُليا- كان الأمر كما لو أن كُلا منّا، تشارلي القديم والآخر الجديد، خائف ممّا سيقوله السيد العجوز دونر.

«كان عمُّك صديقا جيدا لي يا تشارلي. لقد أوفيت بوعدي له بأن أبقيك في العمل مهما كانت الظروف، كي لا تكون بحاجة أبدا إلى دولار يدخل جيبك، وأن أوفر لك فراشا تنام عليه دون أن تضطر

إلى المكوث في تلك الدار».

«المخبز داري..»

«لقد عاملتك كابني الذي خسر حياته فداء لوطنه. وعندما توفّي هيرمان -كم كان عمرك؟ سبعة عشر؟ مجرد صبي يبلغ من العمر ستة عشر عاما- أقسمت لنفسي... قلت، آرثر دونر، ما دمتَ تملك مخبزا وعملا يؤويانك، فستعتني بتشارلي، وستكون لديه وظيفة، وسريرٌ ينام عليه، ولقمةٌ يأكلها. وعندما اعتزموا وضعك في دار وارين تلك، أخبرتهم أنك ستعمل لصالحي، وأنّي سأعتني بك. لم تقضِ حتى ليلة واحدة في ذلك المكان. لقد وفّرتُ لك غرفة، واعتنيتُ بك. أخبرني الآن، ألم أحافظ على هذا الوعد الرسمي؟»

أومأتُ بالإيجاب، لكن كان واضحا من خلال الطريقة التي كان يطوي بها فواتيره ويعيد فتحها أنه يواجه مشكلة. وبقدر ما كنت راغبا في عدم المعرفة، إلا أنّي عرفت. «لقد بذلتُ قصارى جهدي للقيام بعمل جيد. لقد عملت بجد...»

«أعلم يا تشارلي. لا يوجد شيء خاطئ في عملك. لكن شيء ما حدث لك، ولا أفهم ما يعنيه. ولا يقتصر هذا عليّ. جميعهم يتحدّثون عن الأمر. لقد قدموا إليّ هنا عشرات المرات في الأسابيع القليلة

الماضـية. جميعـهم مسـتاؤون. تشـارلي، علـيّ أن أدعك تذهب».

حاولتُ إيقافه، لكنّه هزّ رأسه.

«لقد حضر وفد لرؤيتي الليلة الماضية. عليّ الحفاظ على عملي قائما يا تشارلي».

كان يحدّق في يديه، مقلّبا الورقة مرارا وتكرارا كما لو كان يأمُل العثور على شيءٍ لم يكن موجودًا من قبل. «أنا آسف يا تشارلي».

«لكن إلى أين سأذهب؟»

رفع رأسه وأنعم النظر فيّ للمرة الأولى منذ أن دخلنا مكتبه الصغير. «أنت تعلم، مثلي تماما، أنك لم تعد بحاجة إلى العمل هنا.»

«لم يسبق لي العمل في أيّ مكان آخر يا سيّد دونر».

«لنواجه الأمر. أنت لست تشارلي الذي جاء إلى هنا منذ سبعة عشر عامًا؛ ولا حتى نفس تشارلي الذي كان قبل أربعة أشهر. لم تتحدث عن الأمر، وهذا شأنك الخاص. ربما حدثت معجزةٌ ما، من يدري؟ لكنك تحولت إلى شابٍ ذكيّ للغاية. وتشغيل خلاط العجين وتوصيل الطرود ليس عملاً لشابٍ ذكي».

كان محقا بالطبع، لكن شيئا ما بداخلي أراد أن يجعله يُغيرّ رأيه.

«يجب أن تسمح لي بالبقاء يا سيّد دونر. أعطني فرصةً أخرى. لقد قلتَ بنفسك إنّك وعدت عمّي هيرمان بتوفير وظيفةٍ لي هنا ما دمتُ بحاجة إليها. حسنا، ما زلتُ بحاجة إليها يا سيّد دونر».

«كلا، لستَ بحاجة إليها يا تشارلي. لو كنتَ كذلك حقـا لأخبرتـهم بـأنني لا أهتـم بـوفودهم ولا عرائضهم، ولوقفتُ إلى جانبك ضدّهم جميعا. ولكن بما أن هذا هو الحال، فجميعهم مرعوبون منك. يجب عليّ التفكير في عائلتي أيضا».

«ماذا لو غيرّوا رأيهم؟ اسمح لي أن أقنعهم». كنت أُصعّب الأمر عليه أكثر مما كان يتوقع. كنت أعرف أن عليّ التوقف، لكن لم أستطع التحكّم في نفسي. «سأجعلهم يتفهّمون»، قلتُ مُتضرّعًا.

تنهّد أخيرا وقال «حسنا. تفضّل وحاول. لكنّك لن تنجح سوى في أذية نفسك».

وبينما كنتُ في طريقي خارج مكتبه، مررتُ بفرانك ريلي وجو كارب، وكنت أعرف أن ما قاله صحيح. لقد كان وجودي في مرأى بصرهم أكبر من طاقة احتمالهم. لقد أشعرتهم جميعا بعدم ارتياح.

كان فرانك قد حمل لتوّه صينية من اللفائف، واستدار هو وجو مبتعدَين عندما ناديتهما. «اسمع يا تشارلي، أنا مشغول الآن. ربما لاحقا...»

«كـلا»، أجبـتُ بإصـرار. «الآن، حـالا. لقـد كنتمـا تتجنّبانني أنتما الاثنان. لماذا؟»

فرانـك، المتحـدّث السـريع، رجـل السّيـدات، المنظِّم، تأملني لوهلة ثم وضع الصينية جانبا. «لماذا؟ سأخبرك لماذا. لأنك أصبحت فجأة شخصية مهمة، شخصا يدّعي معرفة كل شيء، ألمعيّ! أنت الآن فتى طبيعي حاذق، رفيع الثقافة. دائما بحوزتك كتاب، ودائما لديك جميع الإجابات. حسنا، سأخبرك شيئا. هل تعتقد أنك أفضل من بقيتنا هنا؟ اذهب إذن إلى مكانٍ آخر».

«لكن ماذا فعلتُ لك؟»

«ماذا فعلتَ لي؟ أتسمع هذا يا جو؟ سأخبرك بما فعلت يا سيّد جوردن. تأتي إلى هنا مقتحما المكان بأفكارك واقتراحاتك وتجعلنا جميعا نبدو كمجموعة من المغفّلين. لكن سأخبرك أمرا. ما تزالُ في نظري أحمق. قد لا أفهم بعض تلك الكلمات المعقدة أو أسماء الكتب، لكنّني جيّدٌ مثلك تماما، بل وأفضل حتى».

«نعم»، أومأ جو برأسه، ملتفتا ناحية جيمبي الذي

كان قد أتى للتو خلفه، حاثّاً إياه على التأكيد على كلامه.

«لا أطلب منكم أن تصبحوا أصدقائي أو أن تكون لكم أية علاقة بي. دعوني فقط أحتفظ بوظيفتي. يقول السيد دونر إن الأمر منوطٌ بكم».

حملق جيمبي فيّ وهزَ رأسه باشمئزاز. «يا لجُرأتِك»، صاح بصوتٍ مرتفع. «اذهب إلى الجحيم!» ثمّ التفت وسار مُبتعدا بعَرَجٍ مُتثاقل.

هـذا مـا كـان عليـه الحـال. لقـد شـعر معظمـهم بالطريقة التي شعر بها جو وفرانك وجيمبي. كان الأمر مقبولا بالنسبة لهم طالما كان بإمكانهم السخرية مني والظهور أذكياء على حسابي، لكنهم الآن يشعرون بأنهم أدنى منزلة من الأحمق. بدأتُ أرى أنّ نمـــوّي المـــذهل جعلـــهم ينكمشـــون ويتقلصون، وأَكَّدَ على أوجه قصورِهم. لقد خُنتهم، وهذا ما جعلهم يكرهونني.

كانت فاني بيردين الوحيدة التي لم تظن أنه يجب إجباري على المغادرة، وعلى الرغم من ضغوطاتهم وتهديداتهم، إلا أنها كانت الوحيدة التي لم توقّع على العريضة.

«هذا لا يعني أنّني أنكر وجود شيء غريب وجبّار بشأنك يا تشارلي». قالت على سبيل التوضيح.

«الطريقة التي تغيّرتَ بها! لا أدري. كنتَ رجلا جيدا ويمكن الاعتماد عليه؛ شخصا عاديا، ربما لم تكن بذلك الذكاء، لكنّك كنتَ صادقا- ومن يدري ماذا فعلتَ بنفسك لتغدو فجأة بكلّ هذا الذكاء. ومثلما يقول الجميع، فهذا ليس صائبا».

«لكن ما العيب في شخصٍ يريد أن يصبح أكثر ذكـــاء، وأن يكتســب المعرفــة، ويفــهم نفســه والعالم؟»

«لو كنتَ قرأت الإنجيل يا تشارلي لعلمتَ أنّ من غير المقدر للمرء أن يعرف أكثر ممّا أراد له الرب أن يعرف من الأساس. كانت ثمار تلك الشجرة مُحرّمة على الإنسان يا تشارلي. إن كنتَ قد فعلت شيئا لم يكــن مــن المفتــرض أن تفعلـه -كمـا تعلـم، مـع الشيطان أو ما شابه- فربّما لم يفُت الأوان للتخلص منه. ربما يمكنك العودة إلى أن تكون ذلك الرجل البسيط الجيد الذي كُنته في السابق».
«لا مجال للتراجع يا فاني. لم أرتكب أيّ خطأ. إنّني مثل شخص وُلد أعمى ثم مُنِحت له فرصة رؤية النور. لا يمكن أن يكون هذا ذنبا. وقريبا، سيكون هنالك الملايين مثلي حول العالم. يستطيع العلم تحقيق ذلك يا فاني».

حدَّقَت للأسفل في العريس والعروس على كعكة الزفاف التي كانت تزيّنها، وشاهدتُّ شفتيها بالكاد

تتحرّكان وهي تهمس: «كان الفعل آثما عندما أكل آدم وحواء من شجرة المعرفة، وكان آثما عندما شاهدا عُريّهما، وكان آثما عندما طُردا من الجنّة وأُغلقت البوابات في وجهيهما. ولولا ذلك لما تحتّم على أحدنا التقدم في العمر والمرض والموت».

لم يبق ما يمُكن قوله، لها أو لهم. لم يكن ينظر أحد منهم إلى عينيّ. ما يزال بإمكاني الشعور بالعدائيّة. في السابق، كانوا يسخرون منّي ويحتقرونني لجهلي وبلادتي، والآن، يكرهونني لذكائي وفهمي. لماذا؟ ماذا كانوا يريدون منّي بحق الرّب؟

لقد أقام هذا الذكاء حاجزا بيني وبين كل الأشخاص الذين عرفتهم وأحببتهم، ودفعني بعيدا عن المخبز. والآن، أشعرُ بوحدةٍ أكثر من ذي قبل. أتساءل عمّا سيحدث إذا ما أعادوا ألغيرنون إلى القفص الكبير مع بقية الفئران. هل سينقلبون عليه؟

هكذا إذن يُقدم المرء على احتقار نفسه؛ بمعرفته أنه يفعل أمرا خاطئا لكنه عاجز عن التوقف. لقد وجدت نفسي، رغمًا عنّي، منجذبا ناحية شقة أليس. كانت مُتفاجئة، لكنها سمحت لي بالدخول. «أنتَ مبلّل للغاية. المياه تتدفق من على وجهك».

«إنها تمطر. هذا جيّد للأزهار».

«تفضل بالدخول. دعني أُحضر لكَ منشفة. ستصابُ بالتهابٍ رئوي».

أجبتها «أنتِ الشخص الوحيد الذي يمكنني التحدث معه. فلتسمحي لي بالبقاء».

«يوجد إبريق من القهوة الطازجة على الموقد. هيا جفّف نفسك، وسنتحدّث بعدها».

تطلّعتُ حولي بينما ذهبَت لإحضار القهوة. كانت هذه هي المرة الأولى التي أكون فيها داخل شقّتها. شعرتُ بشيءٍ من السعادة، لكن أمرًا ما بشأن الغرفة كان يثير قلقي.

كلّ شيء كان نظيفا ومُرتّبا. كانت التماثيل الخزفية موضوعة بخطٍّ مستقيم على حافة النافذة، وجميعها تقابل ذات الاتجاه. والوسادات العشوائية على الاريكة لم توضع بطريقة عشوائية على الإطلاق، بل كانت متباعدة بصورة منتظمة على الأغطية البلاستيكية الشفافة التي تحمي التنجيد. وعلى اثنتين من الطاولات الصغيرة، وُجدت مجّلات مرصوصة بعناية بحيث تكون العناوين ظاهرة للعيان. على إحدى الطاولتين: ذا ريبورتر، وذا ساتدرداي ريفيو، وذا نيويوركر، وعلى الطاولة الأخرى: مادموزيل، وهاوس بيوتيفول، وريدرز دايجست.

وعلى الجدار البعيد، على الجانب الآخر من الأريكة، عُلِّقت نسخة من لوحة بيكاسو «الأم والطفل»، موضوعة في إطارٍ كثيف الزخرفة، وفي الجهة المقابلة مباشرة، فوق الأريكة، لوحةٌ لرجلٍ من الحاشية الملكية في عصر النهضة، مُلثّم، والسيف في يده، يحمي عذراء ورديّة الخدين تبدو مذعورة. من منظور عام، كان الأمر خاطئا وغير متناسب. كما لو أنّ أليس لم تستطع حسم أمرها بشأن كينونتها، وفي أيّ عالمٍ تريد أن تعيش.

«لم تذهب إلى المختبر منذ عدة أيام»، قالت من بعيد وهي في المطبخ. «الأستاذ نيمور قلقٌ عليك».

أجبت: «لم أستطع مواجهتهم، أعلم أنه ما من سببٍ يجعلني أشعر بالخجل، لكن يا له من شعورٍ فارغ؛ ألّا أذهب إلى العمل يوميا، ألّا أرى المتجر والأفران والناس. إنّه أمر يفوق طاقة احتمالي. في الليلة الماضي والليلة قبلها، راودتني كوابيس حلمتُ فيها بأنّني أغرق».

وضعت الصينية في منتصف طاولة القهوة، كانت المناديل مطوية على شكل مثلثات، وقطع البسكويت موضوعة ضمن نمط عرضٍ دائريّ. «يجب ألّا تُصعّب الأمر على نفسك يا تشارلي. ليس لهذا أي علاقة بك».

«أقول هذا لنفسي، لكنه لا يساعدني. لقد كان هؤلاء الأشخاص، طوال هذه السنوات، بمثابة عائلتي. الأمر أشبه بطردي من منزلي».
«هذا هو التفسير تماما» أجابت. «لقد أصبح هذا الأمر تكرارًا رمزيًا للتجارب التي مررتَ بها عندما كنتَ طفلاً. تعرّضك للرفض من والديك... إرسالُك بعيدا...»

«بحقّ المسيح! لا تكلّفي نفسك بمنح الموضوع مسمّى لطيفا ومهذّبا. ما يهمّ هو أنه قبل انخراطي فـي هـذه التجربـة كـان لـديّ أصـدقاء؛ أشخاص يهتمون لأمري. أما الآن فأنا خائف...»

«لا يزال لديك أصدقاء».

«الأمر مختلف».

«الخوف ردّ فعلٍ طبيعيّ».

«الأمر أكبر من ذلك. سبق أن اختبرتُ مشاعر الخــوف. خــائف مــن التعــرض للضــرب لعــدم استسلامي لنورما. خائف من عبور شارع هاولر حيث كانت العصابة تضايقني وتدفعني. وكنت خائفا من المُعلّمة، السيدة ليبي، التي ربطت يدي كي لا أعبث، تململا، بالأشياء التي على مكتبي. لكن تلك الأشياء كانت حقيقية؛ أشياء تجعل خوفي مُبرّرا. لكــن هــذا الـرّعب مـن طـردي مـن المخبز يلفّه

الغموض؛ خوفٌ لا أستطيع فهمه».

«لملم شتات نفسك».

«أنتِ لا تشعرين بالهلع الذي أشعر به».

«لكنّه أمرٌ متوقّع يا تشارلي. ما أنت إلا سبّاح مُستجد أُجبرِ على ترك طوف الغوص، ومذعور من فقدان الخشب المتين الذي يقف عليه. كان السيد دونر طيبا معك، وكنتَ في مأوى طوال هذه السنوات. إن طردك من المخبز بهذه الطريقة لهو صدمة أعظمُ حتى ممّا توقّعت».

«لا جدوى من معرفة الأمر على المستوى الثقافي. لم يعُد بمقدوري الجلوس وحيدًا في غرفتي. إنني أهيم في الشوارع طوال ساعات النهار والليل، بدون أدنى فكرة عن مُبتغاي. أتمشى حتى أضيع... فأجد نفسي خارج المخبز. في الليلة الماضية، مشيت طوال الطريق من ميدان واشنطن حتى منتزه سنترال بارك، ونمت في المنتزه. ما الذي أبحث عنه بحقّ الجحيم؟»

كلما ازداد حديثي، ازداد انزعاجها. «ماذا أفعل كي أساعدك يا تشارلي؟»

«لا أعلم. إنني أشبه بحيوانٍ أُطلِقَ سراحُه من قفصه المُريح الآمن».

جلسَت بجانبي على الأريكة. «إنهم يدفعونك بسرعة أكثر من اللازم. أنت في حيرةٍ من أمرك. تريد أن تصبح بالغا، لكن ما يزال هنالك صبي صغير بداخلك. وحيدٌ ومذعور». أسنَدت رأسي على كتفها، في محاولةٍ منها لمواساتي، وبينما كانت تداعب شعري، علمت أنها تحتاجني بقدر حاجتي لها.

«تشارلي،» قالت بهمس. «أيا يكن الذي تريده... لا تخَف منّي.»

أردّتُ إخبارها أنني كنتُ في انتظار الهلع.

ذات مرّة، خلال توصيلة من المخبز، كاد تشارلي أن يفقد وعيه عندما قامت امرأة في منتصف العمر، كانت قد خرجت لتوّها من الحمّام، بإمتاع نفسها من خلال فتح رداء الحمّام، والكشف عن جسدها له. هل سبقت له رؤية امرأة لا ترتدي ملابس؟ هل كان يعرف كيف يمارس الحب؟ رعبُه، أنينه، لابد من أنه قد أخافها لأنها قبضت على ردائها بإحكام لإغلاقه وأعطته ربع دولار لينسى ما حدث. كانت تختبره فقط؛ أرادت أن تعرف إذا ما كان فتى جيدا.

أخبرها بأنه كان يحاول بأن يكون جيدا، ألّا ينظر للنساء، لأنّ أمه كانت تضربه كلما حدث ذلك في بنطاله...

كان لديه الآن صورة واضحة لوالدة تشارلي، تصرخ

في وجهه، وبيدها حزام جلديّ، ووالده يحاول منعها.

«هذا يكفي يا روز! سوف تقتلينه! دعيه وشأنه!» والدته منحنية للأمام، تحاول جاهدة الوصول إليه لجلده، وهو بعيد عنها الآن قليلا بما يكفي وحسب ليتجاوز الحزام كتفه، بينما يتلوى ويزحف على الأرض مبتعدا عنها.

«انظر إليه!» تصرخ روز. «لا يستطيع تعلّم القراءة أو الكتابة، لكنه يعلم ما يكفي لينظر إلى فتاة بتلك الطريقة. سأضربه حتى تخرج تلك القذارة من عقله».

«لا يمكنه التحكم في نفسه إن حدث له انتصاب. إنه أمرٌ طبيعي. لم يرتكب أي خطأ».

«ليس من حقه التفكير في الفتيات بهذه الطريقة. صديقة أخته تأتي إلى المنزل ويبدأ في التفكير بهذه الطريقة! سأعلّمه كي لا ينسى أبدا. أتسمعني؟ إذا لمستَ فتاة أبدًا فسأضعك كالحيوان في قفص، لبقية حياتك. أتسمع؟ ...»

ما يزال بإمكاني سماعها. لكن ربّما قد أُطلق سراحي. ربّما لم يعد الخوف والغثيان بحرا أغرق فيه. بل مُجرّد بركة ماء تعكس الماضي إلى جانب الحاضر. هل كنتُ حرًّا؟

لو أتمكن من بلوغ أليس في الوقت المناسب، دون التفكير في الأمر، وقبل أن يغمرني بالكامل، ربّما لن يحدث الهلع. لو أستطيع فقط جعل عقلي فارغا. تمكنت من النطق بصوتٍ مخنوق: «أنتِ... افعليها أنتِ! ضمّيني!» وقبل أن أعرف ما الذي كانت تفعله، كانت تقبّلني، وتحتضنني بقوة بطريقة لم يحتضنني بها أحدٌ قبلا. ولكن في اللحظة التي كان يجب أن أكون فيها الأقرب إليها من أيّ وقت مضى، بدأ الأمر: الطنين، والرجفة، والغثيان. ابتعدّتُ عنها.

حاوَلت تهدئتي؛ إخباري أن الأمر لا يهمّ؛ أنّه ما من سببٍ يجعلني ألوم نفسي. لكنني كنت مغمورًا بالخجل، ولم أعد قادرًا على التغلب على آلامي، وشرعتُ في النشيج. وهناك، بين ذراعيها، بكيتُ حتى غلبني النوم، وحلمتُ برجل الحاشية والعذراء ورديّة الخدين. لكن في حُلْمي، كانت العذراء هي من تحمل السيف.

تقرير تطوّر ١٢

٥ يونيو- نيمور منزعج لكوني لم أُسلّم أي تقارير تطور منذ حوالي أسبوعين (ومعه حق في ذلك نظرا لأن مؤسسة ويلبيرج بدأت بإعطائي راتبا من المنحة كي لا اضطر للبحث عن وظيفة). لم يبق سوى أسبوع واحد فقط على انعقاد المؤتمر النفسي الدولي في شيكاغو. إنّه يريد أن يكون تقريره الأوّلي غنيا قدر الإمكان، نظرا لكوني وألغيرنون الأدلة الرئيسية لعرضه.

علاقتنا تزداد توترا. أمقتُ إشارة نيمور المستمرة إليّ بعينة مختبر. إنه يجعلني أشعر بأني لم أكن إنسانا حقا قبل التجربة.

أخبـرتُ شتراوس أنني كنت منهمكا بشدة في التفكير، والقراءة، والتعمق في نفسي، ومحاولة فهم ماهيّتي وكينونتي، وأن الكتابة كانت عملية بطيئة جدا لدرجةٍ جعلتني مُتبرِّمًا من كتابة أفكاري. اتّبعت اقتراحه بتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة، والآن، وبعدما تعلّمتُها، أصبحتُ قادرا على كتابة ما يقرب من خمس وسبعين كلمة في الدقيقة، أصبح من الأسهل كتابة كل شيء على الورق.

أثار شتراوس من جديد حاجتي إلى التحدث والكتابة على نحو مبسّط ومباشر كي يتمكن الناس من فهمي.

لقد ذكّرني بأن اللغة قد تصبح في بعض الأحيان حاجزًا بدلاً من مسار. يا لها من مفارقة؛ أن أجد نفسي على الجانب الآخر من السياج الفكري.

أرى أليس من حينٍ لآخر، لكنّنا لا نناقش ما حدث. علاقتنا أفلاطونية كما هي. لكن الكوابيس راودتني لثلاث ليال تلت مغادرتي المخبز. من الصعب تصديق مُضيّ أسبوعين على ذلك.

في ليالي الشوارع الفارغة، تطاردني شخصيات شبحيّة. وعلى الرغم من أنني أركض ناحية المخبز، أجد بابه مُوصدا، ولا يلتفت الأشخاص في داخله للنظر إليّ أبدا. وعبر النافذة؛ يشير كل من العريس والعروس على كعكة الزفاف نحوي، ويضحكان عليّ -يصبح الجو مشحونا بالضحك حتى تنفد قدرتي على تحمّله- ويُلوّح الطفلان كيوبيد بسهامهما المشتعلة. يرتفع صوتي بالصراخ. أقرعُ الباب ولكن ما من صوت. أرى تشارلي يبادلني التحديق من الداخل. أهو مجرد انعكاس؟ تتشبّث أشياء بساقيّ وتجرني بعيدا عن المخبز ناحية ظلال الزّقاق، وبمجرد أن تبدأ بالزحف على جميع أنحاء جسدي، أستيقظ.

وفي أحيان أخرى تنفتح نافذة المخبز على الماضي، وعندما أنظر عبرها، أجدُ أشياءً أخرى وأشخاصا آخرين.

إنه لأمر مدهش كيف أن قدرتي على التذكر تتطور بهذه الطريقة. لا يمكنني التحكم فيها بالكامل بعد، لكن في بعض الأحيان، وأثناء انشغالي بالقراءة أو العمل على مشكلة ما، ينتابني شعور بالوضوح الشديد.

أعرف حينها أن تلك إشارةً تنبيهيةً ما من اللاوعي، والآن، وبدلا من انتظار قدوم الذكريات إليّ، أغلقُ عيني وأحاول الوصول إليها بنفسي. سوف أتمكن في نـهاية المطاف من التحكم بالكامل في عملية الاستدعاء هذه، بحيث لا يقتصر استكشافي على مجموع خبرات الماضي وحسب، بل يشمل جميع إمكانيات العقل التي لم تُستغلّ بعد.

وحتى الآن، وبينما أفكّر في الأمر، أشعر بالسكون الثاقب. أرى نافذة المخبز... أمد يدي وألمسها... باردة ومتذبذبة... ثم يصبح الزجاج دافئا... أكثر سخونة... يحرق الأصابع. تصبح النافذة التي تعكس صورتي ساطعة، ومع تحول الزجاج إلى مرآة، أرى تشارلي جوردن الصغير -ذو الأربعة عشر أو الخمسة عشر عاما- ينظر إليّ من خلال نافذة منزله، وتتضاعف غرابة الأمر مع إدراكي مدى اختلافه في السابق.

كان ينتظر قدوم أخته الصغيرة من المدرسة،

وعندما يراها تدور عبر المنعطف دخولا لشارع ماركس، يلوّح بيده وينادي اسمها ويركض نحو الخارج لملاقاتها في الشرفة.

تلوّح نورما بورقة. «حصلتُ على درجة ممتاز في اختبار التاريخ. كنت أعرف جميع الإجابات. قالت الأستاذة بافن إن ورقتي كانت أفضل ورقة في الصف بأكمله».

إنّها فتاة جميلة ذات شعرٍ بنّي فاتح مضفورٌ بعناية وملفوف حول رأسها كتاج، وبينما ترفع رأسها باتجاه أخيها الأكبر، تتحول الابتسامة إلى عبوس، وتهرب مبتعدة، تاركة إياه وراءها، وصاعدةً الدرجات برشاقة وسرعة.

وبابتسامةٍ تملأ وجهه، يتبعُها.

أمه وأبوه في المطبخ، وتشارلي يندفع نحوهما بحماسة أخبار نورما الجيدة، ويلفظها بسرعة دون أن تتسنى لها فرصة التحدث.

«حصَلَت على ممتاز! حصَلَت على ممتاز!»

«كلا!» تصرخ نورما. «ليس أنت. أنت لا تقول شيئا. إنها علامتي، وأنا من سأقولها».

«على رسلكِ أيتها الفتاة اليافعة». يضع مات جريدته جانبا ويتحدث معها بصرامة. «لا تتحدثي مع أخيكِ

بهذه الطريقة».

«لم يكن لديه الحق في أن يقول!»

«لا تكترثي للأمر». يحملق مات في وجهها غاضبا، ويلوّح بإصبعه مُحذّرا. «لم يقصد أي ضررٍ بفعلته، ويجب عليكِ ألّا تصرخي فيه بهذه الطريقة».

تلتفتُ إلى والدتها باحثة عن تأييدها. «حصلتُ على ممتاز. أفضل درجة في الفصل. هل يمكنني اقتناء كلب الآن؟ لقد وعدّتني. قلتِ إذا حصلتُ على علامة جيدة في اختباري. حصلتُ على ممتاز. كلبٌ بنّي مرقّطٌ بالأبيض. وسأسمّيه نابليون لأن هذا هو السؤال الذي أجبت عليه أفضل إجابة في الاختبار. نابليون خسر معركة واترلو».

تومئ روز برأسها. «اخرجي إلى الشرفة والعبي مع تشارلي. لقد كان ينتظر عودتك من المدرسة منذ أكثر من ساعة».

«لا أريد اللعب معه».

«اذهبي إلى الشرفة». يقول مات.

تنظر نورما إلى والدها ثم إلى تشارلي. «لستُ مضطرة لذلك. أمي قالت إنني لست مضطرة للعب معه إذا لم أكن أريد ذلك».

«أيتها الشابة،» ينهض مات من على كرسيه ويتجه نحوها. «اعتذري لأخيكِ الآن».

«لستُ مضطرة لذلك» تصرخ نورما وتهرع لتختبئ خلف كرسي والدتها. «إنه مثل طفل. لا يمكنه لعب المونوبولي أو الداما أو أي لعبة أخرى... إنه يخلط كل شيء. لن ألعب معه بعد الآن».

«فلتذهبي لغرفتكِ إذن!»

«أيمكنني الحصول على كلب الآن يا ماما؟»

يضرب مات الطاولة بقبضته. «لن يكون هنالك كلب في هذا المنزل ما دمتِ تتبعين هذا السلوك أيتها الشابّة».

«لقد وعدتُّها بكلب إذا أبلت جيدا في المدرسة...»

«بُنّي بنقط بيضاء!» تضيف نورما.

يشير مات إلى تشارلي الواقف بالقرب من الحائط. «هل نسيتِ أنك أخبرت ابنك أنه لا يستطيع الحصول على كلب لأنه ليس لدينا المساحة الكافية، ولعدم وجود أحد يعتني به؟ أتتذكرين؟ عندما أراد الحصول على كلب؟ هل ستتراجعين عمّا أخبرته به؟»

«لكن يمكنني الاعتناء بكلبي»، تُصرّ نورما. «سوف

أطعمه وأحمّمه وآخذه للخارج...»

تشارلي، الذي كان يقف بالقرب من الطاولة، يلعب بزرّه الأحمر المتدلّي من خيط، يتحدث فجأة.

«سوف أساعدها في الاعتناء بالكلب! سأساعدها في إطعامه وتنظيفه ولن أدع الكلاب الأخرى تعضّه!»

لكن قبل أن يتمكن مات أو روز من الإجابة، تصرخ نورما: «سوف يكون كلبي. كلبي وحدي!»

يومئ مات: «أترين؟»

تجلس روز بجانبها وتداعب جدائلها لتهدئتها. «لكن يتعين علينا مشاركة الأشياء يا عزيزتي. يمكن أن يساعدك تشارلي في الاعتناء به».

«كلا! لي وحدي! أنا التي حصلت على ممتاز في التاريخ وليس هو! إنه لا يحصل أبدا على علامات جيدة مثلي. لمَ يحقّ له المساعدة في الاعتناء بالكلب؟ وبعد ذلك سيحبّه الكلب أكثر مني، وسيكون كلبه بدلاً من كلبي. كلا! إذا لم أتمكن من الحصول عليه لي وحدي، فأنا لا أريده».

«هذا يحسم الأمر إذن»، يقول مات وهو يلتقط جريدته من على الأرض ويعود للجلوس على كرسيّه. «لن يكون هنالك كلب».

فجأة، تقفز نورما من على الأريكة وتلتقط اختبار التاريخ الذي كانت قد أحضرته بشغفٍ للمنزل منذ بضع دقائق. ثم تمزّقه وترمي القطع في وجه تشارلي المرتبك. «أكرهك! أكرهك!»

«نورمي، توقفي حالا!» تجذبها روز، لكنها تتملّص مُبتعدة.

«وأكره المدرسة! أكرهها! سأتوقف عن الدراسة، وسأكون غبية مثله. سوف أنسى كل ما تعلمته، ثم سأكون مثله تمامًا». تركض خارج الغرفة وهي تصرخ: «إنه يحدث لي بالفعل. إنّني أنسى كل شيء... أنا أنسى... لم أعد أتذكّر أي شيء تعلّمتُه!»

تلحقُ روز بها مذعورة. يجلس مات في مكانه مُحدّقا في الجريدة التي على حجره. وتشارلي الذي أصيب بالهلع من الهيستريا والصراخ، ينكمش على نفسه في كرسي ويئنّ بصوت منخفض. فيمَ أخطأ؟ ومع شعوره بالبلل في بنطاله وتسرّبه على قدميه، يجلس هناك بانتظار الضرب الذي يعلم أنه سيتعرض له عندما تعود والدته.

يتلاشى المشهد، لكن منذ ذلك الوقت ونورما تقضي جميع أوقات فراغها مع صديقاتها، أو باللعب بمفردها مع والدتها. لقد أبقَت باب غرفتها مغلقًا، ومُنِعتُ من الدخول إليها دون إذنها.

أتذكّر أنّي سمعت نورما ذات يوم وهي تلعب مع واحدة من صديقاتها في غرفتها، ونورما تصيح بصوت مرتفع: «إنه ليس أخي الحقيقي! إنه مجرد صبي احتويناه لأننا شعرنا بالشفقة عليه. ماما أخبرتني، وقالت إنني أستطيع أن أقول للجميع الآن إنه ليس أخي على الإطلاق».

أتمنى لو أن هذه الذكرى صورة كي أمزقها وأرميها في وجهها. أريد معاودة التواصل معها عبر السنوات وأقول لها إنني لم أقصد مطلقًا منعها من الحصول على كلبها. كان بمقدورها الاحتفاظ به بالكامل لنفسها، ولم أكن لأطعمه أو أمشّطه أو ألعب معه، ولم أكن لأجعله يحبّني أكثر منها. لم أكن أريد منها إلا أن تلعب معي بالألعاب كما اعتدنا أن نفعل. لم أقصد أبدًا فعل أي شيء من شأنه إيذاؤها على الإطلاق.

٦ يونيو- حدث اليوم أول شجار حقيقي لي مع أليس. إنه خطأي. أردتُّ رؤيتها. في كثير من الأحيان، وبعد حدوث ذكرى أو حلم مزعج، يجعلني التحدث معها -مجرد وجودي معها- أشعر بتحسّن. لكنّي ارتكبتُ خطأ بذهابي إلى المركز لأخذها.

لم أعد إلى مركز البالغين المتأخرين عقليا منذ العملية، وقد أثارتني فكرة رؤية المكان مجدّدا. إنّه

يقع في الشارع الثالث والعشرين، شرق الجادة الخامسة، في مبنى مدرسةٍ قديمة تستخدمه عيادة بيكمان الجامعية منذ خمس سنوات كمركز للتعليم التجريبي؛ فصول خاصة للمعاقين. اللافتة الخارجية الموجودة على المدخل، والمؤطّرة بالبوابة المُسنّنة القديمة، ما هي إلا لوحة نحاسية مكتوب عليها مُلحق بيكمان سي آر إيه.

ينتهي الفصل الذي تُدرّسه عند الثامنة، لكنّني أردت رؤية الغرفة التي -منذ وقتٍ ليس ببعيد- كنت أكافح فيها من أجل القراءة والكتابة، الغرفة التي تعلّمتُ فيها عدّ فكّة الدولار.

ذهبتُ للداخل وتسلّلتُ نحو الباب، وبمنأى عن الأنظار، نظرتُ عبر النافذة. كانت أليس تجلس أمام مكتبها، وبجانبها كرسي تجلس عليه امرأةٌ نحيلة الوجه لم أستطع تمييزها. كانت ترتسم على وجهها تلك التقطيبة البلهاء التي تشير إلى الحيرة الواضحة، وتساءلتُ عمّا كانت أليس تحاول توضيحه لها.

وبجانب السبورة، كان مايك دورني يجلس على كرسيه المتحرك، وهناك، في الكرسي الأول من الصف الأول، يجلس كعادته ليستر براون الذي قالت عنه أليس إنه الأذكى في المجموعة. لقد تعلم ليستر بسهولة الأمور التي كنتُ أكافح من أجل

تعلمها، لكنّه كان يأتي متى ما شعر برغبة في الحضور، أو يظل بعيدا ليكسب المال من تلميع الأرضيات بالشمع. أظنّ لو أنه كان لديه أي شعور بالاهتمام -لو كان الأمر مهمًا بالنسبة له كما كان بالنسبة لي- لاستخدموه في هذه التجربة. كانت هنالك وجوه جديدة أيضًا، أناسٌ لم أعرفهم.

وأخيرا، تحلّيتُ بالشجاعة الكافية لأدخل.

«إنه تشارلي!» قال مايك، محرّكا كُرسيه.

لوّحتُ له.

وبرنيس، الشقراء الجميلة ذات العيون الفارغة، نظرت نحوي وابتسمت ببلاهة.

«أين كنت يا تشارلي؟ هذه بدلةٌ جميلة».

لوّح لي الآخرون الذين يتذكرونني، ولوّحتُ لهم. وفجأة، استطعتُ أن أرى من خلال تعبيرات أليس أنها منزعجة.

«إنها الساعة الثامنة تقريبا»، أعلنت أليس. «حان وقت وضع الأشياء في أماكنها».

كان لكل شخص مهمّة محدّدة، وضع الطباشير والمحـايات والأوراق والكتـب وأقـلام الرصاص وأوراق الملاحظات والألوان والمواد الإيضاحية في

أماكنها. كان كل واحد منهم يعرف مهمته ويفخر بأدائها على نحوٍ جيّد. كانوا قد شرعوا جميعا في أداء مهامهم، ما عدا برنيس. كانت تحدّق فيّ.

«لمَ لمْ يكن تشارلي يأتي إلى المدرسة؟» سألت برنيس. «ما الأمر يا تشارلي؟ هل ستعود؟»

نظر الآخرون نحوي، ونظرتُ إلى أليس بانتظار أن تجيب بدلا عنّي، وكان هنالك صمتٌ طويل. ماذا يمكنني أن أخبرهم دون أن أتسبّب في جرح مشاعرهم؟»

«هذه مجرد زيارة.» أجبت.

بدأت إحدى الفتيات في القهقهة؛ فرانسين التي كانت أليس قلقة بشأنها دوما. كانت قد أنجبت ثلاثة أطفال بحلول الوقت الذي أصبحت فيه بعمر الثامنة عشرة، قبل أن يُرتّب والديها عملية استئصال للرحم لديها. لم تكن جميلة -ليست بقدر جاذبية برنيس حتى- لكنها كانت هدفا سهلا لعشرات الرجال الذين اشتروا لها أشياء جميلة أو دفعوا لها تذاكر الأفلام. عاشت في منزل داخلي مُعتمد من دار ولاية وارين للمتدربين خارج العمل، وسُمح لها بالخروج في المساء للحضور إلى المركز. لم تحضر إلى المركز مرتين -استدرجها رجال وهي في طريقها إلى المدرسة- والآن لا يُسمح لها بالخروج إلا بوجود

رفقةٍ معها.

«إنّه يتحدث كشخصية مهمة الآن». قالت مُقهقِهة.

«حسنا»، تدخّلت أليس بحدّة. «انتهى الدرس. أراكم جميعا مساء الغد عند السادسة».

وعندما غادروا، كان واضحا لي من خلال طريقة رميها لأغراضها في خزانتها أنها كانت غاضبة.

قلت: «أنا متأسّف. كنتُ سأنتظركِ في الطابق السفلي، ثم اعتراني الفضول بشأن الفصل الدراسي القديم. مدرستي الأم. أردت فقط أن أنظر عبر النافذة، ولكن قبل أن أدري وجدت نفسي قد دخلت. ما الذي يزعجك؟»

«لا شيء. لا شيء يزعجني».

«بحقّك. حجم غضبكِ لا يتناسب البتّة مع ما حدث. شيءٌ ما يجول في خاطِركِ».

رمَت كتابا كانت تحمله بعنف. «حسنا. هل تريد أن تعرف؟ أنتَ مختلف. لقد تغيرت. وأنا لا أتحدث عن معدّل ذكائك، بل عن سلوكك مع الناس. لم تعد النوع ذاته من البشر...»

«أوه، بحقّك. لا..»

«لا تقاطعني!» دفعني الغضب الحقيقي في صوتها

للتراجع. «أنا أعني ما أقول. كان في داخلك شيء ما من قبل. لا أعرف... شيء من الدفء والانفتاح واللطف الذي جعل الجميع يحبّك ويرغب بوجودك. والآن، بكُلّ ذكائك ومعرفتك، هنالك اختلافات ...»

لم أستطع السماح لنفسي بالاستماع لها. «وماذا كنتِ تتوقعين؟ هل كنتِ تتوقّعين أن أظل جروا طيِّعًا أهزّ ذيلي وألعق الأقدام التي تركلني؟ من المؤكد أن يُغيّرني كل هذا ويغيّر نظرتي لنفسي. لم أعُد مضطرا إلى تقبل الترّهات التي كان الناس يمارسونها عليّ طوال حياتي.»

«لم يُسئ إليك أحد يا تشارلي.»

«وما أدراكِ أنتِ؟ اسمعي، أفضلهم كانوا متعجرفين ويتفضّلون عليّ بمساعدتي؛ يستخدمونني كي يشعروا بالتفوّق والأمان في إطار حدودهم الشخصية. يمكن لأيّ أحد أن يشعر بالذكاء وهو بجانب معتوه».

بعد أن قلت ما قلت، علمت أنها ستفهمه على نحوٍ خاطئ.

«وأفترضُ أنّك تضعني ضمن هذه الفئة؟»

«لا تكوني سخيفة. تعرفين حقّ المعرفة أنّني...»

«بالطبع. أعتقد أنّك محق نوعا ما. فإلى جانبك، أكون محدودة الذكاء وبلهاء إلى حدٍ ما. في هذه الأيام، في كل مرة نرى فيها بعضنا البعض، وبعد أن أتركـك، أعـود إلـى المـنزل وفـي داخلـي ذلـك الشعور التعِس بأنني بطيئة ومُغفّلة في كل شيء. أراجعُ الأشياء التي قلتُها، وأتوصّل لكل تلك الأشياء الألمعيّة والبارعة التي كان يجب عليّ قولها، وأشعر بالرغبة في ركل نفسي لأنّني لم أقلها عندما كنّا معا».

«هذه تجربةٌ مُشتركة».

«أجدُ في نفسي الرغبة في إبهاركَ بطريقة لم أفكر قطُّ في فعلها قبلا، لكن وجودي معك قوّض ثقتي بنفسي. بتُّ أشكّك الآن في دوافعي، وراء كل أفعالي».

حاولتُ تغيير الموضوع، لكنّها ظلّت تعود إليه. قلتُ أخيرا: «اسمعي، لم آت إلى هنا لأتجادل معكِ. هل تسمحين لي باصطحابكِ إلى المنزل؟ أنا بحاجة للتحدث مع أحد».

«وأنا كذلك. لكنّني لا أستطيع التحدث معك هذه الأيام. كل ما يمكنني فعله هو الاستماع والإيماء برأسـي والتظـاهر بـأنني أفـهم كـل مـا يتعلـق بالمتغيرات الثقافية والرياضيات البوليانية الجديدة

والمنطق ما بعد الرمزي، وأشعر بأن غبائي يزدادُ أكثر فأكثر، وعندما تغادرُ الشقة، أجدني مُجبرة على الجلوس أمام المرآة والصراخ على نفسي: «كلا، أنتِ لا تزدادين بلادة كل يوم! أنتِ لا تفقدين ذكاءك، أنتِ لا تصبحين خَرِفة وبلهاء. تشارلي هو من يندفع نحو الأمام بسرعة فائقة تجعل الأمر يبدو وكأنّكِ تنزلقين للوراء». أقول هذا لنفسي يا تشارلي، لكن في كل مرة نلتقي فيها، وتخبرني بشيء ما وتنظر إليّ بتلك الطريقة المتبرّمة، أعرف أنّك تسخر مني.

وعندما توضّح لي الأمور، وأكون عاجزة عن تذكّرها، تظنُّ أن هذا يعود لعدم اهتمامي أو انعدام رغبتي في تجشّم العناء. لكنّك لا تعرف كيف أعذّب نفسي بعدما ترحل. لا تعرف الكتب التي أجاهد في قراءتها، ولا المحاضرات التي حضرتُها في بيكمان، ومع ذلك، وكلما تحدّثتُ عن موضوعٍ ما، أرى مدى تبرّمك وجزعك، كما لو أن كلّ ما أقوله طفولي وتافه. لقد أردّتُك أن تكون ذكيا. أردتُ مساعدتك والتشارك معك، والآن، فقد أخرجتني من حياتك».

وبينما كنتُ أستمع لما تقوله، بزَغت في وجهي فداحة الأمر. لقد كنتُ غارقا في نفسي وفي ما يحدث لي لدرجة أنني لم أفكر قطّ فيما يحدثُ لها.

كانت تبكي بصمت بينما كنّا نغادر المدرسة،

ووجدتُّ نفسي عاجزا عن الكلام. وطوال الرحلة عبر الحافلة، فكرتُ بيني وبين نفسي في كيف أن الحال قد انقلب رأسًا على عقِب. كان الجليد بيننا قد انكسر، وكانت الفجوة آخذة في الاتساع بينما كان تيار عقلي يحملني بسرعة إلى البحر المفتوح.

كانت مُحقّة في رفضها ألّا تُعذّب نفسها بوجودها معي. لم يعد بيننا أي شيء مُشترك. المحادثات البسيطة أصبحت مُتَكلّفة. لم يبق لنا سوى الصمت المُحرِج والتّوق المتعطّش في غرفة مُظلمة.

نظرَت نحوي وقالت، في محاولة منها للخروج من ذلك المزاج، «أنت جاد للغاية، بشأننا. يجب ألا يجعلك الأمر بهذه الجدّية. لا أريدك أن تنزعج. أنت تخوض تجربة عظيمة». كانت تحاول الابتسام.

«لكنّكِ جعلتني أنزعج. والآن، لا أدري ماذا أفعل حيال الأمر».

قالت وهي في طريقها من محطة الحافلات إلى شقتها: «لن أذهب معك إلى المؤتمر. لقد اتصلتُ بالأستاذ نيمور صباح اليوم وأخبرتُه. سيكون هنالك الكثير لتفعله هناك. أشخاصٌ مثيرون للاهتمام، والإثارة المحيطة بدائرة الضوء، لا أريد أن أكون عائقا أمامك ...»

«أليس...»

«ومهما يكن الذي ستقولُه بشأن الأمر الآن، فأنا أعرف أن هذا ما سأشعر به، لذا إن كنتَ لا تمانع، أودّ أن أظلّ مُتمسّكة بأناي المُتشظّية. شكرا لك».

«لكنّكِ تُضخّمين الأمر. أنا متأكد من أنّه إذا قمتِ بـ...»

«تعـرف؟ متأكـد؟» التـفَتت نحـوي وحمـلَقت فـيّ بغضب بينما كانت واقفة على الدرجات الأمامية لمبنى شقتها. «أوه! كم أصبحتَ شخصا لا يُطاق. كيف تعرف ما أشعر به؟ أنتَ تتخطى حدودك فيما يتعلق بعقول الآخرين. لا يمكنك أن تعرف كيف أشعر وبمَ أشعر ولماذا أشعر».

ذهبَت إلى الداخل ثم التفتت نحوي، وبصوتٍ مرتجف: «سأكون هنا عندما تعود، أنا منزعجة وحسب، هذا كل ما في الأمر، وأريد أن يحظى كلٌّ منا بفرصة للتفكير في الأمر بينما تفصل بيننا مسافة جيدة».

وللمرّة الأولى من أسابيع، لم تدعُني للدخول. حـدّقتُ فـي البـابِ المغلـق، والغضـبُ يتعـاظمُ بداخلي. أردّتُ إحداث ضجة، أن أطرُق على الباب بقوة، أن أكسره. أردت أن يلتهم غضبي المبنى.

ولكن في أثناء عودتي لأدراجي، شعرتُ بشيءٍ من

الاحتدام، ثم البرود، وأخيرا، بالارتياح. مشيتُ بسرعة لدرجة أنّني كنتُ أنجرف عبر الشوارع، والشعور الذي ارتطم بخدّي كان نسمة باردة في ليلة الصيف. أصبحتُ حُرًّا فجأة.

أدركُ الآن أن مشاعري لأليس كانت تحرّكني نحو الوراء، في عكس تيّار تعلّمي، من العبادة، إلى الحب، إلى الولع، إلى شعورٍ بالامتنان والمسؤولية. كـانت مشـاعري المرتبكـة تجاهـها تُعـيقني، وقـد تشبّثتُ بها خوفا من أُجبر على الخروج بنفسي؛ أن أهيم وحدي.

ولكن مع الحرية؛ أتى حُزن. أردتُّ أن أكون واقعا في حبـها. أردتُّ أن أتغلـب علـى مخـاوفي العاطفيـة والجنسية، وأتزوج، وأنجب أطفالاً، وأستقرّ.

يستحيل حدوث هذا حاليا. فأنا بعيد عن أليس الآن بمعدل ذكاء ١٨٠ تمامًا بقدر ما كنتُ بعيدا عنها حينما كان معدل ذكائي ٧٠. وهذه المرة، كلانا يعرف ذلك.

٨ يونيو- ما الذي يدفعني إلى الخروج من الشقة للطواف في المدينة؟ أهيم في الشوارع بمفردي، لـيس ذلـك النـوع مـن التجـوال المُريـح فـي ليلةٍ صـيفية، بـل القلـق المحمـوم للإسـراع مـن أجـل الوصول. إلى أين؟ إلى الأزقة، والنظر في المداخل،

واختلاس النظر إلى النوافذ نصف المُغلقة، راغبًا في التحدث مع أحد، وخائفًا في الوقت ذاته من مقابلة أي أحد. أصعدُ شارعًا وأهبطُ آخر، عبر المتاهة الأبدية، قاذفًا بنفسي على قفص المدينة النيون. باحثا... عن ماذا؟

قابلتُ امرأة في منتزه سنترال بارك. كانت تجلس على مقعد بالقرب من البحيرة، مرتدية مِعطفا مُغلقا بإحكام بالرغم من الحرارة. ابتسمَت وأشارت إليّ أن أجلس بجانبها. نظرنا إلى الأفق المشرق في سنترال بارك ساوث، ووِحدات الإضاءة ضد الظلام، في منظر أشبه ما يكون بنخاريب النحل، وتمنّيتُ لو أن باستطاعتي امتصاص كل شيء.

نعم، أخبرتُها أنّني من نيويورك. كلا، لم يسبق لي الذهاب إلى نيوبورت نيوز في فرجينيا. كان ذلك مسقط رأسها، والمكان الذي تزوجت فيه ذلك البحّار الموجود في البحر الآن، والذي لم تره منذ عامين ونصف.

لفّت وعقدت محرمة تستخدمها من وقت لآخر في مسح العرق الذي يطرّز جبينها. وقد استطعتُ، حتى بالضوء الخافت المنبعث من البحيرة، رؤية أنها كانت تضع كمية كبيرة من مساحيق التجميل، لكنّها بدَت جذّابة بشعرها الداكن الناعم والمُنسدل بحرّية على كتفيها، باستثناء أن وجهها كان منتفخا

ومتورّما كما لو أنها قد استيقظت لتوّها من النوم. أرادت التحدّث عن نفسها، وأردّتُ الاستماع.

منَحها والدها منزلًا جيدًا، وتعليمًا، وكل ما يمْكن لصانعِ سفن ثريّ منحه لابنته الوحيدة، عدا الغفران. لن يغفر لها قطّ فرارها مع ذلك البحّار.

وبينما كانت تتحدث، تناولت يدي وأسندت رأسها على كتفي. «في الليلةِ التي تزوجنا فيها أنا وغاري،» قالت في همس، «كنتُ عذراء مذعورة. وقد جنّ جنونه فجأة. في البداية، اضطر إلى صفعي وضربي، ثم أخذني معه دون ممارسة للحب. كانت تلك المرّة الأخيرة التي نكون فيها معا. لم أسمح له مطلقا بلمسي مُجددا».

على الأرجح أنها استطاعت رؤية جفولي ورَوَعي من خلال الطريقة التي ترتعشُ بها يدي. كان الأمر عنيفًا وحميميًّا لدرجة أكثر من اللازم بالنسبة لي. وعندما شعَرت برجفة يدي، قبَضت عليها بإحكامٍ أكبر كما لو أنّ عليها إنهاءُ قصتها قبل أن تدعني أرحل. كان الأمرُ يشكّل أهمية لها، وجلستُ بهدوء كما يجلسُ المرء أمام طائرٍ يأكلُ من راحة يدِه.

«هذا لا يعني أنّني لا أُعجب بالرجال»، استطرَدَت مُطمئنة، بانفتاحٍ مثير للدهشة. «لقد رافقتُ رجالا آخرين. لم أكن برفقته، بل برفقة آخرين كثيرين.

يتّسم معظم الرجال بالدماثة واللطف في التعامل مع المرأة. إنهم يُمارسون الحب ببطء، ويبدؤون أولا بالمداعبة والقبلات».

نظرت إليّ بتمعّن، وبدأت بفرك راحتها المفتوحة ذهابًا وإيابًا على راحتي.

كان ذلك كل ما سمعتُ عنه، وما قرأت عنه، وما حلمتُ به. لم أعرف اسمها، ولم تسألني عن اسمي. لم تكن تريد مني سوى أن آخذها إلى مكانٍ نستطيع أن نكون فيه بمفردنا. أتساءل ماذا سيكون رأي أليس.

لاطفتُها بطريقة غريبة وقبلتها بتردّدٍ أكبر حتى نظرت نحوي وهمَست: «ما الأمر؟ بمَ تفكّر؟»

«بكِ».

«ألديكَ مكان نستطيع الذهاب إليه؟

كنتُ أتوخى الحذر مع كل خطوة أخطوها نحو الأمام. عند أي نقطة يا ترى كانت ستنشق الأرض وتُغرقني في القلق؟ شيءٌ ما جعلني مُستمرًّا في التقدم لاختبار موطئ قدمي.

«إذا لم يكن لديك مكان، ففندق مانيسون الذي يقع في الشارع الثالث والخمسين لا يكلّف كثيرا، كما أنّهم لا يضايقونك بشأن الأمتعة في حالة كان

الدفع مقدما».

«لديّ غرفة...»

نظرت إليّ باحترامٍ جديد. «حسنا، هذا رائع».
لم يحدث شيء حتى الآن، وهذا بحد ذاته أمرٌ يثير الفضول. إلى أي مدى سأتمكن من الاستمرار دون أن تبتلعني أعراض الهلع؟ عندما كنا في الغرفة؟ عندما خلعت ملابسها؟ عندما رأيت جسدها؟ عندما كنّا نائمين معا؟

فجأة، أصبح من المهم بالنسبة لي معرفة ما إذا كان باستطاعتي أن أكون كباقي الرجال؛ ما إذا كان باستطاعتي يوما أن أطلب من امرأة مشاركتي في الحياة. لم يكن امتلاك الذكاء والمعرفة كافيان. أردتُّ هذا أيضا. صار شعور التحرر والانسياب أقوى الآن مع حضور الشعور بأن ذلك الأمر كان ممكنا. بدت علامات الإثارة التي غمرتني عندما قبلتها بوضوح، وكنتُ متأكدا من قدرتي على أن أكون طبيعيا معها. لقد كانت مُختلفة عن أليس. كانت من نوع النساء اللواتي يمتلكن الكثير من الخبرة.

ثم تغيرت نبرة صوتها، مُتردّدة.

«قبل أن نذهب... مجرد أمر أخير..»

نهضت من مكانها وسارَت نحوي عبر رذاذ المصباح، ثم فتحت معطفها لتكشف لي عن شكل جسدها الذي لم يكن كما تخيلته طوال الوقت عندما كُنّا جالِسَين بجانب بعضنا البعض في الظل.

«في الشهر الخامس فقط»، قالت مُعقّبة. «لا يُغيّر هذا من أمرنا شيئا. أنت لا تمانع، أليس كذلك؟»

بينما كانت تقف هناك، بمعطفها المفتوح، بدت مُركّبة كعرضٍ مزدوج لصورة المرأة متوسطة العمر وقد خرجت لتوها من حوض الاستحمام، وفتحت ردائـها علـى آخـره كـي يـرى تشارلي ما وراءه. وانتظرت، كما ينتظرُ المهرطقُ الصاعقة. نظرتُ بعيدا. كان هذا آخر ما كنتُ أتوقعه، ولكن كان يجدر بالمعطف الملتفّ حولها بإحكام في مثل هذه الليلة الحارة أن يُنبئني بوجودِ أمرٍ خاطئ.

«إنه ليس لزوجي»، قالت بنبرةٍ مؤكِّدة. «لم أكذب عليك في حديثي السابق. لم أره منذ سنوات. كان بائعًا التقيتُ به منذ حوالي ثمانية أشهر. كنت أعيش معه. لن أراه بعد الآن، لكنني سأُبقي الطفل. علينا فقط أن نكون حذرين؛ ألا نستخدم العنف أو أي شيء من ذلك القبيل. أمّا عدا ذلك، فلا داعي للقلق».

خنع صوتها عندما رأت غضبي جليّا. «يا للقذارة!»

قلتُ بصوتٍ مرتفع. «يجب أن تكوني خجلةً من نفسك».

سارت مبتعدة وهي تربط معطفها حول جسدها بسرعة لحماية ما يقبع داخله.

وبينما كانت تقوم بتلك الإشارة الوقائية، رأيت الصورة المزدوجة الثانية: أمي، مثقلة بحملها في أختي، في الأيام التي قلّ فيها ضمّها لي، وقلّت تدفئتها لي بصوتها ولمساتها، وقلّت حمايتها لي من أي شخص تجرأ على نعتي بالشخص دون الطبيعيّ.

أظنّني جذبتها من كتفها؛ لستُ متأكدا، ولكنّها كانت تصرخ، وعدّتُ إلى الواقع بسرعة مع الشعور بالخطر. أردت إخبارها أنّني لم أكن أقصد أي ضرر. لم أكن لأؤذيها أو لأؤذي أحدا آخر قط. «لا تصرخي أرجوكِ!»

لكنها كانت تصرخ، وسمعتُ وقع الخطوات الراكضة على الطريق المُظلم. كان ذلك أمرا يستعصي فهمه على أيّ أحد. ركضتُ في الظلام للعثورِ على مخرجٍ من المُنتزه، أقطع طريقا بصورة متعرجة وأمشي مستقيما على الآخر. لم أكن أعرف المنتزه، وفجأة، ارتطمتُ بشيءٍ ألقى بي إلى الخلف. سياجٌ بشبكةٍ سلكية؛ طريقٌ مسدود. ثمّ رأيتُ المراجيح والمزالج وأدركت أنها ساحةُ لعبٍ للأطفال

مغلقة في الليل. مشيتُ بمحاذاة السياج، وتابعتُ المســـير، مُهــرولا، ومتعــثرّا بجــذور الأشــجار المتشابكة. وعند البحيرة المنحنية بالقرب من ساحة اللعب، عدتُ من حيث بدأت، ووجدت طريقا آخر، ومشيتُ على جسرِ المُشاة الصغير، وبعدها حوله، وتحته. لا مخرج.

«ما الأمر؟ ما الذي حدث يا سيّدتي؟»

«مجنون؟»

«هل أنتِ على ما يُرام؟»

«أيَّ طريقٍ سلك؟»

كنتُ قد مشيت في حلقةٍ مُفرغة وعدتٌّ إلى حيث بدأت. تسلّلتُ خلف النتوء الضخم لصخرةٍ وحاجزٍ من الشجيرات الشائكة، وانبطحتُ على بطني.

«أحضِر شرطيا. لا نجدُ شرطيا أبدا عندما نحتاجه». «ماذا حدث؟»

«شخصٌ منحلّ حاول اغتصابها».

«مهلا، شخص ما يطارده هناك. ها هو!»

«هيّا! أمسك بالوغد قبل أن يخرج من المنتزه!»

«حذار! لديه سكين وبندقية...»

كان جليّا أن الصراخ قد جعل الزواحف الليلية تخرج من أماكنها، لأن صيحة «ها هو ذا» قد تكرّر صداها من خلفي، وبالنظر نحو الخارج من وراء الصخرة، استطعت رؤية عدّاء وحيد يتعرض للمطاردة عبر الطريق المُضاء بالمصابيح ونحو الظلام. وبعد ثوان، مرّ آخر من أمام الصخرة واختفى بين الظِّلال. تصــــوّرتُ نفســي وقــد ألقــى هــؤلاء الغوغــاء المتحمّسون القبض عليّ، وضربوني ومزّقوني. كنت أستحق ذلك. كنت أرغب تقريبا في أن يحدث.

نهضت، ونفضتُ الأوراق والتراب عن ملابسي، وسرتُ ببطء نزولا على الطريق في الاتجاه الذي كنت قد أتيتُ منه. كنت أتوقّع في كل لحظة أن أُجذب من الخلف وأُمرَّغ في الأوساخ والظلام، ولكن سرعان ما رأيتُ الأضواء الساطعة للشارع التاسع والخمسين والجادة الخامسة، وخرجتُ من المنتزه.

وبالتفكير في الأمر الآن، في أمان غُرفتي، هزّتني القسوة التي طالتني. إنّ تذكّر شكل والدتي قبل ولادتها لشقيقتي أمرٌ مرعب. لكن الأمر الأكثر إثارة للرعب هو رغبتي في أن يمسكوا بي ويضربوني. لماذا أردتُ التعرّض للعقاب؟ ظلالٌ من الماضي تتشبّث بساقي وتسحبني إلى الأسفل. أفتحُ فمي لأصرخ، لكنّني بلا صوت. يداي ترتجفان، وأشعرُ

بالبرد، وهنالك طنينٌ بعيد في أُذنيّ.

تقرير تطوّر ١٣

١٠ يونيو- نحن على متن طائرة ستراتو على وشك الإقلاع إلى شيكاغو. أدين بهذا التقرير المرحلي لبرت الذي اقترح فكرة ذكية مفادها أن باستطاعتي املاءه على شريط تسجيل ترانزستور وجعل كاتبِ اختزالٍ عام يكتبه في شيكاغو. نيمور معجب بالفكرة. بل إنه يريد منّي استخدام المُسجِّل حتى آخر لحظة. إنه يشعر أنّ تشغيل أحدث شريط في نهاية الجلسة سيكون إضافة كبيرة للتقرير.

إذن، ها أنا ذا، أجلس بمفردي في قسمنا الخاص على الطائرة في طريقنا إلى شيكاغو، محاولا الاعتياد على التفكير بصوت مرتفع، والاعتياد على صوتي. أفترض أن بمقدور الكاتب التخلص من كل التأتأة والآهات وكلمات التوقف بين العبارات، وأن يجعل الأمر يبدو طبيعيا على الورق. (لا أستطيع منع الشلل الذي يتملّكني عند التفكير في أن المئات من الأشخاص سوف يستمعون إلى ما أقوله الآن).

عقلي فارغ. مشاريعي أهمّ من أي شيءٍ آخر في هذه المرحلة.

تُرعبني فكرة الصعود في الهواء.

وعلى حد علمي، فإنني لم أفهم قط ماهية

الطائرات بالفعل قبل إجراء العملية. لم أربط حقا بين الصور المقربة للطائرات في الأفلام والتلفاز وبين الأشياء التي كنت أراها مُحلّقةً فوق رأسي. والآن وقد أصبحنا على وشك الإقلاع، لا يمكنني التفكير إلا فيما قد يحدث إذا تعرضنا لحادث تحطّم. شعورٌ دائم، وفكرة أنني لا أريد الموت. تجعل المرء يستحضر تلك المناقشات حول الرّب.

فكّرتُ في الموت كثيرا في الأسابيع الأخيرة، ولكن لم أفكر حقا في الرب. كانت أمي تأخذني إلى الكنيسة من حينٍ لآخر، لكنّني لا أتذكّر ربط ذلك بفكرة الرّب. كثيرا ما كانت تتحدث عنه، وكنت أصلّي له في الليل، لكنّني لم أشغل بالي مطلقا بالتفكير فيه. أتذكّره كعمٍّ بعيد بلحيةٍ طويلة على عرش. (مثل بابا نويل في متجرٍ كبير على كرسيه الضخم، الذي يأخذك ويضعك على ركبتيه، ويسألك إذا كنتَ جيدا، وماذا تريد منه أن يعطيك؟). كانت خائفة منه، لكنّها رغم ذلك كانت تطلب منه خدمات. لم يتحدث والدي عنه أبدا، كما لو كان الرب أحد أقارب روز الذي كان يُفضّل عدم الاحتكاك به.

**

«نحنُ مستعدّون للإقلاع يا سيدي. هل أساعدك في ربط حزام مقعدك؟»

«هل هذا ضروري؟ لا أحبُّ أن أكون مُقيّدا».

«حتى نصبح في الجو».

«أفضّل ألا أفعل ذلك، إلّا إذا كان ضروريا. لدي ذلـك الخـوف مـن أن أكون مربوطا فـي شيء. وسيجعلني مريضا على الأرجح».

«إنــها القوانـين يـا سـيدي. هـاك، اسـمح لـي بـأن أساعدك».

«كلا! سأفعلها بنفسي».

«كلا، هذا يمرّ من هنا...»

«انتظر، أوه... حسنا.»

**

يا للسخافة. ما من شيءٍ يستعدي الضحك. حزام المقعد ليس بذلك الضيق؛ إنه لا يضرّ. لماذا يكون ربط حزام المقعد اللعين أمرا مرعبا للغاية؟ هذا، والاهتزازات الناجمة عن إقلاع الطائرة. حجم القلق لا يتناسب البتة مع حجم الموقف. لذا لابد أن يكون هنـاك شـيء مـا... مـاذا؟ التحليق صعودا وعبر الـسُّحُب المُظلمــة... ربـط أحزمـة الأمـان... مُقـيّدٌ لأسفل... منحنٍ بشدّة للأمام... جلود تفوح منها رائحة العرق... اهتزازات وصوت هدير في أذنيّ.

وعبر النافذة -في السُّحب- أرى تشارلي... من الصعب تحديد العمر؛ حوالي خمس سنوات. قبل نورما...

«هل أصبحتُما مستعدّين بعد؟» يأتي والده إلى المدخل، ضخما، وبالأخص تلك الشحوم المتُدلّية من وجهه ورقبته. لديه نظرةٌ مُتعبة. «قلت، هل أنتما مستعدان؟»

«لحظات فقط»، تجيبُ روز. «أنا أرتدي قبعتي. انظُر إلى قميصه، هل هو مُزرّر؟ واربط له حذاءه».

«هيا، دعونا ننتهي من هذا الأمر».

«أين؟» يسألُ تشارلي. «أين... تشارلي... يذهب؟»

ينظر والده إليه ويعبس بوجهه. لا يعرف مات جوردن أبدا كيف يتفاعل مع أسئلة ابنه.

تظهر روز في مدخل غرفة نومها، وهي تعدّل قبعتها ذات الطرف المنْسدل حتى منتصف وجهها. إنها امرأة تشبه الطيور، وذراعاها -مرتفعان حتى رأسها، وكوعاها متجهان نحو الخارج- يبدوان كالأجنحة. «نحن ذاهبون إلى الطبيب الذي سيساعدك على أن تصبح ذكيًا»

يجعلها غطاء القبعة تبدو وكأنها تحدق فيه من وراء شبكة سلكية. دائما ما يشعر بالخوف عندما يتأنقون

بهذه الطريقة للخروج، لأنه يعلم أنه سيكون عليه مقابلة أشخاص آخرين، وستصبح والدته منزعجة وغاضبة.

يريد أن يهرب، لكن ما من مكان يستطيع أن يذهب إليه.

«لم أخبرتِه بذلك؟»

«لأنها الحقيقة. يمكن للطبيب غوارينو مساعدته».

يقطع مات الأرض بخطى رجُلٍ فقد الأمل، لكنه سيقوم بمحاولة أخيرة في سبيل المنطق. «وما أدراكِ؟ ماذا تعرفين عن هذا الرجل؟ لو كان هناك ما يمكن فعله لأخبرنا به الأطباء منذ زمنٍ طويل».

«لا تقل ذلك»، تصيح في ذُعر. «لا تقل لي إنه لا يوجد ما يمكن فعله». تجذب تشارلي وترفعه نحو صدرها وتضمّ رأسه إليه. «سوف يصبح طبيعيا. أيا تكن الأمور التي سنضطر لفعلها، أيا يكن الثمن».

«هذا شيءٌ لا يُشترى بالمال».

«أتحدّث هنا عن تشارلي. ابنك... طفلك الوحيد.» تُهزهزه من جانبٍ لآخر، بطريقةٍ باتت الآن أشبه ما تكون بالهيستيرية. «لن أستمع لذلك الكلام. إنهم لا يعرفون شيئا، لذلك يقولون إنه لا يوجد ما يمكن فعله. لقد أوضح لي الطبيب غوارينو كل شيء.

يقول إنهم لا يريدون رعاية ابتكاره لأنه سيثبت أنهم على خطأ. كما حدث مع أولئك الأطباء الآخرين، باستور وجينينغز وبقيّتهم. لقد أخبرني كل شيء عن أطبّائك الممتازين وخوفهم من التقدّم.»

جعلها ردّها على مات بهذه الطريقة أكثر استرخاء وثقة في نفسها مجددا. وعندما تترك تشارلي، يتجه نحو الزاوية ويقف عند الجدار مذعورا ومُرتعشا.

«انظر!» تقول، «لقد تسببت مرة أخرى في ارتباكه».

«أنا؟»

«دائما ما تبدأ الجدال بشأن هذه الأمور أمامه».

«أوه، بحق المسيح! هيا، دعينا ننتهِ من هذا الأمر اللعين».

كانا يتجنبان التحدث مع بعضهما البعض طوال طريقنا إلى مكتب الطبيب غوارينو. صمتٌ على الحافلة، وصمتٌ أثناء عبور الأحياء الثلاثة حتى مبنى المكتب في منتصف البلدة. وبعد حوالي خمس عشرة دقيقة، يخرج الطبيب غوارينو إلى غرفة الانتظار ليلقي عليهم التحيّة. إنه بدين وأصلع، ويبدو كما لو أنه سينفجر من معطف المختبر الأبيض الذي يرتديه. تشارلي مفتون

بالحواجب البيضاء الكثيفة والشارب الأبيض الذي يهتز، هو والحواجب، من وقتٍ لآخر. أحيانا يهتز الشارب أولا، متبوعا بارتفاع كلا الحاجبين، ولكن في بعض الأحيان، يرتفع الحاجبان أولا، ثم يلي ذلك اهتزاز الشارب.

ومن الغرفة البيضاء الكبيرة التي يدعوهم الطبيب غوارينو إلى دخولها، تنبعث رائحة طلاءٍ حديث، كما أنها شبه خاوية؛ مكتبان في أحد جوانب الغرفة، وعلى الجانب الآخر تقبع آلةٌ ضخمة، بصفوف من الأزرار وأربعة أذرع طويلة أشبه بمثاقب طبيب الأسنان. وعلى مقربةٍ منها، توجد طاولة فحص جلدية سوداء مزوّدة بأحزمة تقييد سميكة.

«حسنا، حسنا، حسنا» يقول الطبيب غوارينو، رافعا حاجبيه. «هذا هو تشارلي إذن»، وهو يجذب كتف الصبي بقوّة. «سوف نصبح أصدقاء».

«أيمكنك حقا فعل أي شيء له، أيها الطبيب غوارينو؟» يقول مات. «هل سبقت لك معالجة هذا النوع من الأشياء؟ ليس لدينا الكثير من المال».

يُنزِل غوارينو حاجبيه إلى الأسفل، كمصاريع نافذة، ويقطّب وجهه. «هل قلتُ أي شيء بعد بشأن ما يمكنني فعله يا سيّد جوردن؟ أليس عليّ فحصُه أولا؟ ربما يكون هناك ما بوسعي فعله، وربما لا

يكــون. أولا، يجــب أن يكــون هنـالك فحوصـات جسدية وعقلية لتحديد أسباب المرض. سيكون هنـاك مـا يكفـي مـن الـوقت لاحقـا للتحـدث عـن التكهّنات. في الواقع، أنا مشغولٌ جدا هذه الأيام. ولم أوافق على قبول هذه الحالة إلا لأنّني أجري دراسة خاصة عن هذا النوع من التخلف العصبي. بالطبع، إذا كانت لديك شكوك، فربما إذن...»

ينخفض صوته تدريجيا بحزن، ثم يلتفت مبتعدا، لكن روز جوردن تلكز مات بكوعها. «زوجي لا يعني ذلك على الإطلاق أيها الطبيب. إنه مجرد ثرثار». وتُحملق في مات مرة أخرى طالبة منه الاعتذار.

يقول مات متنهدا: «إن كانت هنالك أي طريقة تستطيع من خلالها مساعدة تشارلي، فسنفعل أي شيء تطلبه. الأمور بطيئة هذه الأيام. أنا أعمل في بيع مستلزمات تصفيف الشعر، ولكن أيا يكن ما يتعين عليّ فعله فسأكون سعيدا بـ...»

«أمرٌ أخير أودّ التأكيد عليه»، يقول غوارينو، زامّا شفتيه، وكأنه يتخذ قرارًا. «بمجرد أن نبدأ، يجب أن يستمر العلاج حتى النهاية. في الحالات من هذا النوع، فإن النتائج تأتي في الغالب على نحو مفاجئ بعد شهور طويلة، دون أن تكون هنالك أي علامات على التحسن. لكن انتبها، فكلامي هذا لا يعني أنّني أعدكما بالنجاح. لا شيء مضمون. لكن يحب أن نمنح

العلاج فرصة. وإلا فمن الأفضل لكما ألا نبدأ فيه على الإطلاق».

ثم يعبس في وجهيهما كي يكون تحذيره واضحا، وحاجباه يبدوان كظلالٍ بيضاء يبرز من تحتيهما تحـديق عينيـه الزرقـاوين السـاطعتين. «والآن، فلتخرجا كي أفحص الصبي».

يتردد مات في ترك تشارلي معه بمفرده، لكن غوارينو يومئ له. «هذه أفضل طريقة،» يقول وهو يقودهما للخارج إلى غرفة الانتظار. «دائما ما تكون النتائج أدق إذا كنتُ بمفردي مع المريض أثناء إجراء اختبارات التدليل النفساني. للمشتّتات الخارجية تأثيرٌ ضار على النتائج المُتفرّعة».

تبتسم روز لزوجها بانتصار، ويتبعها مات في خنوع إلى الخارج.

وبمفرده مع تشارلي، يربّت الطبيب غوارينو على رأسه. لديه ابتسامة لطيفة. «حسنا يا فتى. على الطاولة».

وعندما لا يستجيب تشارلي، يرفعه بلطف على الطاولة المبطنة بالجلد ويربطه بإحكام بالأحزمة السميكة. تنبعث من الطاولة رائحة قوية من العرق المُتَشَبّع، والجلد.

«ماماااااا!»

«إنها في الخارج. لا تقلق يا تشارلي. لن يؤلمك هذا إطلاقا».

«أريد ماما!» يشعر تشارلي بالحيرة جرّاء تقييده على هذا النحو. ليس لديه أيّ فكرة عمّا يحدث له، لكن كان هنالك أطباء آخرون لم يكونوا لطفاء معه بعد مغادرة والديه الغرفة.

يحاول غوارينو تهدئته. «هدّئ من روعك يا فتى. ما من شيءٍ يستدعي الخوف. أترى هذه الآلة الكبيرة هنا؟ هل تعرف ماذا سأفعل بها؟»

ينكمش تشارلي على نفسه، ثم يتذكّر كلمات والدته. «يجعلني ذكي».

«هذا صحيح. أنت تعرف سبب وجودنا هنا على الأقل. والآن، أغمض عينيك فقط واسترخِ بينما أشغّل هذه المفاتيح. سوف تُحدث ضجة صاخبة، كطائرة، لكنها لن تؤذيك. وسنرى ما إذا كان باستطاعتنا أن نجعلك أذكى قليلاً ممّا أنت عليه الآن.»

يشغّل غوارينو المفاتيح التي تجعل الآلة الكبيرة تطلقُ طنينا، وأضواء حمراء وزرقاء تومض وتنطفئ. تشارلي مذعور. إنه ينكمش على نفسه ويرتعش،

ويحاول جاهدا التخلص من الأحزمة التي تُثبّته بإحكام إلى الطاولة.

يبدأ في الصراخ، لكن غوارينو يُسرع بدفع كومة من القماش في فمه. «لا بأس يا تشارلي. كفّ عن ذلك. كُن فتى مطيعا. أخبرتك أنه لن يؤلمك».

يحاول الصراخ مجددا، لكن لا يخرج منه إلا اختناقٌ مكتـوم يجعلـه يريـد أن يتقـيّأ. يشـعر بالرطوبـة واللزوجة حول ساقيه، وتخبره الرائحة أن والدته سوف تعاقبه بالضرب والوقوف في الزاوية لتبوّله في بنطاله. لم يستطع التحكم بنفسه. فكلما شعر بأنه محاصر، وبتملّك الذعر منه، يفقد السيطرة ويوسّخ نفسه. اختناق... مرض... غثيان... وكل شيء يتحوّل إلى الأسود...

لا توجد طريقة لمعرفة الوقت الذي ينقضي، لكن عندما يفتح تشارلي عينيه، يجد فمه خاليا من القماش، ويجـد الأحزمـة غـير مـوجودة. يتظـاهر الطبيب غوارينو بأنه لا يشمّ الرائحة.

«والآن، هذا لم يكن مؤلما. أليس كذلك؟»

«كـ- كلا».

«لمـاذا تـرتعش هكـذا إذن؟ كـل مـا فعلتُه هـو استخدام تلك الآلة لأجعلك أذكى. ما شعورك وقد

أصبحت الآن أذكى من قبل؟»

متناسيًا خوفه؛ يحدّق تشارلي في الآلة. «هل أصبحت ذكي؟»

«بالطبع. ممم، قف هناك في الخلف. بم تشعر؟»

«أشعر بالتبلل. لقد فعلتها على نفسي».

«نعم، حسنًا، لن تفعل ذلك في المرة القادمة، أليس كذلك؟ لن تشعر بالخوف بعد الآن، بعد أن عرفت أنه لم يكن مؤلما. أريدك الآن أن تخبر والدتك بمدى شعورك بالذكاء، وسوف تحضرك إلى هنا مرتين في الأسبوع من أجل الترميم الدماغي بالموجات القصيرة، وسوف يزداد ذكاؤك أكثر فأكثر فأكثر».

يبتسم تشارلي. «يمكنني المشي إلى الوراء».

«حقا؟ دعنا نرى». يقول غوارنيو، مُغلقا ملفّه بحماسٍ زائف.

وببطء، وجهدٍ كبير، يأخذ تشارلي عدة خطوات للوراء، متعثرا بطاولة الفحص أثناء مشيه. يبتسم غوارينو ويومئ برأسه. «حسنا، هذا ما أدعوه بالأمر العظيم. انتظر فقط. سوف تصبح أذكى صبيّ في حيّك قبل أن ننتهي منك».

يغمر السرور تشارلي جرّاء هذا المديح والاهتمام. فقلّما يبتسم الناس له ويخبرونه أنه قام بعملٍ جيد. حتى إن الرعب الذي تملّكه من الآلة ومن التقييد إلى الطاولة قد بدأ بالتلاشي.

«في الحيّ بأكمله؟» تملؤه الفكرة كما لو أنه غير قادر على إدخال ما يكفي من الهواء إلى رئتيه مهما حاول. «أذكى حتى من هيمي؟»

يبتسم غوارينو مرة أخرى ويومئ برأسه. «أذكى من هيمي».

ينظر تشارلي إلى الآلة بتعجّبٍ واحترامٍ جديدين الآلة التي ستجعله أذكى من هيمي الذي يعيش على بُعد منزلين، ويعرف كيف يقرأ ويكتب، وعضوًا في الكشّافة.

«هل هذه الآلة لك؟»

«ليس بعد. إنها للبنك. لكنها ستُصبح ملكي عمّا قريب، وحينها سأكون قادرا على جعل الكثير من الفتيان مثلك أذكياء». ثم يربت على رأس تشارلي ويُكمل قائلا: «أنت ألطف بكثير من الأطفال العاديين الذين تُحضرهم أمهاتهم إلى هنا، أملا في رفع ذكائهم رفعًا يعينهم على أن يصيروا عباقرة».

«هل إذا رفعت عينهم يكونو عقارب؟» ويضع يديه

على وجهه ليرى إن كانت الآلة قد فعلت أي شيء لرفع عينيه. «ستجعلني عقرب؟»

يُطلق غوارينو ضحكة لطيفة بينما يضغط على كتف تشارلي. «كلا يا تشارلي. ما من شيء يستدعي قلقك. وحدهم الأطفال البذيئون المشاغبون سيصبحون عقارب. ستبقى كما أنت تماما، طفلا لطيفا». وبعد التفكير مليًّا في الأمر، أضاف: «وبالطبع، أذكى بقليل مما أنت عليه الآن».

يفتح الباب ويقود تشارلي إلى الخارج نحو والديه. «ها هو يا رفاق. لم تكن التجربة بذلك السوء. فتى جيد. أعتقد بأننا سنصبح صديقين جيدين، أليس كذلك يا تشارلي؟»

يومئ تشارلي برأسه. يريد أن يحظى بإعجاب الطبيب غوارينو، لكنّه يصاب بالذعر عندما يرى تعبيرات وجه والدته. «ماذا فعلت يا تشارلي؟»

«مجرد حادثة يا سيّدة جوردن. كان مرعوبا في المرة الأولى. لكن إياكِ ولومَه أو معاقبته. لا أريده أن يربط العقاب بقدومه إلى هنا».

لكن روز جوردن تمتلئ بالاشمئزاز والحرج. «الأمر مقرف. لا أدري ماذا أفعل أيها الطبيب. وحتى في المنزل، فإنه ينسى، وأحيانا عندما يكون لدينا ضيوف في المنزل. أشعر بالعار عندما يفعل ذلك»؟

تجعله نظرة الاشمئزاز التي تعلو وجه والدته يرتعد خوفا. كان قد نسي لفترة قصيرة أنه فتى سيئ، وكيف أنّه يجعل والديه يعانيان. لا يدري كيف، ولكن يرعبه قولها بأنه يجعلها تعاني، وعندما تبكي وتصرخ في وجهه، يدير وجهه ناحية الجدار ويئن وحده بصوتٍ منخفض. «كلا، لا تزعجيه يا سيّدة جوردن، ولا تقلقي. أحضريه إليّ كل ثلاثاء وخميس من كل أسبوع في نفس الموعد».

«لكن هل سينفعه هذا حقا؟» يسأل مات. «عشرة دولارات مبلغ كـ..»

«مات!» تقبض على كمّه. «أهذا أمر نتحدث عنه في وقتٍ كهذا؟ ابنك الذي من لحمك ودمك، وربما يتمكن الطبيب غوارينو من جعله كبقية الأطفال، بعون الرّب، وأنت تتحدّث عن المال!»

يشرع مات جوردن في تبرير موقفه، ثم وبعد تفكيرٍ مُتأنّ، يُخرج محفظته.

«من فضلك...» يقول غوارينو متنهدا، كما لو أنه شعر بالحرج من رؤية المال. «سوف تهتم مساعِدتي في مكتب الاستقبال بجميع الترتيبات الماليّة. شكرا لك». ينحني لروز نصف انحناءة، ويصافح يد مات، ويربّت على ظهر تشارلي. «فتى لطيف. لطيف جدا». ثم يبتسم مرة أخرى، ويختفي خلف الباب المؤدي

إلى المكتب الداخلي.

يتجادلان طوال الطريق إلى المنزل، فمات يتذمر من تراجع مبيعات مستلزمات تصفيف الشعر، ومن كون مدّخراتهم في تضاؤل، وترد عليه روز في صراخ بأن جعل تشارلي طبيعيا لهو أكثر أهمية من أي شيء آخر.

مُرتعِبًا من الشجار؛ يبدأ تشارلي في الأنين. تؤلمه نبرة الغضب التي في صوتيهما. وبمجرد دخولهم إلى الشقة، يبتعد عنهما ويركض باتجاه زاوية المطبخ، خلف الباب، ويقف ضاغطا بجبينه على الجدار المغطّى بالبلاط، يرتعد ويئنّ.

لا يعيره أحد منهما أي انتباه، ونسيا أنّه يجب أن يُنظّف وتُبدَّل ملابسه.

«أنا لا أتصرف بهيستيرية. كل ما في الأمر أنني سئمت من تذمّركَ الدائم في كل مرة أحاول فيها فعل شيءٍ لابنك. أنت لا تهتم. لا تهتم إطلاقا».

«هذا غير صحيح. لكنّي أدرك أنه ما من شيء يمكننا فعله. عندما يكون لديك طفلٌ مثله، فإنّه ابتلاء، وعليك أن تتحمّله وأن تحبّه. يمكنني تحمله، لكنني لا أطيق وسائلك الحمقاء. لقد أنفقتِ جميع مدخراتنا تقريبا على الدجالين والمحتالين، مالٌ كان من الممكن أن أستخدمه لإنشاء عمل جيّد لي. نعم.

لا تنظري إليّ بهذه الطريقة. كان بمقدوري، بكل الأموال التي أهدرتِها لتحقيق شيءٍ لا يمكن تحقيقه، أن أكوّن صالون الحلاقة الخاص بي، بدلا من الكدح في البيع لعشر ساعات يوميا. مكاني الخاص، بأشخاصٍ يعملون لصالحي!»

«توقّف عن الصراخ. انظر إليه، إنه خائف».

«فلتذهبي إلى الجحيم. أعرف الآن من الأحمق هنا. أنا! لتحمّلكِ». ويخرج منفعلا، ضاربًا الباب خلفه بقوّة.

**

«آسفٌ لمقاطعتك يا سيدي، لكننا سنهبط في غضون دقائق قليلة. سيتعيّن عليك ربط حزام مقعدك مرة أخرى... أوه، أنت تضعه يا سيّدي. لقد تركتَه مربوطا طوال الطريق من نيويورك. قُرابة الساعتين...»

**

«لقد نسيتُه تماما. سأدعه هكذا حتى نهبط. لا يبدو أنه يزعجني بعد الآن.

أستطيع الآن معرفة السبب وراء وجود هذا الدافع غير الاعتيادي لأن أصبح ذكيا، والذي كان سبب دهشة الجميع في المقام الأول. لقد كان أمرا

متجذّرًا في حياة روز جوردن، ليلها ونهارها. خوفها، وذنبها، وعارها من كون تشارلي أحمق. حلمها بأنّ هناك ما يمكن فعله. السؤال الملّح دائما: خطأ من كان ذلك؟ خطؤها أم خطأ مات؟ لم تتوقف عن محاولة تحويلي وتغييري بالكامل إلا بعد أن أثبتت لها نورما أنها قادرة على الحصول على أطفال طبيعيين، وأنّني مسخ. لكن أظن أنني لم أكفّ أبدا عن الرغبة في أن أكون الفتى الذكي الذي كانت تريدُه، سعيا إلى حُبِّها.

أمرٌ غريب بشأن غوارينو. يجب أن أكون مستاءً منه لما فعله بي، ولاستغلاله لروز ومات، لكنّني بطريقة ما لا أستطيع ذلك. فبعد اليوم الأول، ظلّ يعاملني دائما بلطف. كان هنالك دائما التربيت على الكتف، والابتسامة، والكلمات المُشجّعة التي نادرا ما كنتُ ألقاها في طريقي.

لقد عامَلني -حتى في ذلك الوقت- كإنسان.

قد يبدو هذا نوعًا من الجحود، لكن ذلك من أحد الأشياء التي أبغضها هنا؛ التعامل معي على أنني فأر تجارب. إشارات نيمور المستمرة إليّ بجعلي ما أنا عليه، أو أنه سيكون هنالك ذات يوم آخرون كُثُرٌ مثلي ممن سيصبحون بشرا حقيقيين.

كيف أجعله يفهم أنّه لم يخلقني؟

إنه يرتكب نفس الخطأ الذي يرتكبه الآخرون عندما ينظرون إلى شخص محدود العقل ويضحكون، لأنهم لا يفهمون أنّ هنالك مشاعر إنسانية موجودة. إنه لا يدرك أنني كنتُ شخصا كذلك قبل مجيئي إلى هنا.

إنني أتعلم السيطرة على استيائي، وألّا أكون عديم الصبر هكذا، وأن أنتظر الأشياء. أظنّني في طور النضوج. وفي كل يوم، أتعلم المزيد والمزيد من الأمور عن نفسي، والذكريات التي بدأت كتموّجات صـغيرة، بـاتت تغمـرني الآن كموجـاتِ ارتطـام مُرتفعة...

١١ يونيو - بدأ الالتباس منذ اللحظة التي وصلنا فيها إلى فندق تشالمرز في شيكاغو، واكتشفنا وجود خطأ ما، وأن غرفنا لن تصبح شاغرة سوى الليلة التالية وأن علينا، حتى ذلك الحين، المكوث في فندق الاستقلال القريب من هنا. كان نيمور يتميّز غيظًا. لقد اعتبر الأمر إهانة شخصية، وتشاجر مع كل شخص يعمل في الفندق، من الخادم إلى المدير. انتظرنا في الردهة بينما خرج كل مسؤولٍ في الفندق بحثًا عن مُشرفِه لمعرفة ما يمكن فعله.

وفي خضمّ كل هذه المعمعة -أمتعة تنجرف إلى الـداخل وتتـراكم فـي كـل مكـان فـي الردهـة، والحمّالـون مسـرعون بجـرّ عرباتـهم الصـغيرة

المخصصة للأمتعة جيئة وذهابا، وأعضاء لم يروا بعضهم البعض منذ عام، يتعرّفون على بعضهم ويلقون التحيّة- وقفنا هناك بشعورٍ متزايدٍ بالحرَج حيث كان نيمور يحاول افتعال شجار مع مسؤولين على علاقة بالرابطة النفسية الدولية.

وأخيرا، وبعدما أصبح جليا أنه لا يوجد ما يمكن فعله بشأن الأمر، تقبّل نيمور حقيقة أننا سنقضي أول ليلة لنا في شيكاغو في فندق الاستقلال.

وكما تبيّن لاحقا، فقد كان معظم علماء النفس الأصغر سنًا يقيمون في الاستقلال، وكان هذا هو المكان الذي أقيمت فيه حفلات الليلة الأولى الكبيرة. كان الناس هنا قد سمعوا عن التجربة، وكان معظمهم يعرف من أنا.

كنّا، أينما ذهبنا، يأتي إلينا شخص ما ويطلب رأيي في كل شيء، من تأثيرات الضرائب الجديدة إلى أحدث الاكتشافات الأثرية في فنلندا. شكّل الأمر تحديا بالنسبة لي، ولكن مخزوني من المعرفة العامة سهّل عليّ الحديث عن أي شيء تقريبا. وبعد فترة، لاحظت انزعاج نيمور من كلّ الاهتمام الذي أحظى به.

وعندما سألتني طبيبة سريرية يافعة وجذّابة من كلية فالموث عمّا إذا كان بمقدوري شرح بعض

أسباب تخلّفي شخصيا، أخبرتها أن الأستاذ نيمور هو الشخص المؤهل للإجابة على ذلك.

كانت تلك هي الفرصة التي انتَظَرها لاستعراض سُلطته، وللمرّةِ الأولى منذ أن عرفنا بعضنا البعض، وضع يده على كتفي. «لا نعرف بالضبط سبب هذا النوع من بيلة الفينيل كيتون الذي عانى منه تشارلي في طفولته -حالة كيميائية حيوية أو جينية غير اعتيادية، وربما يكون بسبب الإشعاعات المؤينة أو الطبيعية، أو حتى هجوما فيروسيا على الجنين- أيا يكن ما نتج عنه جين معيب يُنتج، ما يمكن أن نطلق عليه، (إنزيما مُنشقًا) يخلق تفاعلات كيميائية حيوية معيبة. وبالطبع، تتنافس الأحماض الأمينية المُنتجَة حديثا مع الإنزيمات الطبيعية التي تُسبّب تلفًا في الدماغ».

بدا العبوس على وجه الفتاة، إذ لم تتوقع تلقّي محاضرة، لكن نيمور كان قد استحوذ على الأرضية واستمر في حديثه على نفس المنوال. «أُطلقُ عليه التثبيط التنافسي للإنزيمات. دعيني أضرب لك مثالا على الكيفية التي يعمل بها. فكّري في الإنزيم الذي يُنتجه الجين المعيب كمفتاح خاطئ يلائم القفل الكيميائي للجهاز العصبي المركزي، لكنّه لا يدور. وبسبب وجوده هناك، فإن المفتاح الحقيقي -الإنزيم الصحيح- لا يستطيع حتى دخول القفل.

إنــه مســدود. والنتيجــة؟ تــدميرٌ يتعــذّر عكسـه للبروتينات في أنسجة المخ».

«لكن إن كان يتعذّر عكسه»، قاطعه أحد علماء النفـس الآخـرين الـذين انضـمّوا إلى الجمـهور الصغير، «فكيف يُعقل أن السيد جوردن هنا لم يعد مُتخلّفا؟»

«آه!» صاح نيمور متبجّحا، «قلتُ إن التدمير الواقع على الأنسجة متعذّر العكس، وليست العملية نفسها. لقد تمكن العديد من الباحثين من عكس مسار العملية من خلال حقن المواد الكيميائية التي تتحد مع الإنزيمات المعيبة، فتُغيرّ الشكل الجُزيئي للمفتاح الذي يعترض الطريق، إن جاز التعبير. ويلعب هذا الأمر دورا رئيسيا في أسلوبنا أيضا. ولكن أولاً، نزيل الأجزاء التالفة من المخ، ونسمح لأنســجة المخ المزروعـة، والتـي جـرى تنشيطها كيميــائيًا، بـإنتاج بروتينـات دماغيـة بمعـدلٍ فـوق عاديّ...»

«دقيقة فقط يا دكتور نيمور»، قلتُ، مقاطعا له في ذروة خطابه المنمّق. «ماذا عن أعمال راهاجاماتي في هذا المجال؟»

نظر إليّ بانشداه «من؟»

«راهــاجاماتي. إن مقالتــه تــهاجم نظريـة تانيـدا

لانصهار الإنزيمات، مفهوم تغيير البُنية الكيميائية للإنزيم الذي يعيق العمليّة في مسار التمثيل الغذائي...»

أجاب عابسا «وهل تُرجِمت هذه المقالة؟»

«لم تُترجم بعد. قرأتُها في المجلة الهنديّة النفسية منذ بضعة أيام».

فنظر إلى الجمهور وحاول الاستخفاف بالأمر. «حسنا، لا أعتقد أن لدينا أي شيء يدعو للقلق، فنتائجنا واضحةٌ للعيان».

«لكن تانيدا نفسه كان أول من طرح نظرية عرقلة الإنزيم المنشق من خلال الدمج، والآن يشير إلى أن...»

«أوه، بحقّك يا تشارلي. إن مجرد خروج أحدهم بنظرية جديدة لا يعني امتلاكه القرار النهائي بشأن تطوّرها التجريبي. وأعتقد أن الجميع هنا سيتفقون على أن الأبحاث التي أُجريت في الولايات المتحدة وبريطانيا تفوق إلى حد كبير العمل المُنجز في الهند واليابان. ما تزال بحوزتنا أفضل المختبرات وأفضل المعدات في العالم».

«لكن هذا لا يجيب على وجهة نظر راهاجاماتي بأن...»

«ليس هذا بالوقت أو المكان المناسبين للخوض في ذلك. أنا واثق من أننا سنتعامل مع كل هذه النقاط بشكل وافٍ في جلسة الغد.» ثم التفت للتحدث مع شخصٍ ما حول صديق جامعي قديم، متعمّدا مقاطعتي ومنعي من الحديث تماما، ووقفتُ في مكاني مصعوقًا.

استطعتُ أخذ شتراوس جانبا، وشرعتُ في مُساءلته.

«حسنا. الآن. كنتَ تقول لي إنني أثير حساسيته. ماذا قُلت لينزعج على هذا النحو؟»

«أنت تجعله يشعر بالدونية، ولا يمكنه تحمّل الأمر».

«بحق الرب؛ إنني أتحدث بجدّية! أخبرني بالحقيقة».

«تشارلي، عليك أن تكفّ عن التفكير بأن الجميع يسخر منك. لم يستطع نيمور مناقشة هذه المقالات لأنه لم يقرأها. إنّه لا يستطيع قراءة تلك اللغات».

«لا يقرأ الهنديّة واليابانية؟ بحقّك!»

«لا يتمتّع الجميع بموهبتك اللغوية يا تشارلي».

«لكن كيف يمكنه إذن دحض هجوم راهاجاماتي

على هذا الأسلوب، وطعن تيندا في صحة هذا النوع من التحكّم؟ لا بدّ من أن تكون لديه معرفة بهذه...»

«كلا...» قال شتراوس بعد تفكير مليّ. «لا بدّ من أن هذه الأوراق البحثية حديثة. لم يكن هناك ما يكفي من الوقت لترجمتها».

«أتعني أنّك لم تقرأها أنت أيضا؟»

هزّ كتفيه وقال «إنّ حالي كلغويّ أسوأ بكثير من حاله. لكنّي على يقين بأنّنا سنُمشّط جميع المجلات بحثا عن بيانات إضافية، قبل أن نُسلّم التقارير النهائية».

لم أدرِ ماذا أقول. فقد أدى اعترافه بجهلهما بنطاقات كاملة في مجالهما إلى أن يدبّ الرعب فيّ. سألتُه: «ما اللغات التي تعرفها؟»

«الفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية وبعضا من السويديّة».

«لا تعرف الروسية والصينية والبرتغالية؟»

ذكّرني بأنه كطبيبٍ نفساني مُمارس وجراح أعصاب، فإنّه لم يكن لديه الكثير من الوقت لتعلم اللغات، وأن اللغات القديمة الوحيدة التي يعرفها هي اللاتينية واليونانية. لا شيء من اللغات الشرقية

القديمة.

كان بإمكاني ملاحظة رغبته في إنهاء النقاش عند تلك المرحلة، لكنّني بطريقة ما لم أستطع التوقف. كان عليّ اكتشاف حدود معرفته بالضبط.

وقد اكتشفت.

الفيزياء: لا تتجاوز معرفته نظرية الحقل الكمومي. الجيولوجيا: لا شيء عن مورفولوجيا الأرض أو علم وصف طبقات الأرض أو حتى علم الصخور. لا شيء عن نظرية الاقتصاد الجزئي أو الكلّي. معرفة ضئيلة في الرياضيات تتجاوز المستوى الابتدائي لحساب التكامل والتفاضل، ولا شيء على الإطلاق عن جبر باناخ أو فضاء ريماني متعدد الشُّعب. كانت هذه أول لمحة عن الكشوفات التي تنتظرني نهاية هذا الأسبوع.

لم أستطع البقاء في الحفلة، فتسللّت وخرجت للتجوّل والتفكير في هذا الأمر بتمعّن. محتالان؛ كلاهما. لقد تظاهرا بأنّهما عبقريّان، لكنّهما كانا مجرد شخصين عاديّين يعملان بعشوائية ودون تبصّر، ويتظاهران بأنهما قادرين على جلب النور للعتمة. لِمَ يكذبُ الجميع؟ لا أحد ممّن أعرفهم يوافق مظهره حقيقته. وبينما كنت أنعطف عند الزاوية، لمحت برت قادما نحوي. «ما الأمر؟» سألته

وهو يقترب مني. «هل تلاحقني؟»

هزّ كتفيه وأطلق ضحكة مُرتبكة. «الدليل أ؛ نجم العرض. لا يمكن أن أدعك تتعرض للدهس بواسطة أحد رعاة البقر هؤلاء من أصحاب السيارات في شيكاغو، أو للسرقة والدحرجة في ستيت ستريت».

«لا أحبُّ أن أبقى رهن الاحتجاز».

تجنّب تحديقي فيه بينما كان يمشي بجانبي، ويداه مندسّتان في جيوبه.

«هوّن عليك يا تشارلي. الرجل العجوز متوتر للغاية. إن هذا المؤتمر يعني له الكثير. فسُمعته على المحك».

«لم أكن أعرف أنك قريب منه لهذه الدرجة،» قلتُ مُتهكّما، في إشارةٍ مني إلى كل المرات التي تذمّر فيها برت من ضيق أفق الدكتور والضغط الذي يمارسه.

«لستُ قريبا منه»، ورمقني بنظرة مليئة بالتحدّي. «لكنّه أفنى حياته كلها في سبيل هذا الأمر. إنه ليس بِفرويد أو يونج أو بافلوف أو واتسون، لكنّه يفعل شيئًا مهمًا، وأنا أحترم تفانيه، وربمّا أكثر من ذلك، لأنه مجرد رجل عادي يحاول أداء عمل شخصٍ عظيم، بينما الرجال العظماء مشغولون بصنع

القنابل».

«أودّ أن أسمعك وأنت تسمّيه شخصا عاديا في وجهه».

«رأيه في نفسه غير مهم. صحيح أنه مغرور، ولكن ماذا في ذلك؟ يتطلّب الأمر هذا النوع من الغرور ليحاول شخص ما تحقيق أمرٍ كهذا. لقد رأيتُ ما يكفي من الرجال الذين يشبهونه لأعلم أنه إلى جانب ذلك التفاخر والتوكيد للذات، يوجد مقدارٌ كبير لعين من الخوف وعدم التيقّن».

«والزيف والضحالة»، أضفتُ إليه. «إنني أراهما الآن على حقيقتهما؛ مزيّفان. توقعت هذا من نيمور، إذ لطالما كان يبدو عليه الخوف من شيء ما. لكن شتراوس فاجأني بذلك».

توقّف برت وأطلق نفسا عميقا. ثم توجّهنا إلى مطعمٍ صغير لشرب القهوة، ولم أرَ وجهه، لكن السّخط كان ظاهرا في صوته.

«هل تعتقد أنّني مخطئ؟» قلت.

«كلّ ما في الأمر أنّكَ قطعت شوطا كبيرا بشكلٍ سريع. لديك عقلٌ رائعٌ الآن؛ ذكاءٌ لا يمكن قياسه حقا، والمعرفة التي اكتسبتَها حتى الآن تفوق معظم ما يجمعه الناس طوال حياتهم. ولكنّك غير

متوازن. أنت تعرف الأشياء، وتستبصر الأشياء، لكنّك لم تُطوّر التفهّم بعد، أو -عليّ استخدام الكلمة- التسامح. أنت تسمّيهما مزيّفين، لكن متى ادّعى أيٌّ منهما أنه كامل أو إنسانٌ خارق؟ إنهما شخصان عاديّان. أنتَ هو العبقريّ».

ثم قطع حديثه بارتباك عندما أدرك فجأة أنه يلقي عليّ المواعظ.

«أكمل».

«هل سبق وأن قابلتَ زوجة نيمور؟»

«كلا».

«إذا أردت أن تفهم سبب توتّره الدائم ووجوده تحت الضغط، حتى عندما تسير الأمور على نحوٍ جيد في المختبر وفي محاضراته، فعليك أن تعرف بيرثا نيمور. هل تعلم أنها من وفّرت له أستاذيّته؟ هل تعلم أنها استغلّت نفوذ والدها لتجعله يحصل على منحة مؤسسة ويلبيرج؟ والآن، فقد دفعته لعمل هذا العرض الأولي في المؤتمر. حتى يكون لديك امرأة مثلها تقودك؛ فلا تعتقد أنك ستفهم شخصه حقا».

لم أتفوه بكلمة، ورأيت في وجهه رغبته في العودة إلى الفندق. ساد الصمتُ طوال طريق العودة.

هل أنا عبقري؟ لا أعتقد ذلك. ليس بعد على أية حـال. وعلـى حـد تعبير بـرت عنـدما يسخر مـن العبارات المُلطِّفة للمصطلحات التعليمية، فأنا اسـتثنائي، وهـو مصـطلح ديموقـراطي يُسـتخدم لتجب المسمّيات التي توحي بالوصم مثل موهوب أو محروم (والتي كانت تعني في السابق ألمعي أو متخلّف) وبمجرد أن تبدأ كلمة استثنائي في إيحاء معنى محدد لأي أحد فسيجري تغييرها. تبدو الفكرة كالتالي: استخدم التعبير فقط في حالة أنه لا يعني شيئا لأي أحد. إنّ كلمة استثنائي تشير إلى كُلٍّ من طَرَفي الطيف؛ أي أنني كنتُ استثنائيا طوال حياتي.

أمرٌ غريب بشأن التعلّم؛ كلما تقدمتُ فيه رأيتُ أمورا لم أكن أعرف حتى أنّها موجودة. فمنذ فترة وجيزة، ظننتُ -ويا لحماقتي- أن باستطاعتي تعلّم كل شيء، كل المعرفة الموجودة في العالم. أما الآن، فلا يسعني إلا أن آمل في أن أكون على علمٍ بوجودها، وأن أفهم ذرّة واحدة منها.

أهناك مُتّسع من الوقت؟

برت منزعجٌ مني. إنه يجدني شخصا غير صبور، ولا بدّ من أن الآخرين يراودهم نفس الشعور. لكنّهم

يعطّلونني ويحاولون إبقائي في مكاني. ما هو مكاني؟ من وما أنا الآن؟ هل أنا مُحصّلة حياتي أم مُحصّلة الشهور القليلة الماضية فقط؟

آه. يا لقلّة الصبر التي تبدو عليهم عندما أحاول مناقشة ذلك معهم. لا يعجبهم الاعتراف بعدم معرفتهم. يا لها من مفارقة؛ أن يُكرّس شخص عاديّ مثل نيمور حياته لجعل أشخاص آخرين عباقرة. يودّ لو أن الناس تراه على أنه مُكتشف القوانين الجديدة للتعلّم؛ آينشتاين علم النفس. ولديه خوف المُدرّس من أن يتفوّق التلميذ عليه، وفزع المُعلّم من أن يُشكّك المُريد في عمله. (ليس وكأنني بأي حال من الأحوال تلميذ نيمور أو أحد مريديه كما هو الحال مع برت).

أعتقد أن خوف نيمور من انكشاف أمره كشخص يسير على ركائز طويلة بين عمالقة أمرٌ مفهوم. سوف يدمّره الفشل عند هذه المرحلة. إنه أكبر من أن يبدأ كل شيء من جديد.

وبقدر ما كان اكتشافي لحقيقة الرجال الذين كنت أحترمهم وأتطلّع إليهم أمرا صادما، إلا أنني أعتقد أن برت مُحقّ. عليّ ألّا أكون قليل الصبر معهم، فأفكارهم وأعمالهم العبقرية هي ما جعلت هذه التجربة مُمكنة. عليّ درءُ النزعة الطبيعية للنظر إليهم بدونية كوني الآن متفوقا عليهم.

لقد أدركتُ أنهم عندما يحثّوني باستمرار على التحدث والكتابة ببساطة كي يتمكن الأشخاص الذين يقرأون هذه التقارير من فهمي، فإنّهم يتحدثون عن أنفسهم أيضا. ولكن لا يزال من المخيف إدراك أن مصيري يقبع بين أيدي أشخاصٍ ليسوا بالعمالقة الذين ظننتُ يوما أنهم كذلك؛ أشخاص لا يعرفون جميع الإجابات.

١٣ يونيو- إنني أُملي هذا التقرير تحت إجهادٍ عاطفي كبير. لقد تخلّيتُ عن الأمر برمّته. أنا على متن طائرة متجهة إلى نيويورك، بمفردي، وليس لديّ أدنى فكرة عمّا سأفعله عندما أصل.

أعترف أنني كنت في البداية في حالة من الرهبة أمام صورة مؤتمر دولي يجمع العلماء والمثقّفين ليتبادلوا الأفكار فيما بينهم. هنا، حيث كنت أظن أنه المكان الذي حدث فيه كل شيء. هنا، سيكون الأمر مختلفا عن المناقشات العقيمة في الكلية، وذلك لوجود أشخاص من أعلى المستويات في البحث والتعليم النفسيين، العلماء الذين ألّفوا الكتب وألقوا المحاضرات وكتبوا المستندات التي يقتبسها الناس. وإن كان نيمور وشتراوس مجرد رجلين عاديين يعملان على ما يفوق قدراتهما، فإنني واثق من أن الحال سيكون مختلفا مع الآخرين.

عندما حان الوقت الاجتماع، قادنا نيمور عبر الردهة العملاقة، بمفروشاتها الباروكية الثقيلة وسلالمها الرخامية المقوّسة الضخمة، وانتقلنا عبر الزُّمَر المتكاثرة من المُصافحين والمومئين والمبتسمين. انضم إلينا أستاذان آخران من بيكمان، واللذان قد وصلا لتوهما إلى شيكاغو هذا الصباح. سار الأستاذان وايت وكلينجر خلف نيمور وشتراوس بخطوة أو خطوتين باتجاه اليمين، بينما سرتُ أنا وبرت في نهاية الصف.

انشقّ الواقفون لإفساح مجال لنا لدخول قاعة الاحتفالات الكبرى، ولوّح نيمور بيده للمراسلين والمصوّرين الذين قدموا ليسمعوا بأنفسهم الأمور المذهلة التي فُعلت ببالغ متخلّف في مدة تزيد قليلا على ثلاثة أشهر.

كان من الواضح أن نيمور قد أطلق نشرات دعائية مُسبقة.

كـانت بعـض الأوراق النفسـية التي ألقيت فـي الاجتمـاع مثـيرة للإعجـاب. أظـهرت مجموعـة مـن ألاسكا كيف أن تحفيز أجزاء مختلفة من الدماغ ينتج عنه تطور كبير في القدرة على التعلم، كما حدّدت مجموعة من نيوزلندا تلك الأجزاء التي تتحكم في إدراك المُحفّزات والإبقاء عليها.

لكن كانت هنالك أنواع أخرى من الأوراق البحثية كذلك. كدراسة بي تي زيليرمان عن الفرق في طول الفتـرة الزمنيـة التـي استغرقتها الفـئران البيضـاء لتعلّم متاهة عندما كانت الزوايا منحنية بدلا من زاويّة، أو ورقة وورفيل عن تأثير مستوى الذكاء على وقت رد فعل قرود الرّيص. ملأتني الأوراق من هذا النوع بالغضب. هدرٌ للمال والوقت والجهد على التحليل التفصيلي للتوافه. كان برت مُحقا عندما أثنى على نيمور وشتراوس لتكريسهما حياتهما لشيء مهم وغير مؤكد بدلا من شيء ضئيل الأهمية وآمِن.

لو أنّ نيمور فقط ينظرُ إليّ كإنسان.

وبعد أن أعلن رئيس مجلس الإدارة عن العرض التقديمي من جامعة بيكمان، جلسنا على مقاعدنا المـــوجودة علـــى المنصـــة خلـــف الطاولـــة الطويلة،ألجيرنون في قفصه، بين برت وبيني. كُنّا أهم حدث في الأمسية، وعندما استقرّ كل منّا في مكانه، شرع الرئيس في عرض مقدّمته. توقّعت لوهلة أن ينطلق صوته قائلا: سيداااتيبي وساااادتي. ادخلوا من هنا مباشرة لتشاهدوا العرض الجانبي! أمرٌ لم يسبق له مثيل في العالم العلمي! فأر وأحمق يتحوّلان إلى عباقرة أمام عينيك!

أعتـرف أنني قـد أتـيت إلـى هنـا يملؤنـي الحنـق، ويتعاظم الغضب في داخلي تعاظما كبيرا.

وكلّ ما قاله كان: «لا يحتاج العرض القادم إلى أي مقدمة حقا. لقد سمعنا جميعًا عن العمل المذهل الذي يجري في جامعة بيكمان، برعاية مؤسسة ويلبرج، وتحت إشراف رئيس قسم علم النفس الأستاذ نيمور، بالتعاون مع د. شتراوس من مركز بيكمان للأمراض العصبية والنفسية، وغنيٌّ عن القول ذكر أنه تقرير نتطلّع إليه جميعًا باهتمام كبـير. والآن، أُحيـل الاجتمـاع إلـى الأسـتاذ نـيمور والدكتور شتراوس».

أومأ نيمور بلطف ردًّا على المدح الاستهلالي لرئيس الجلسة، وغمز لشتراوس في غمرة لحظة الانتصار.

كان الأستاذ كلينجر أول المتحدثين من بيكمان.

كان الانزعاج قد بدأ ينتشر في داخلي، كما رأيت ألغيرنون، وقد اضطرب بسبب الدخان والضجة والمحيط غير المألوف، يتحرّك في قفصه بعصبيّة. اعتراني دافع قهري من أغرب ما يكون لفتح قفصه والسماح له بالخروج. كانت فكرة سخيفة -كانت رغبة ملحة أكثر من كونها فكرة- وقد حاولتُ تجاهلها. لكـن بينمـا كنـتُ أستمع لبحـث الأسـتاذ كلـينجر المبتذل عن «آثار مربعات الهدف التي تستدعي استخدام اليد اليسرى في المتاهة T مقابل مربعات الهدف التي تستدعي استخدام اليد اليمنى في

المتاهة T»، وجدت نفسي أعبث بآليّة فتح القفل لقفص ألغيرنون.

وخلال فترة قصيرة (قبل أن يكشف شتراوس ونيمور عن إنجازهما الأعظم)، قرأ برت ورقة تصف إجراءات ونتائج إدارة اختبارات الذكاء والتعلم التي ابتكرها لألغيرنون. تبع ذلك عرض توضيحي، حيث جعلوا ألغيرنون يقوم بخطواته لحل المشكلة من أجل الحصول على وجبته (وهو أمر لطالما امتعضّت منه).

ليس الأمر وكأنني كنت أحمل أي ضغينة تجاه برت، فلطالما كان صريحا معي -أكثر من معظم الآخرين- لكن عندما وصف الفأر الأبيض الذي مُنِح الذكاء، كان مُختالا ومُتصنّعا كالآخرين. كما لو أنّه كان يجرّب عباءة أساتذته. وقد كبحتُ جماح نفسي عند تلك المرحلة بدافع صداقتي مع برت أكثر من أي دافعٍ آخر. كان إخراج ألغيرنون من القفص سيجعل الاجتماع في حالةٍ من الفوضى، وبعد كل شيء، كان هذا أول ظهور لبرت ضمن سباق الفئران الأكاديمي نحو الأفضليّة.

كانت أصابعي على باب القفص، وبينما كان ألغيرنون يراقب حركة يدي بعينيه الورديتين الزاهيتين، كنت واثقا من أنه يعلم ما يجول في ذهني. وفي تلك اللحظة، أخذ برت القفص من أجل

توضيحه. شرح مدى تعقيد القفل المتغيّر، ونوع حل المشكلة المطلوب في كل مرة يراد بها فتح القفل. (براغي بلاستيكية رقيقة وُضِعت في أنماط متغيّرة، وكان على الفأر التحكّم بها، والذي خفض سلسلة من الروافع بنفس الترتيب). ومع زيادة ذكاء ألغيرنون، زادت سرعته في حل المشكلات. كانت هذه الجزئية واضحة. لكن برت كشف عن أمرٍ لم يكن لديّ علمٌ به.

في ذروة ذكائه، أصبح أداء ألغيرنون مُتغيّرا. ووفقا لتقرير برت، فقد كانت هنالك أوقات رفض فيها ألغيرنون العمل على الإطلاق، حتى عندما كان الجوع باديا عليه، وفي أوقاتٍ أخرى، يحلّ المشكلة، ولكن بدلا من أخذ مكافأته التي على شكل طعام، كان يقذف جسده بقوّه باتجاه جدران قفصه.

عندما وجّه أحد الحضور سؤالا لبرت عمّا إذا كان يُشير إلى أن هذا السلوك الشاذ قد نتج بشكل مباشر عن زيادة الذكاء، راوغ برت في الإجابة. «على حد علمي»، قال، «لا يوجد ما يكفي من الأدلة لتأكيد ذلك الاستنتاج. هنالك احتمالاتٌ أخرى. من الممكن أن يكون كل من الذكاء المتزايد والسلوك الشاذ بهذا المستوى قد حدثا بسبب الجراحة الأصليّة، بدلا من كونِ أحدهما تابعا للآخر. من الممكن أيضا أن يكون هذا السلوك الشاذ حِكرا على

ألغيرنون. لم نعثر عليه في أيٍّ من الفئران الأخرى، لكن من ناحيةٍ أخرى، فإنّه لم يحقق أيٌّ منها مثل هذا المستوى العالي من الذكاء أو بقي موجودا لديها لفترة طويلة كما هو الحال مع ألغيرنون».

أدركتُ فورا أن هذه المعلومة قد حُجِبت عنّي. اشتبهتُ في السّبب، وشعرت بالانزعاج، لكن هذا لم يكن شيئا مقارنة بالغضب الذي تأجّج فيّ عندما أخرجوا الأفلام.

لم تكن لديّ أدنى فكرة أن أدائي واختباراتي المبكّرة في المختبر قد جرى تسجيلها. وها أنا ذا هناك، عند الطاولة المجاورة لبرت، مشوّشٌ وفارغ الفاه بينما كنت أحاول خوض المتاهة بواسطة القلم الإلكتروني. وفي كل مرة تلقّيت فيها صدمة كهربائية، كان تعبيري يتحوّل إلى تحديق ساذج وسخيف بعينين متّسعتين، ثم تعود تلك الابتسامة الحمقاء مرة أخرى. وفي كل مرة يحدث فيها هذا الأمر، يقهقه الحضور. لقد أعادوا تشغيله سباقا بعد سباق، وفي كل مرة، كان مضحكا بالنسبة لهم أكثر من ذي قبل.

قلتُ لنفسي إنهم لم يكونوا متفرّجين فضوليّين باحثين عن المتعة، بل علماء موجودين هنا بحثا عن المعرفة. لم يكن بمقدورهم ألّا يضحكوا على هذه المقاطع، لكن مع ذلك، وبينما استغل برت الأجواء

للإدلاء بتعليقات مُسلّية على الأفلام، سيطرت عليّ رغبةٌ في الإيذاء. سيكون من المضحك أكثر أن نرى ألغيرنون يهرب من قفصه، وأن نرى كل هؤلاء الأشخاص منتشرين وزاحفين على أيديهم ورُكبِهم، يحاولون استعادة عبقريّ أبيض صغير قد أطلق قدميه للرّيح.

لكنّني تمالكتُ نفسي، ومع صعود شتراوس للمنصة، كان هذا الدافع قد تلاشى.

تناول شتراوس بشكل موسّع نظرية الجراحة العصبية وأساليبها، واصِفًا بدقّة وتفصيل كيف مكّنته الدراسات الرائدة في رسم خرائط مراكز السيطرة على الهرمونات من عزل هذه المراكز وتحفيزها، مع القيام في الوقت نفسه بإزالة الجزء المُثبِّط للهرمونات المُنتَجَة من القشرة. وشرح أيضا نظرية اعتراض الإنزيم، وانطلق يصف حالتي البدنية قبل الجراحة وبعدها. مُرِّرت الصور (لم أكن أعلم أنها التُقطت) بين الحضور، وجرى التعليق عليها، وكنت أستطيع أن أرى من خلال الإيماءات والابتسامات أن معظمهم يتفق معه على أن «تعابير الوجه البليدة والفارغة» قد تحوّلت إلى «مظهرٍ ذكيّ ويَقِظ.» كما ناقش بالتفصيل الجوانب ذات الصلة من جلساتنا في العلاج النفسي، وبالأخصّ مواقفي المتغيّرة تجاه التداعي الحُرّ على

الأريكة.

كنتُ قد ذهبت إلى هناك كجزءٍ من عرضٍ تقديميّ علمي، وكنتُ أتوقّع عرضي بهذه الطريقة، لكن الجميع ظلّوا يتحدّثون عنّي كما لو أنني كنت شيئا ما مصنوعًا حديثا، ويجري تقديمه إلى العالم العلمي. لا أحد في هذه الغرفة نظر إليّ باعتباري فردا؛ باعتباري إنسانا. لقد عبّر التجاور المستمر لـ «ألغيرنون وتشارلي» و«تشارلي وألغيرنون» بوضوح عن نظرتهم إلينا: زوج من حيوانات التجارب التي لم يكن لها وجود خارج المختبر. ولكن بغض النظر عن غضبي، لم أستطع التخلّص من التفكير بوجودِ خطبٍ ما.

وأخيرا، أتى دور نيمور للتحدث -لتلخيص كل شيء بصفته رئيس المشروع- لجذب الانتباه والوقوف في دائرة الضوء باعتباره صاحب تجربة عبقرية. لقد كان هذا يومه المُنتَظر.

كان مثيرا للإعجاب، بوقوفه هناك على المنصة، وبتحدّثه، ووجدت نفسي أومئ برأسي وهو يتحدث، مُتفقًا مع أمور كنت أعلم بأنها صحيحة. الاختبارات، والتجربة، والجراحة، وما تلا ذلك من تطوّرٍ عقلي، لقد وصف كلّ شيءٍ بإسهاب، وأضفى على خطابه الكثير من الحيوية من خلال اقتباسه لأشياء من تقارير التطور خاصّتي. لقد وجدّتُ نفسي

أكثر من مرة أستمع لأمورٍ شخصية أو سخيفة تُقرأ على الحضور. حمدا لله أنني توخيت الحذر من خلال الاحتفاظ بمعظم التفاصيل المتعلّقة بأليس وبي في ملفّي الخاص.

ثم وفي مرحلةٍ ما من مُلخّصه، قال: «نحن الذين عملنا على هذا المشروع في جامعة بيكمان راضون كلّ الرضا بمعرفتنا أننا أخذنا أحد أخطاء الطبيعة وخلقنا، بتقنياتنا الجديدة، إنسانا متفوّقا. عندما أتى تشارلي إلينا، كان خارج المجتمع، بمفرده في مدينة كبيرة، دون أصدقاء أو أقارب يهتمّون لأمره، ودون وجود المؤهل العقلي الذي يخوّله عيش حياة طبيعية. لا ماضي، ولا اتصال بالحاضر، ولا أمل في المستقبل. يمكن القول إن تشارلي جوردن لم يكن له وجود فعلي قبل هذه التجربة...».

لا أدري لم امتعضّت بشدة من كونهم ينظرون إليّ كشيء سُكَّ حديثا في خزينتهم الخاصّة، لكن ذلك كان -وأنا على يقين بذلك- أصداء تلك الفكرة التي كانت ترنّ في حجرات عقلي منذ وصلنا إلى شيكاغو. أردتُّ أن أنهض وأُظهر حقيقته الحمقاء للجميع، أن أصرخ في وجهه: إنا أنسان، شخص -بأبوين وذكرياتٍ وتاريخ- وكنتُ موجودا قبل أن تُدحرجني لغرفة العمليات تلك!

وفي الوقت نفسه، وعميقا تحت نار غضبي

المتأجّجة، كانت تُصاغ رؤية ساحقة تشكّل الأمر الذي ظلّ يزعجني عندما تحدث شترواس ومن بعده نيمور من جديد عارضا بياناته بإسهاب. لقد ارتكبوا خطأ، بالطبع! كان التقييم الإحصائي لفترة الانتظار اللازمة لإثبات دوام التغيير قد بُني على تجارب سابقة في مجال النمو العقلي والتعلم، وعلى فترات الانتظار مع حيوانات بليدة أو ذات مستوى ذكاءٍ طبيعي. لكن كان من الواضح أنّه يجب تمديد فترة الانتظار في الحالات التي زاد فيها ذكاء الحيوان بمقدار ضعفين أو ثلاثة أضعاف.

كانت استنتاجات نيمور سابقة لأوانها. فبالنسبة لي ولألغيرنون، فإن الأمر يستغرق وقتًا أطول لمعرفة ما إذا كان هذا التغيير باقيا. لقد ارتكب الأساتذة خطأ، ولم يكتشفه أحد. أردت أن أقفز وأخبرهم، لكنني لم أستطع التحرك. ومثل ألغيرنون؛ وجدت نفسي خلف خطوط شبكة القفص الذي بنوه من حولي.

ستكون هنالك الآن فترة أسئلة، وعليّ، قبل أن يسمحوا لي بتناول عشائي، تأدية عرضي أمام هذا الجمع المتميّز. كلا، كان عليّ المغادرة.

«...وبمعنى ما، كان تشارلي نتاج التجريب النفسي الحديث. فبدلا من قوقعة بذهنٍ بليد، وعبء على المجتمع يتعيّن عليه الخوف من سلوكه غير

المسؤولون أصبح أمامنا الآن رجلٌ ذو كرامة وإحساس بالمراعاة، وعلى استعدادٍ لتولّي مهامه كعضوٍ مُساهمٍ في المجتمع. أودّ منكم جميعًا الاستماع إلى بضع كلمات يلقيها عليكم تشارلي جوردن...»

ليلعنه الرّب! لم يكن يفقه شيئا ممّا يتحدّث عنه. وفي تلك اللحظة، سيطر عليّ ذلك الدافع القهري. شاهدت باندهاش يديّ وهما تتحركان، بمعزلٍ عن إرادتي، لسحب مزلاج قفص ألغيرنون. وعندما فتحتُه، نظر نحوي وتوقّف قليلا. ثم التفت، وانقض خارجا من قفصه، وانطلق مُسرعا فوق أرجاء الطاولة الطويلة.

في البداية، لم يكن مرئيا وسط غطاء الطاولة المصنوع من قماش البروكار الدمشقي؛ أبيض على أبيض، حتى صرخت امرأة من الحضور عند الطاولة، مُوقعة كُرسيها إلى الخلف بينما كانت تقفز ناهضة من عليه. وخلفها، انقلبت أباريق المياه، ثم صاح برت قائلا «ألغيرنون حُرٌّ طليق!» قفز ألغيرنون من الطاولة إلى المنصة ثم إلى الأرض.

«أمسكوه! أمسكوه!» صرخ نيمور، بينما أصبح الجمهور -الذي انقسم على نفسه وتشتّتت أهدافه- مجرّد خيوط متشابكة من الأرجل والأيادي. حاولت بعض النساء (من غير التجريبيين؟) الوقوف على

الكراسي القابلة للطيّ غير المستقرة، بينما تسبّبت أخريات، في محاولة منهن لمحاصرة ألغيرنون، بإيقاعهنّ.

«أغلقوا تلك الأبواب الخلفية!» صاح برت الذي أدرك أن ألغيرنون كان ذكيا بما يكفي ليسلُك ذلك الاتجاه.

«اركُض،» سـمعتُ نفسـي أصيح عـاليا، «البـاب الجانبي!»
«لقد خرج من الباب الجانبي» كرّر أحدهم.

«أمسكوه! أمسكوه!» قال نيمور متوسّلا.

اندفع الحشد من قاعة الاحتفالات الكبرى إلى الرّواق، حيث قادهم ألغيرنون، بركضه على طول الممر المغطى بالسجاد العنابي، عبر مطاردةٍ مرِحة. تحت الطاولات من طراز لويس الرابع عشر، وحول أُصُص النخيـل، وصـعودا على السلالم، وعنـد الزوايا، ونزولا من على السلالم، وداخل الردهة الرئيسية، وآخرون ينضمون إلينا في أثناء ذلك. كانت رؤيتهم جميعًا يركضون ذهابًا وإيابًا في الردهة، مطاردين فأرًا أبيض يفوق ذكاؤه الكثيرين منهم، أطرف ما حدث على الإطلاق منذ وقتٍ طويل.

«تفضل، اضحك كما تشاء!» تذمّر شتراوس، الذي كاد يصطدم بي، «لكن إن لم نعثر عليه، فالتجربة

برمّتها في خطر».

تظاهرتُ بالبحث عن ألغيرنون تحت سلّة المهملات. «أتعلم؟ لقد ارتكبتم خطأ. وربّما لن تعود التجربة مهمّة على الإطلاق بعد اليوم».

وبعد ثوان، خرجت مجموعة من النسوة من حجرة التبرّج وهنّ يصرخن، وتنانيرهنّ مُلتفّة في اهتياج حول أرجلهنّ.

«إنه هنا»، صاحت إحداهن. ولكن للحظة، بقي الحشد الذي كان منهمكا في البحث واقفا بجانب الكتابة على الحائط: سيّدات. كنتُ أوّل من يعبرُ ذلك الحاجز الخفيّ ويدخل البوّابات المقدّسة.

كان ألغيرنون يجثم فوق أحد أحواض الغسيل، مُحدّقا في انعكاسه في المرآة.

«هيّا»، حدّثتُه. «سنخرج من هنا معا».

سمح لي بحمله ووضعه في جيب سترتي. «ابقَ هادئا هنا حتى أخبرك».

جاء الآخرون مندفعين عبر الأبواب المتأرجحة، والذنب يعلوا وجوههم كما لو أنهم كانوا يتوقعون رؤية نساء عاريات يصرخن. خرجتُ من هناك بينما كانوا يبحثون في غرف المراحيض، وسمعت صوت برت.

«توجد فتحة في مروحة التهوية. ربما صعد هناك».

فأجاب شتراوس «اكتشِف المكان الذي تؤدي إليه».

ثم قال نيمور وهو يلوح بيده لشتراوس «اصعد إلى الطابق الثاني، وسأذهبُ أنا إلى القبو.»

وعند تلك المرحلة، اندفعوا خارجين من حجرة السيدات، وانقسمت القوّات. لحقتُ بفرقة شتراوس التي كانت تشقّ طريقها نحو الطابق الثاني لمحاولة اكتشاف المكان الذي تؤدي إليه مروحة التهوية. وعندما انعطف شتراوس ووايت والقلة القليلة معهما نحو اليمين متجهين إلى الممرّ (ب) في الأسفل، استدرتُ إلى اليسار نحو الممرّ (ج) في الأعلى، وركبتُ المصعد إلى غرفتي.

أغلقتُ الباب خلفي وربتُّ على جيبي. خطمٌورديّ وزغبٌ أبيض أخرج رأسه وأخذ ينظر حوله. «سأحزم أمتعتي سريعا،» قلت، «وسننطلق -أنت وأنا فقط- زوج عباقرة من صنع الإنسان في حالة هروب».

جعلتُ الخادم يضع الحقائب ومسجل الشرائط في عربة أجرة كانت في انتظاري، ودفعت فاتورتي في الفندق، وخرجت من الباب الدوار وبجعبتي مادة البحث يُعشّش في جيب سترتي. استخدمتُ تذكرة الإياب خاصتي للعودة إلى نيويورك.

أخطط للبقاء في فندق هنا في المدينة لليلة أو اثنتين، بدلا من العودة إلى منزلي. سوف نستخدمه كقاعدة للعمليات أثناء البحث عن شقة مفروشة في مكان ما في وسط المدينة. أريد أن أكون بالقرب من التايمز سكوير.

يمنحني التحدث عن كل هذا الأمر شعورا أفضل بكثير، وسخيفا بعض الشيء. لا أعلم حقا سبب انزعاجي الشديد، أو ما الذي أفعله على طائرة في طـريق عودتـها إلى نـيويورك بصحبة ألغـيرنونْ الموجود في صندوق حذاء تحت المقعد. عليّ ألّا أصاب بالهلع. هذا الخطأ لا يعني بالضرورة أن هنالك شيئا جسيما. كل ما في الأمر أن المواضيع لم تكن قاطعة كما كان يعتقد نيمور. ولكن ما خطوتي القادمة؟

أولا، عليّ الذهاب لرؤية أبويّ في أقرب وقتٍ ممكن. قد لا يكون أمامي الكثير من الوقت كما كنتُ أعتقد...

تقرير تطور ١٤

١٥ يونـــيو- تصـدّر خبـر هروبنـا الجرائـد بـالأمس، وحظِيَت الصّحفُ الشعبية بيومٍ حافل. في الصفحة الثانية من الديلي برس، كانت هنالك صورة قديمة لــي، وبجانبــها رســمة لفــأر أبــيض. والعنــوان: أبله-عبقري وفأر يُجن جنونهما. وقد نُقلت أقوال نيمور وشتراوس بأنّي كنتُ تحت ضغط هائل وأنّني بلا شك عائدٌ عمّا قريب. كما عرضا مكافأة قدرها خمسمائة دولار لمن يحضر ألغيرنون، غيرُ مدركَين أنّه معي.

ثم عندما ذهبتُ إلى القصة الأخيرة في الصفحة الخامسة، فوجئت بوجود صورةٍ لوالدتي وشقيقتي. من الواضح أن مُراسلا ما قام بعمله على أكمل وجه.

أخت تجهل مكان

وجود الأبله-العبقري.

(حصري لجريدة الدايلي بريس).

بروكلين، نيويورك، ١٤ يونيو- نفَت الأستاذة نورما جوردن، والتي تعيش مع والدتها روز جوردن في منزل ٤١٣٦ بشارع ماركس في مقاطعة بروكلين بنيويورك، أي معرفة لها بمكان وجود أخيها، وقالت

الآنسة جوردن: «لم نره أو نسمع عنه شيئا منذ أكثر من سبعة عشر عامًا».

وتقول الآنسة جوردن إنها كانت تعتقد أن شقيقها متوفى حتى شهر مارس الماضي، عندما طلب منها رئيس قسم علم النفس بجامعة بيكمان الحصول على إذنها لاستخدام تشارلي في تجربة.

وأضافت الآنسة جوردن قائلة: «أخبرتني والدتي أنه قد أُرسل إلى مكان وارين (دار ومدرسة وارين ستيت للتدريب في وارين بلونغ آيلاند) وأنه توفيّ هناك بعد بضع سنوات. لم يكن لدي أدنى فكرة أنه لا يزالُ على قيد الحياة».

وتطلب الآنسة جوردن من أي شخص يملك أية معلومات عن مكان وجود شقيقها أن يتواصل مع العائلة على عنوان المنزل.

أما الأب ماثيو جوردن، الذي لا يعيش مع زوجته وابنته، فإنّه يدير الآن محل حلاقة في برونكس.

حدّقتُ في الخبر لفترة، ثم عدت للصورة ونظرت إليها مرة أخرى. كيف يمكنني وصفهما؟

لا أستطيع القول إنني أتذكر وجه روز. وعلى الرغم من كون الصورة الحديثة واضحة، إلا أنني ما زلت أراه عبر ثقوب نسيج الطفولة. لقد عرفتها، ولم

أعرفها. ولو حدث وعبر أحدنا أمام الآخر في الشارع، لما تعرّفتُ عليها، لكن الآن، وبعدما عرفتُ أنها والدتي؛ بات بإمكاني استبصار التفاصيل الباهتة. نعم!

نحيل، ومرسوم في حدود بارزة للغاية. ذقن وأنف حادّان. وأكاد أسمع ثرثرتها وزعيقها. شعر مرفوع على شكل كعكة، مشدود جدا. ترمقني بنظرة حادة من عينيها الداكنتين. أريدها أن تضمّني بين ذراعيها وتخبرني أنني فتى جيّد، وأريد، في ذات الوقت، أن أبتعد عنها لأتجنّب الصفعة. صورتها تجعلني أرتعش.

ونورما، نحيلة الوجه كذلك. ملامح ليست بتلك الحدّة، جميلة، لكنها أِشبه ما تكون بوالدتي. شعرها المنسدل على كتفيها يجعلها رقيقة. كلتاهما تجلس على الأريكة في غرفة المعيشة.

كان وجه روز هو ما جعلني أسترجع الذكريات المرعبة. كانت كشخصين بالنسبة لي، ولم تكن لديّ أدنى فكرة أيّهما ستصبح. لعلها كانت تكشف عنه للآخرين عبر حركة من يدها، أو حاجب مرفوع، أو تكشيرة؛ كانت أختي تعرف أمارات العاصفة، وكانت دائما ما تبقى خارج النطاق كلّما تفجر مزاج والدتي، لكنّه كان يجتاحني دائما على حين غرة. كنتُ أذهب إليها بحثًا عن الطمأنينة، وكان غضبها يتهشّم عليّ.

وفي أوقاتٍ أخرى يكون هناك حنان واحتضان، مثل حمامٍ دافئ، ويدين تمسّدان شعري وحاجبي، والكلمات المنحوتة على كاتدرائية طفولتي:

إنه مثل غيره من الأطفال.

إنه فتى جيّد.

أنظرُ إلى الماضي عبر الصورة المتُحلّلة، أنا ووالدِي منحنيان فوق مهدٍ صغير. إنه ممسكٌ بيدي ويقول «ها هي ذي. يجب ألّا تلمسها لأنها صغيرة جدا، لكن عندما تصبحُ أكبر سيكون لديك أخت تلعب معها.»

أرى والدتي على السرير الضخم القريب، ضامرة وشاحبة اللون، ذراعاها مرتخيان على اللحاف المزركش بزهور الأوركيد، وترفع رأسها في قلق: «اعتنِ به يا مات...»

كان ذلك قبل أن تتغير معاملتها لي، وأدركُ الآن أن ذلك كان بسبب أنها لم تكن تملك بعد أدنى فكرة عمّا إذا كانت نورما ستصبح مثلي أم لا. لكن فيما بعد، وعندما أيقنت والدتي من أن دعواتها قد استجيبت، وبدَت على نورما جميع أمارات الذكاء الطبيعي، بدأ صوت والدتي يصير مختلفا. وليس فقط صوتها، بل لمستها، ونظرتها، وحضورها في

حد ذاته؛ كل ذلك تغيّر. كان الأمر كما لو أن أقطابها المغناطيسية قد انعكست، وما كان ينجذب نحوي أصبح الآن ينفر مني. أرى الآن أنّه حينما أزهرت نورما في حديقتنا، صرتُ أنا عشبا ضارا لا يُسمح له بالتواجد إلا في الأماكن غير المرئية؛ في الزوايا والأماكن المُظلمة.

جعلتني رؤية وجهها في الصحيفة أكرهها فجأة. كنتُ سأصبح أفضل حالا لو أنها تجاهلت الأطباء والمدرّسين وغيرهم، والذين كانوا في عجلة كبيرة لإقناعها بأنّني أحمق وإبعادها عنّي، حتى شحّت في حبّها لي في الوقت الذي كنت بحاجة فيه إلى عظيم عطائها منه.

ما فائدة رؤيتها الآن؟ ماذا قد تخبرني عن نفسي؟ ومع ذلك، ينتابني الفضول. أريد أن أرى ردّة فعلها.

أن أراها، وأقتفي الآثار، لأعرف ما كانت ماهيّتي؟ أم أن أنساها؟ هل يستحق الماضي عناء المعرفة؟ لماذا يهمّني جدا أن أقول لها: «أمّاه، انظري إليّ. لم أعد مُتخلّفا. أنا طبيعي. بل أفضل من الطبيعي. أنا عبقري».

وعلى الرغم من كوني أحاول إبعادها عن ذهني؛ تتسرب الذكريات من الماضي، لتلوث التوّ والحاضر. ذكرى أخرى، عندما كنتُ أكبر سنا.

مشاجرة.

تشارلي مستلقٍ على السرير، والأغطية المسحوبة للأعلى تحيط به. الغرفة مظلمة، باستثناء الخط الـرفيع مـن الضـوء الأصـفر القـادم عبـر البـاب الموارَب الذي يخترق الظُّلمة ليجمع بين العالَمَين. ويسمع أمورا، لا يفهمها بل يشعر بها، لأن صرير أصواتهم مرتبط لديه بحديثهم عنه. وعلى نحوٍ متزايـد، ومـع كـل يـوم، تـرتبط لـديه تلـك النبـرة بتكشيرة عندما يتحدثون عنه.

كـان نـائما تقريبـا عنـدما ارتفعـت نبـرة الأصـوات الهادئة، عبر بصيص الضوء، لتصبح نبرة جدال. صوت والدته الحاد والمصحوب بتهديدات إنسانة اعتادت شق طريقها عبر الهيستيريا. «يجب إرساله بعيدا. لا أريده في المنزل معها بعد الآن. اتصل بالدكتور بورتمان وأخبره أننا نريد إرسال تشارلي إلى دار وارين ستيت».

صوت والدي حازمٌ ومتماسك. «لكنكِ تعرفين أن تشارلي لن يؤذيها. لن يُحدث الأمر فرقا بالنسبة لها في هذا السن».

«وما أدراك؟ ربما يكون للأمر تأثير سيئ؛ أن ينمو الطفل بوجود... شخصٍ مثله في المنزل».

«قال الطبيب بورتمان»

«قال بورتمان! قال بورتمان! لا يهمّني ما قاله! فكّر كيف سيكون الحال بالنسبة لها مع وجود شقيق كهذا. لقد كنتُ على خطأ طوال هذه السنوات، بمحاولتي التصديق أنه سيكبر كبقية الأطفال. أعترف الآن. من الأفضل له أن نرسله بعيدا».

«الآن، وبعد أن حصلتِ عليها، قرّرتِ أنكِ لا ترغبين به بعد الآن...»

«أتظنُّ هذا سهلًا؟ لم تُصعّب الأمر عليّ أكثر؟ حسنًا، لقد كانوا على حق. أرسِله بعيدًا. ربما سيحظى بشيء بوجوده في الدار مع من هم مثله. لم أعد أميّز بين الصواب والخطأ. كل ما أعرفه هو أنّني لن أضحّي الآن بابنتي من أجله».

وعلى الرغم من أنّ تشارلي لا يفهم ما يدور بينهما، إلا أنه يشعر بالخوف، ويغوص تحت الأغطية بعينين مفتوحتين تحاولان اختراق الظُّلمة المحيطة به.

وبرؤيتي له الآن، لا أجده خائفا حقا، بل مُنسحبًا فقط، كطائرٍ أو سنجاب يتراجع مبتعدا عن حركات المُطعِم الفجّة، بطريقةٍ غريزية ولا إراديّة. يعود إليّ الضوء من خلال ذلك الباب الموارب مرة أخرى في رؤية مُنيرة. فمع رؤيتي لتشارلي مُكوَّما تحت الأغطية، تمنّيتُ لو أنّ باستطاعتي مواساته، أن

أوضّح له أنّه أنّه لم يرتكب أي خطأ، أنّه غير قادر على تغيير سلوك والدته وإعادته إلى ما كان عليه قبل قـدوم شـقيقته. هنـاك علـى السـرير، لـم يفـهم تشارلي ما كانوا يقولونه، لكنّه الآن مؤلم. لو أنّني أستطيع الذهاب إلى ماضي ذكرياتي لجعلتُها ترى كم كانت تؤذيني.

هذا ليس بالوقت المناسب للذهاب إليها. ليس قبل أن أكون قد أمضيتُ ما يكفي من الوقت لحلّ الأمر لنفسي.

من حسن حظي أنّني، وكإجراء احتياطي، سحبت مُدّخراتي من البنك بمجرد وصولي إلى نيويورك. ثمانمائة وستة وثمانون دولارًا لن تدوم طويلًا، لكنها ستمنحني الوقت للتفكير فيما يحدث وتحديد موقفي.

حجزتُ في فندق كامدن بشارع ٤١، على بُعد حيٍّ واحد من التايمز سكوير. نيويورك! يا لكل الأمور التي قرأتها عنها! جوثام... بوتقة الصهر الثقافي... بغداد على نهر هدسون... مدينة الضوء واللون. لا أصدّق أنّني عشتُ وعملتُ طوال حياتي على بعد بضع محطات مترو منها، ولم أذهب إلى التايمز سكوير سوى مرة واحدة، مع أليس.

إنه لأمرٌ صعب؛ أن أمنع نفسي من الاتصال بها. لقد

بدأت وأوقفت نفسي عدة مرات. عليّ أن أظلّ بعيدا عنها.

هناك الكثير من الأفكار المحيّرة التي يتعيّن عليّ كتابتها. أقول لنفسي إنّه طالما أنا مستمرٌّ في تسجيل تقارير التطور خاصتي، فلن يضيع شيء. سيكون التسجيل مُكتملا. دعهم يتخبّطون في الظلام لفترة، لقد كنتُ في ظلام لأكثر من ثلاثين عاما. لكنّي مُتعبٌ الآن. لم يتسنّ لي النوم على متن الطائرة بالأمس، ولا أستطيع إبقاء عينيّ مفتوحتين. سوف أستكمل الحديث من عند هذه النقطة غدًا.

١٦ يونيو- اتصلتُ بأليس، لكنني أغلقتُ قبل أن تُجيب. وجدّتُ اليوم شقة مفروشة. خمسة وتسعون دولارا في الشهر، أكثر ممّا كنت أخطط لإنفاقه، لكنها عند الشارع الثالث والأربعين والجادة العاشرة، ويمكنني الوصول إلى المكتبة خلال عشر دقائق لمواصلة قراءتي ودراستي. تقع الشقة في الطابق الرابع، وتتكون من أربعة غُرف، ويوجد فيها بيانو مُستأجر. تقول صاحبة المنزل إن خدمة التأجير ستُخرج البيانو خلال هذه الأيام، لكن رُبّما أكون قد تعلمت العزف عليه بحلول ذلك الوقت.

ألغيرنون رفيقٌ لطيف. ففي أوقات الوجبات، يجلس في مكانه عند الطاولة الصغيرة القابلة للطي. إنه يحب الكعك المملح، كما ارتشفَ اليوم رشفة من

الجعة بينما كنا نشاهد مباراة الكرة على التلفاز. أعتقد أنه هتَفَ لفريق اليانكيز.

سوف أنقل معظم الأثاث من غرفة النوم الثانية وسأخصصها لألغيرنون. أخطّط أن أبني له متاهة ثلاثية الأبعاد من البلاستيك الخردة الذي يمكنني الحصول عليه من وسط المدينة بثمنٍ بخس. هنالك بعض الأنواع لمتاهات معقدة أريده أن يتعلمها، لأتأكد من أنه يحافظ على لياقته. لكن سأرى ما إذا كان باستطاعتي إيجاد دوافع أخرى غير الطعام. لا بدّ من أن هنالك مكافآت أخرى من شأنها تحفيزه على حل المشكلات.

تمنحني العزلة فرصة للقراءة والتفكير، والآن، وبعد أن صارت الذكريات تتدفق مرة أخرى، فإنها تمنحني الفرصة لإعادة اكتشاف الماضي، ومعرفة ماهيّتي وكينونتي حقا. إن سار أيٌّ شيءٍ على نحوٍ خاطئ، فسأكون قد حظيت بهذا على الأقل.

١٩ يونيو- قابلتُ فاي ليلمان؛ جارتي في الشقة المجاورة. عندما عدّتُ محملا بالكثير من مشتريات البقالة، اكتشفت أنني أغلقت الباب ونسيت المفتاح في الداخل، وتذكرت أن سلالم الطوارئ الأمامية متّصلة بنافذة غرفة المعيشة لدي وبالشقة التي بجانبي مباشرة.

كان صوت المذياعِ مُرتفعا وصاخبا، لذا طرقتُ الباب برفقٍ في البداية، ثمّ بقوة أكبر.

«تفضل بالدخول! البابُ مفتوح!»

دفعتُ الباب، وتجمّدت في مكاني، فأمام الحامل، منشغلة بالرسم، كانت تقف شقراء نحيلة ترتدي حمالة صدر وملابس تحتية ورديّة.

«مُتأسّف!» شهقت، مُغلقا الباب مرةً أخرى. ومن الخارج، صحتُ بصوتٍ مرتفع. «أنا جاركٍ من الشقة المجاورة، أغلقتُ الباب والمفتاح في الداخل، وكنتُ أريد استخدام سلّم الطوارئ لديكِ للوصول إلى نافذتي».

فُتح الباب في تأرجح، وواجهتني وهي ما تزال مُرتدية ملابسها التحتية، بفرشاةٍ في كل يد، ويداها حول الخصر.

«ألم تسمعني وأنا أطلب منك الدخول؟» وأشارت بيدها نحو الشقة كي أدخل، دافعة كُرتونا مليئا بالقمامة. «اخطُ فقط فوق كومة المخلفات تلك».

لا بد من أنها قد نسيت -أو ربّما لم تدرك- أنها لا ترتدي ملابس، ولم أدرِ إلى أيّ جهةٍ أنظر. ظللتُ أتفاداها، فنظرتُ إلى الجدران، والسقف، وإلى كل مكان، إلّاها.

كـان المكـان فـي حالـة مـن الفوضـى. كـان هنـاك العشـرات مـن عُلـب الوجبـات الخفيفـة الصـغيرة القابلة للطي، جميعها مغطاة بأنابيب طلاء ملتوية، ومعظمها جاف ومتقشّر كثعابين ذابلة، لكن بعضها حيّ وينزف شرائط ملوّنة. كانت الأنابيب والفراشي والعلـب والخـرق وأجزاء مـن إطـارات وأقمشـة اللوحات متناثرة في كل مكان.

كان المكان يعجّ بالرائحة المُركّبة من الطلاء وزيت بذر الكتان وزيت التربنتين، ومع الانتظار للحظات، تبرُز الرائحة الخفيّة للجعة الفاسدة. كان هنالك ثلاثة مقاعد وأريكة خضراء رثّة مُكتظّة بأكوام من الملابس المُهملة، وعلى الأرض، أحذية وجوارب وملابس داخلية، كما لو أن من عادتها خلعُ ملابسها وهي تمشي وقذفها أثناء ذلك. طبقةٌ رقيقة من الغبار كانت تُغطّي كل شيء.

«أنت إذن السيد جوردن،» قالت وهي تتفحّصني. «لقد كنتُ أتوق لاستراق نظرة إليك منذ أن انتقلت إلى هنا. تفضّل بالجلوس». وحمَلت كومة ملابس من على أحد المقاعد ورمتها على الأريكة المزدحمة. «إذن فقد قرّرتَ أخيرا زيارة جيرانك. أتريد شرابا؟»

«أنتِ رسّامة»، قلت بصوتٍ مرتبك يشبه الغرغرة، إذ لم يكن هنالك ما أقوله. كنتُ أشعر بالتوتر من فكرة أنها ستدرك في أية لحظة أنها لا ترتدي

ملابس، وستصرخ وتخرج مندفعة نحو غرفة النوم. حاولتُ إبقاء عينيّ في تحرّكٍ دائم، بحيث تنظرانِ نحو كل شيء سواها.

«جعّة أم مِزر؟ لا يوجد شيء آخر في المكان الآن باستثناء نبيذ الشيري. أنت لا تريد نبيذ شيري، أليس كذلك؟»

«لا يمكنني البقاء»، محاولا السيطرة على نفسي ومُركّزًا نظرتي على وسمة الجمال الموجودة على الجانب الأيسر من ذقنها. «لقد نسيتُ مفاتيح شقتي في الداخل. كنت أريد الدخول عبر سلالم الطوارئ. إنها تربط بين نافذتينا».

«وقتما تريد». قالت مُطمئِنة. «هذه الأقفال الرديئة الحاصلة على براءة اختراع مزعجة للغاية. لقد حبستُ نفسي خارج هذا المكان لثلاث مرات في الأسبوع الأول من انتقالي إلى هنا، وذات مرة، ظللتُ في الردهة عارية تماما لمدة نصف ساعة. كنتُ قد خرجتُ لإحضار الحليب، فانغلقَ الباب اللعين من ورائي بسرعة. حينها نزعت القفل اللعين من مكانه، ولم أُركّب واحد آخر على بابي منذ ذلك الحين».

لا بدّ من أنّي قد قطّبتُ جبيني، لأنها شرعت في الضحك. «حسنا، أنت ترى ما تفعله الأقفال اللعينة.

إنها تحبسك في الخارج، ولا توفر ذلك القدر من التحصين. أليس كذلك؟ حصلت خمس عشرة عملية سطو في هذا المبنى الملعون في العام الماضي، وجميعها في شقق مُقفلة. لكن لم يقتحم أحدٌ هذا المكان قط، مع أن الباب مفتوح دائما. سيقضون وقتا صعبا في العثور على أي شيء قيّم هنا على أيّة حال».

وعندما ألحّت عليّ مرة أخرى لأشرب معها الجعّة، وافقت. ثمّ عندما ذهبت لإحضارها من المطبخ، ألقيت نظرة على الغرفة مجددا. ما لم ألحظْه من قبل هو أن جانب الحائط الموجود ورائي خالٍ تماما، فكُل الأثاث قد دُفع إلى جانب واحد من الغرفة أو إلى الوسط، بحيث أصبح الجدار البعيد (الذي أُزيل الجصّ من عليه لكشف الطوب) بمثابة معرضٍ فني. كانت اللوحات مُكوّمة حتى السقف، وبعضها مرصوص أمام بعضها البعض على الأرض. كان العديد منها تصويرا ذاتيا، بما في ذلك لوحتا تعرّ. وكانت اللوحة التي كانت تعمل عليها عندما دخلت -تلك التي على الحامل- صورة نصفيّة عارية لها، تُظهر شعرها طويلا (بشكل مختلف عن شكله الآن، نحو الأعلى، في جدائل شقراء تلتف حول رأسها كتاج)، وصولا إلى كتفيها، وجزء من شعرها الطويل مبروم على جانب جبهتها وساكنٌ بين نهديها. كانت قد رسمت ثدييها ممتلئين

ونـافرين، بحلمـات حمراء غير واقعيـة كحلـوى المصّاص. وعندما سمعتُها عائدة وبحوزتها الجعّة، اسـتدرت مبتعـدًا عـن الحـامل بسـرعة، وتعثـرت ببعض الكتب، ثم تظاهرت بأنني مُهتم بلوحةٍ لمنظرٍ طبيعي خريفيّ على الحائط.

شعرتُ بالارتياح عندما رأيتُها وقد ارتدت روبا خفيفا رثا -على الرغم من أن فيه ثقوبا في كل الأماكن غير الملائمة- وكنتُ قادرا على النظر نحوها مباشرة للمـرة الأولـى. ليسـت جميلـة تمـاما، لكـن عينيـها الزرقاوين وأنفها الأفطس الرقيق منحتها مظهرا قِطِّيا يتعارض مع حركاتها الرياضية النشيطة. كانت بعمر الخامسة والثلاثين تقريبا، نحيلة ومتناسقة القوام. وضعت عُلب الجعة على الأرضية الخشبية الصلبة، واسترخت بجانبها أمام الأريكة، ثم أومأت إليّ أن أحذو حذوها.

قالت وهي ترتشف الجعة من العلبة: «أجدُ الأرض مريحةً أكثر من المقاعد بكثير. أليس كذلك؟»

أخبرتُها أنّي لم أفكر في الأمر، فضحكت وقالت إن لديّ وجها بريئا. كانت في مزاجٍ للتحدث عن نفسها. قالت إنها تجنّبت حي غرينتش فيلاج، لأنها كانت تقضي كل وقتها هناك، في الحانات والمقاهي، بدلا من الرسم. «هنا أفضل، بعيدا عن كل المزيّفين والهواة. هنا، يمكنني فعل ما أشاء دون أن يأتي أحد

ليستهزئ بي. أنتَ لست مُستهزئا، أليس كذلك؟»

هززتُ كتفيّ، محاولا ألّا ألاحظ التراب الرملي الذي يغطي بنطالي ويديّ. «أظنُّ أننا جميعًا نسخر من شيء ما. أنتِ تسخرين من المُزيّفين والهواة. أليس كذلك؟»

وبعد مرور بعض الوقت، أخبرتُها أن من الأفضل أن أذهب إلى شقتي. دَفَعَت كومة من الكتُب بعيدًا عن النافذة، وتسلّقتُ على جرائد وأكياس ورقية مليئة بزجاجات الجعة بحجم اللتر الفارغة. قالت بتنهّد «يوما ما سأعيدُ هذه الزجاجات وأحصل على المال».

تسلّقتُ على عتبة النافذة وخرجتُ من سُلّم الطوارئ. وعندما فتحتُ نافذتي، عدتُّ لأخذ أكياس المشتريات، ولكن قبل أن أتمكن من شكرها وتوديعها، كانت قد شرَعَت في الخروج من سلم الطوارئ بعدي. «دعنا نرى شقتك. لم يسبق لي الدخول إليها. قبل أن تنتقلَ إلى هنا، فإن الأختين وانجر المُسِنّتين لم تُلقيا عليّ تحية الصباح حتى». ثمّ زحفت عبر نافذتي خلفي وجلست على الحافة.

«تفضّلي بالدخول»، قلت، وأنا أضع المشتريات على الطاولة.

«ليس لديّ أي جعّة، لكن يمكن أن أُعدّ لكِ فنجانا

مـن القـهوة». لكنـها كـانت تنظـر حولـي، وعينـاها مُتّسعتان في حالة من الذهول.

«يا إلهي! لم تسبق لي رؤية مكان بهذه النظافة. من كــان يتخــيّل أن باستطاعة رجـل يعـيش بمفـرده المحافظة على المنزل مُنظّما بهذا الشكل؟»

«لم أكُن دائما على هذا النحو»، قلتُ معتذرا. «لقد بدأ منذ انتقالي هنا فحسب. كان المكان مُرتّبا عندما انتقلت، وأصبحت لديّ تلك الضرورة المُلحّة لإبقائه على هذا النحو. بتُّ أنزعج كثيرا الآن إذا صار أي شيء في غير مكانه».

نزَلت من على عتبة النافذة لاستكشاف الشقة.

«مهلا،» قالت فجأة. «أتحبّ الرقص؟ كما تعلم...» ثم مدّت ذراعيها وأدّت حركة معقّدة بينما كانت تُهمـهم بـإيقاعٍ لاتـيني. «أخبـرني بنـوع رقصـتك وسأؤديها بكل براعة».

«رقصــة الفكوستروت فقـط، ولسـت بـارعا فيـها كذلك.»

هزّت كتفيها وقالت «أنا أحب الرقص بجنون، لكن كل من أقابلهم -ممّن أكون مُعجبة بهم- لا يجيدون الرقص. يجعلني هذا مضطرة إلى التأنّق بين الفينة والأخــرى والـذهاب إلى قاعـة ستاردست وسـط

المدينة. معظم الرجال الذين يتسكّعون هناك غريبو الأطوار، لكنهم يستطيعون الرقص».

تنهّدت وهي تنظر حولها. «أتدري ما لا أطيقه في مكان منظم لهذه الدرجة؟ كفنّانة... فإن الخطوط هـي ما تزعجني. كـل الخطـوط المستقيمة على الجدران، وعلى الأرضيات، وفي الزوايا التي تتحول إلى صناديق، كالتوابيت. الطريقة الوحيدة التي تجعلني أتخلص من الصناديق هي احتساء بضعة أقـداح مـن الشـراب. حينـها تصبح كـل الخطـوط مموّجة ومتمايلة، ويتحسّن شعوري تجاه العالم أجمع. أشعر بالاكتئاب والمرض عندما تكون الأشياء مستقيمة ومنضبطة بهذه الطريقة. أوف! لو كنت أعيش هنا لاضطررتُ إلى أن أكون مخمورة طوال الوقت».

وفجأة، تأرجَحَت حولي ثم وقفت أمامي. «ما رأيك، هل يمكن أن تعطيني خمسة حتى يوم عشرين؟ إنه التاريخ الذي يصل فيه شيك النفقة خاصتي. لا تنفد منّي الأموال في العادة، لكنّني واجهت مشكلة الأسبوع الماضي».

وقبل أن أتمكّن من الرد عليها، أطلقَت صيحة وبدأت في العزف على البيانو الموجود في الزاوية. «اعتدتُّ العزف على هذا البيانو. لقد سمعتك وأنت تعبث به بضع مرات، وقلتُ لنفسي إن هذا الرجل

اللعين بارعٌ جدا. حينها علمت أنّني أرغب بمقابلتك حتـى قبـل أن أراك. لـم أعزف منـذ وقـتٍ لعـين طويل». كانت تصبّ تركيزها على البيانو، بينما كنتُ مُتجها إلى المطبخ لإعداد القهوة.

قلتُ لها «أنتِ مدعوّة للتدرّب في أيٍّ وقتٍ تشائين». لا أدري لمَ أصبحتُ معطاءً هكذا فجأة بشأن منزلي، لكن كان هنالك شيء ما بشأنها قد استدعى إيثاري التام. «لا أتركُ الباب الأمامي مفتوحًا بعد، لكن النافذة غير مغلقة، وليس عليكِ سوى التسلق عبر سلم الطوارئ عندما لا أكون موجودا. قشدة وسكّر في قهوتك؟»

وعنـدما لـم تُجِب، التفـتُّ ونظـرتُ إلـى غرفـة المعيشة، لكنها لم تكن هناك، ثمّ عندما شرعت في التوجه نحو النافذة، سمعت صوتها قادما من غرفة ألغيرنون.

«مهلا، ما هذا؟» كانت تُعاين المتاهة البلاستيكية الثلاثية الأبعاد التي بنيتُها. تفحّصَتها جيدا، ثم أطلقـت صـيحة أخـرى. «النحـت الحـديث! كلـه صناديق وخطوط مستقيمة!»

«إنها متاهة خاصة،» قلتُ موضّحا. «أداة تعليمية معقّدة لألغيرنون».

لكنها كانت تدور حولها، بكل حماس. «سوف تثير

جنونهم في متحف الفنّ الحديث».

«إنها ليست منحوتة»، قلتُ بإصرار. ثمّ فتحت الباب أمام قفص معيشة ألغيرنون الموصول بالمتاهة، وتركته يدخل فتحة المتاهة.

«يا إلهي!» همست. «منحوتة بعنصرٍ حيّ. تشارلي؛ هذا أعظم ما وُجِد منذ ابتكار فنّ الخردة والنحت على القصدير».

حاولتُ أن اشرح لها، لكنّها أصرّت على أنّ العنصر الحي سيغيّر وجه تاريخ النحت. لم أُدرك أنها كانت تغيظني إلا عندما رأيت الضحك في عينيها الجامحتين. وتابعت قائلة: «من الممكن أن يكون فنًّا يتسم بالاستدامة الذاتية؛ تجربة إبداعيّة لمُحبّي الفن. أحضِر فأرًا آخر، وعندما ينجبون أطفالا، احتفظ دائما بواحد منها لاستنساخ العنصر الحيّ. سيبلُغ عملك الفنّي الخلود، وسيشتري الأشخاص العصريّون نسخا منه لخلق النقاشات. ماذا ستطلق عليه؟»

«حسنا»، قلتُ متنهّدا. «أنا أستسلم...»

«كلا»، أجابت بصوتٍ يتخلّله شيءٌ من الشخير، وهي تنقُر القبّة البلاستيكية التي نجح ألغيرنون في العثور على الطريق المؤدي إلى صندوق الهدف عبرها.

«الاستسلام صيغة مبتذلة جدا. ما رأيك في: ما الحياة سوى صندوق متاهات؟»

«أنتِ مجنونة!»

«بطبيعة الحال!» استدارت حول نفسها بحركة سريعة، وانحنت احتراما. «كنتُ أتساءل متى ستلاحظ ذلك».

في ذلك الوقت كانت القهوة قد غَلَت.

ومع بلوغها منتصف كوب القهوة، أخذت نفسا عميقا وقالت إنّ عليها الذهاب بسرعة لأنها كانت على موعد غرامي منذ نصف ساعة مع شخصٍ التقت به في معرض.

«كنتِ تريدين بعض المال».

مدّت يدها إلى محفظتي شبه المفتوحة وسحبت ورقة من فئة الخمسة دولارات. «حتى الأسبوع المقبل، عندما يأتي الشيك. أشكرك كثيرا.» ثمّ كرمَشت المال، ونفخت لألغيرنون قبلة في الهواء، وقبل أن أتمكن من قول أي شيء كانت خارج النافذة، على سلم الطوارئ، واختفت عن الأنظار. ووقفتُ هناك بحماقة، أنظر خلفها.

جذابة لدرجةٍ لعينة. مليئة بالحياة والإثارة. صوتها،

عيناها، كل شيء فيها كان بمثابة دعوة. وكانت تعيش خارج النافذة وعلى بُعد سلّم طوارئ واحد.

٢٠ يونيو- ربما كان يجدر بي الانتظار قليلا قبل أن أذهب لرؤية مات، أو ربما كان يجب ألا أذهب من الأساس. لا أدري. لا شيء يسير بالطريقة التي أتوقّعها. ومع الدليل الذي عثرت عليه بأن مات قد افتتح محل حلاقة في مكان ما في برونكس، كان عثوري عليه أمرا يسيرا. تذكرت أنه كان يبيع لشركة مستلزمات حلاقة في نيويورك. قادني ذلك إلى شركة مترو لمستلزمات الحلاقة، والتي كان لديها حساب باسم صالون جوردن للحلاقة في شارع وينتوورث في مقاطعة برونكس.

كثيرا ما تحدّث مات عن صالون حلاقة خاص به. عن مدى كرهه للبيع! يا لكمّية الشجارات التي حدثت بينهما بسبب هذا الموضوع! روز تصرخ بقولها إن مهنة البائع هي على الأقل مهنة كريمة، لكنها لن تكـون زوجـةً لحـلّاق. أوه، وأيضـا، كـم ستسخر مارغريت فيني من زوجة الحلاق. وماذا عن لويس ماينر التي كان زوجها يعمل كفاحص مطالبات لصـالح شـركة إنـذارات الحـوادث؟ كـم سـتكون مغرورة ومُتعالية!

وخلال السنوات التي عمل فيها كبائع متجول، وكُرهه لكل يوم فيها (خصوصا بعد مشاهدته

لنسخة الفيلم من مسرحية موت بائع متجوّل)، كان مات يحلم بأن يصبح ذات يوم رئيس نفسه. لا بد من أن ذلك الأمر كان يشغل باله في تلك الأيام التي تحدث فيها عن ادّخار المال وقصّ شعري بنفسه في قبو منزلنا. كان يتفاخر بأنها قصات شعر جيدة أيضا، أفضل بكثير مما كنتُ سأحصل عليه في صالون الحلاقة الرخيص ذاك الموجود في جادة سكيلز. وعندما هجر روز، هجر البيع أيضا، وقد احترمتُه لذلك.

كنتُ متحمسا لفكرة لقائه. كانت الذكريات دافئة. كان مات مستعدا لتقبّلي كما أنا. فقبل نورما: كانت المشكلات التي لا تتعلق بالمال أو إثارة إعجاب الجيران تتعلّق بي، أنّه يجب أن أُترك وشأني، وألا أُدفَع لفعل ما فعله الأطفال الآخرون. وبعد نورما: كانت عن حقّي في عيش حياة خاصة بي حتى وإن لم أكن كبقيّة الصبية. مُدافعا عنّي على الدوام. كنتُ أتحرّق شوقا لرؤية تعابير وجهه. لقد كان شخصًا سأتمكّن من إخباره بهذا الأمر.

كان شارع وينتوورث قسما متهالكا من مقاطعة برونكس. كانت معظم المتاجر في الشارع تحمل لافتات «للإيجار» على نوافذها، بينما كانت متاجر أخرى قد أنهت عملها لليوم. ولكن في منتصف الحي من ناحية محطة الحافلات، كانت هنالك

علامــة عمـود الحـلاق التـي تعكـس ألـوان عصـى الحلوى من النافذة.

كان المتجر فارغًا، باستثناء الحلاق الذي يقرأ مجلة على الكرسي الأقرب للنافذة. وعندما رفع رأسه إليّ، عرفتُ مات -قصير وبدين، في خدّيه حمرة، أكبر سنا بكثير، وأصلع تقريبا، مع حواف من الشعر الرمادي تحيط بجانبي رأسه- لكنه لا يزال مات. عندما رآني عند الباب، وضع المجلة جانبًا. «لا يوجد انتظار. أنت التالي».

ترددّت، فأساء فهمي. «عادة لا يبقى المحل مفتوحا حتى هذه الساعة يا سيّد. كان لديّ موعد مع أحد زبائني الدائمين، لكنه لم يأتِ. كنتُ على وشك الإغلاق. من حسن حظّك أنّني جلست لأُريح قدمي. أفضل قصّة شعر وحلاقة للذقن في برونكس».

وبينما سمحتُ للمتجر بأن يجذبني إليه، تحرّك هو حولي بهمّةٍ عالية، مُخرِجا مقصًا وأمشاطًا وقماشًا جديدًا.

«كما ترى، كل شيء مُعقّم، وهو ما لا ينطبق على معظم صالونات الحلاقة في هذا الحي. قصّة شعر وحلاقة؟»

جلست بهدوء على المقعد. لا أصدّق أنه لم يتعرف عليّ بينما تمكنت أنا من التعرف عليه بكل بساطة.

كان عليّ تذكير نفسي بأنه لم يرني منذ أكثر من خمسة عشر عاما، وأن مظهري قد تغير بدرجة أكبر في الأشهر الماضية. تفحّصني جيدا في المرآة بعد أن غطّاني بقماش الرقبة المُخطّط، وارتسم على وجهه تقطيب يوحي بقدر ضئيل من التمييز.

«المطلوب» قلت، مُومئًا برأسي ناحية قائمة أسعار النقابـة، «قصـة شعر، وحلاقـة ذقـن، وشـامبو، وتسمير للبشرة...»

وارتفع حاجباه.

فأجبتُ مطمئنا «عليّ لقاء شخصٍ لم أره منذُ مدةٍ طويلة، وأريد أن أبدو بأفضل حالاتي».

كان شعورًا مخيفًا؛ أن يقص لي شعري مرة أخرى. لاحقًا، وبينما كان يشحذ موس الحلاقة باستخدام الجلد، جعلني صوت الهمس الخشن أجفل. حنيت رأسي تحت الضغط الخفيف ليده، وشعرت بالشفرة تشق طريقها بدقة في أنحاء رقبتي. أغلقتُ عيني وانتظـرت. كـان الأمـر كمـا لـو أنني على طاولـة العلميّات مجددًا.

تشـنّجت عضـلة رقبتـي، وبـدون أي مقـدمات، انتفَضَت. جرحني النصل فوق تفاحة آدم مباشرة. «مهلا!» صاح. «بحق المسيح... هوّن على نفسك. لقد تحرّكت. مهلا، أعتذر بشدة».

ثم انطلق لتبليل منشفة عند الحوض.

وفي المرآة، شاهدت الفقاعة الحمراء الساطعة، والخط الأحمر الرقيق يتقاطر على حلقي. وبانفعالٍ وأسف، وصل إليه قبل أن يبلغ القماش حول عنقي.

وبينما كنت أشاهده وهو يتحرك بنشاط بالنسبة لرجل قصير وممتلئ مثله، شعرت بالذنب لخداعي إياه. أردتُّ أن أخبره بهويتي، وأن أجعله يحيطني بذراعه، فيتسنى لنا التحدّث عن الأيام الخوالي. لكنني انتظرته بينما كان يُغطي الجرح بمسحوق الرَّقوء الموقف للنزيف.

أنهى الحلاقة في صمت، ثم أحضر مصباح تسمير البشرة إلى الكرسي ووضع على عيني ضمادات قطنية بيضاء باردة ومنقوعة في ماءُ الهاماميليس. وهناك، في الظلام الداخلي الأحمر الساطع، رأيتُ ما حدث في الليلة التي أخذني فيها بعيدا عن المنزل، للمرة الأخيرة...

تشارلي نائم في الغرفة الأخرى، لكنه يستيقظ على صـوت صـراخ والـدته. لقـد تعـلّم أن ينـام فـي المشاجرات، فهي تحدث يوميا في منزله. لكن في تلك الليلة، كان هناك خطب مريع للغاية بتلك الهيستيريا. يعود إلى مخدته مُنكمشا على نفسه، ويستمع.

«ما بيدي حيلة! يجب أن يرحل! يجب علينا التفكير فيها. لن أسمح بأن تعود باكية من المدرسة كل يوم لأن بقيـة الأطفـال يضـايقونها. لا يمكننـا تـدمير فرصتها في الحصول على حياة طبيعيةٍ بسبب...»

«وماذا تريدين أن تفعلي؟ تلقينه في الشارع؟»

«ضعه بعيدا. أرسِله إلى دار ولاية وارين».

«دعينا نتحدث عن الأمر في الصباح».

«كلا. أنت لا تفعل شيئا سوى الكلام والكلام، ولا تقوم بأي شيء. لا أريده هنا ليومٍ آخر. الآن، الليلة».

«لا تتصرفي بحماقة يا روز. لقد تأخر الوقت على فعل أي شيء... الليلة. صراخكِ مرتفع وسيسمعُكِ الجميع».

«لا أهتم. سيخرج الليلة. لم أعد أطيقُ حتى النظر إليه».

«لا تكوني عنيدة هكذا يا روز. ماذا تفعلين؟»

«أنا أحذّرك. أخرجه من هنا».

«ضعي السكين جانبا».

«لن أجعل حياتها تتدمّر».

«أنتِ مجنونة. أبعدي تلك السكّين».

«من الأفضل له أن يموت. لن يكون قادرا أبدا على عيش حياة طبيعية. من الأفضل له أن...»

«لقد فقدّتِ صوابك. بحق الرّب، سيطري على نفسك!»

«أبعده من هنا إذن. الآن، الليلة».

«حسنا، سآخذه الليلة إلى هيرمان، وربما نرى غدا ما يمكننا فعله بشأن إدخاله إلى دار ولاية وارين».

صمتٌ عارم. ومن الظلام، أشعرُ بالقشعريرة تخيّم على المنزل، ثم صوتُ مات، أقلّ ذُعرًا من صوتها. «أعلم كل ما خضّتِه معه، ولا يمكنني لومكِ على خوفك. لكن عليكِ أن تسيطري على نفسك. سوف أصحبه إلى هيرمان. أيرضيكِ هذا؟»

«هذا كل ما أطلبه. ابنتُك تستحق الحياة أيضًا».

يدخل مات إلى غرفة تشارلي ويُلبسه ملابسه، ومع أن الصبي لا يفهم ما يجري، إلا أنه خائف. وبينما يخرجان من الباب، تشيحُ بنظرها. ربّما تحاول إقناع نفسها بأنه قد رحل عن حياتها بالفعل، أنه لم يعد موجودا. وفي طريقه إلى الخارج، يرى تشارلي على طاولة المطبخ سكين نحت تستخدمه في التقطيع

للشواء، ويغمره شعور غامض بأنها كانت تريد إيذاءَه. كانت تريد أخذ شيءٍ ما منه، وإعطاءِه لنورما.

وعندما ينظر إليها مجددا، كانت قد التقطت خرقة لغسل حوض المطبخ.

عندما انتهينا من قصّ الشعر والحلاقة والاستشماس وبقية الأشياء الأخرى، جلستُ باسترخاء على الكرسي، وشعرت بالخفّة والنعومة والنظافة، وأزال مات القماش من حول عنقي بخفة، وعرض عليّ مرآةً ثانية لأرى انعكاس رأسي من الخلف. وعندما رأيت نفسي في المرآة الأمامية وأنا أنظر إلى المرآة الخلفية بينما كان يحملها من أجلي، انحَرَفَت للحظة لتلك الزاوية التي تُنتج وهم العُمق؛ دهاليز لا نهائية لنفسي... التي تنظر إلى نفسي... التي تنظر إلى نفسي... التي تنظر إلى نفسي... التي تنظر...

أيّ واحدة؟ من كُنت؟

فكّرتُ بعدم إخباره. بم كانت ستفيده المعرفة؟ أرحلُ فقط ولا أكشفُ له عن هويّتي. ثم تذكّرتُ أنني أردّته أن يعرف. كان عليه أن يعترف بأنني حيّ، أنني شخصٌ ما. أردتُّه أن يتفاخر بي أمام زبائنه غدا وهو يقوم بقصات الشعر والحلاقة. من شأن هذا أن

يجعل الأمر حقيقيا. إن علِمَ أنني ابنه، فعندئذ سأكون شخصا.

«ربما ستعرفني الآن، بعد أن أزلتَ الشعر من على وجهي». قلتُ بينما كنت أقف، منتظرًا دلالةً على التمييز.

قطّب وجهه وقال. «ما هذا؟ خدعةٌ ما؟»

أكّدتُ له أنها لم تكن خدعة، وأنه إن أمعن النظر وفكّر مليا فسيعرفني. لكنه تجاهلني واستدار لوضع مقصاته وأمشاطه جانبا. «ليس لدي وقتٌ لألعاب التخمين. عليّ أن أغلق المحل. حسابك ثلاثة ونصف».

ماذا لو لم يتذكرني؟ ماذا لو كان كلّ هذا مجرد خيالات سخيفة؟ كانت يده ممدودة لأجل المال، لكنّني لم أحرك ساكنا تجاه المحفظة. كان عليه أن يتذكّرني. كان عليه أن يعرفني.

«أنت! هل أنت على ما يرام؟»

«نعم... فقط... انتظر...» ارتميتُ على أحد مقاعد الكروم وانحنيتُ بجسمي للأمام، لاهثًا، محاولًا التقاط أنفاسي، ومُنتظرا عودة الدم إلى رأسي. بطني تضطرب. يا إلهي، لا تجعلني أغيب عن الوعي الآن. لا تجعلني أبدو سخيفًا أمامه.

«ماء... بعض الماء... من فضلك». ليس من أجل الشراب بقدر ما كان من أجل أن أجعله يستدير مُبتعدًا. لم أكن أريده أن يراني على هذا النحو بعد كل هذه السنوات. وفي الوقت الذي عاد فيه وبحوزته كأس، كنتُ قد تحسّنتُ قليلاً.

«تفضّل، اشرب هذا. استرِح قليلا. ستكون على ما يُرام». حدّق في وجهي بينما كنت أرتشف الماء البارد، ورأيت كيف أنه يتخبط بين ذكرياتٍ نصف منسيّة. «هل أعرفُكَ حقا من مكانٍ ما؟»

«كلا، أنا بخير. سأغادر بعد لحظات.» كيف يمكنني إخباره؟ ماذا كان يُفترض بي أن أقول؟ انظر إليّ، أنا تشارلي، الابن الذي شطبتَه من السجلّات؟ لا ألومك على ذلك، ولكن ها أنا ذا، أُصلِحتُ بالكامل، أفضل من أي وقتٍ مضى. اختبرِني. اطرح عليّ أسئلة. إنني أتحدث بعشرين لغة؛ حية وميتة. أنا نابغة رياضي، وأؤلف حاليا كونشيرتو بيانو سيجعل ذِكْري مُمتدًا بعد رحيلي.

كيف يمكنني إخباره؟

يا لسخافتي وأنا جالس هناك في متجره، مُنتظرًا منه أن يُربّت على رأسي ويقول «فتى جيّد». أردت الحصول على استحسانه؛ على وهج الرضا القديم ذاك الذي اعتلى وجهه عندما تعلّمت ربط حذائي

وتزرير سُترتي بنفسي. كنتُ قد أتيت إلى هنا طلبا لتلك النظرة على وجهه، لكن علمتُ أنّني لن أحصل عليها.

«أتريدني أن أتصل بطبيب؟»

لم أكن ابنه. كان ذلك تشاري آخر. لقد غيّرني الذكاء والمعرفة، وكان سيمقتني -كما فعل الآخرون في المخبز- لأن نموّي قد جعله يشعر بالنقص. لم أكن أريد ذلك.

«أنا بخير. أعتذر لكوني مصدر إزعاج». نهضّتُ واختبرت ساقيّ. «شيءٌ أكلتُه. سأدعكَ تُغلق الآن».

وبينما كنت أتجه نحو الباب، خاطبني صوته بحدّة. «مهلًا، انتظر لحظة». والتَقَت عينه، والشك يملؤها، بعيني. «ما الخدعة التي تحاول القيام بها؟»

«لا أفهمك».

كانت يدُه ممدودة، وإبهامه يفرك سبّابته. «أنت تدين لي بثلاثة ونصف».

اعتذرت بينما كنت أعطيه المال، لكن كان باستطاعتي رؤية تكذيبه لي. أعطيته خمسة دولارات، وأخبرته أن يحتفظ بالباقي، وأسرعت بالخروج من صالونه دون أن ألتفت للوراء.

٢١ يونــيو- أضـفتُ تسلسُلاتٍ زمنيـة مـن التعقيـد المتزايد إلى المتاهة ثلاثية الأبعاد، وقد تعلمها ألغـيرنون بسـهولة. ليسـت هنـاك حاجـة لتحفـيزه بالطعام أو الماء. يبدو أنه يتعلم بهدف حل المشكلة، يبدو أن النجاح هو مكافأته.

ولكن كما أشار برت في المؤتمر، فإن سلوكه شاذ. فأحيانا، وبعدما ينتهي من الركض، أو حتى أثناء ركضه، يصاب بنوبة غضب، ويرمي بنفسه على جدران المتاهة، أو حتى ينعقِص، ويرفض العمل إطلاقا. أهو الإحباط؟ أم شيءٌ أعمق؟

٥:٣٠ مساء- لقد جاءت تلك المجنونة فاي عبر سلم الطوارئ ظهر هذا اليوم، وبصحبتها أنثى فأر بيضاء -بنصف حجم ألغيرنون تقريبا- لتؤنسه، على حد قولها، في ليالي الصيف الوحيدة هذه. وسرعان ما تغلّبَت على اعتراضاتي وأقنعتني أن وجود الرفقة سيكون مفيدًا لألغيرنون. وبعد أن طمأنتُ نفسي بـأن «ميني» الصغيرة تلـك تتمـتّع بصحة جيـدة وسماتٍ أخلاقيّة طيّبة، وافقتُ على الأمر. انتابني الفضول لرؤية رد فعل ألغيرنون عند مواجهته لأنثـى. ولكــن بمجـرد وضـعنا لميني فـي قفـص ألغــيرنون، جـذبت فـاي ذراعـي وسـحبتني خـارج الغرفة.

«أيـن رومانسـيّتُك؟» قـالت بإصـرار. ثـمّ شـغّلت

المذياع، وتقدمت نحوي بأسلوبٍ تهديديّ. «سأعلّمك أحدث الخطوات».

كيف ينزعج المرء من فتاةٍ مثل فاي؟

على أيّ حال، أنا سعيد لكون ألغيرنون لم يعد وحيدا.

٢٣ يونيو- في وقتٍ متأخر من الليلة الماضية، صوتُ ضحكاتٍ في الرّواق وطرقٌ على بابي. كانت فاي، وبرفقتها رجل. «مرحبا يا تشارلي»، وقَهقهَت حالما رأتني. «لِيروي، تعرّف على تشارلي. إنّه جاري في الشقة المجاورة. فنّانٌ رائع. إنه يصنع منحوتات ويستخدم معها عناصر حية». أمسَك ليروي بها ومنعها من الاصطدام بالحائط. ثم نظر إليّ بتوتّر وتمتم بتحيّة.

«التقيتُ بليروي في قاعة ستاردست»، قالت موضّحة. «إنّه راقصٌ رائع». ثم دخلت إلى شقتها وجذبته معها. ثم ضحكت وقالت «مهلا، لم لا ندعو تشارلي للدخول واحتساء مشروب ونجعلها حفلة؟»

لم يعتقد ليروي أنّها فكرة جيدة.

واستطعتُ اختلاق عذر والانسحاب. وخلف بابي المغلق، سمعتهما يضحكان وهما يشقّان طريقهما

عبر الشقة، ومع أنني حاولتُ القراءة، إلا أنّ الصور ظلّت تحضر في ذهني عُنوة: سريرٌ أبيض كبير... ملاءات بيضاء باردة، وكلاهما في أحضان بعضهما البعض.

أردتُّ الاتصال بأليس، لكنني لم أفعل. لم قد أعذّب نفسي؟ لم أستطع حتى تصوّر وجه أليس. استطعتُ تخيّل فاي، مُرتدية الملابس أو عارية، كيفما يحلو لي، بعينيها الزرقاوين المتوهّجتين، وشعرها الأشقر المجدول والمُلتفّ حول رأسها كتاج. كانت فاي واضحة، أما أليس فقد كانت مُغلّفةً بالضباب.

وبعد قُرابة الساعة، سمعتُ صياحًا قادمًا من شقّة فاي، ثم صراخها، وصوت أشياء تُلقى على الأرض، لكن حالما نهضتُ من السرير لأرى إن كانت بحاجة إلى مساعدة، سمعت الباب يُصفق بشدة، وليروي يُطلق السِّباب والشتائم بينما كان يغادر. ثم بعدها بدقائق قليلة، سمعتُ طرقا على نافذة غرفة المعيشة لديّ. كانت مفتوحة، فانسلّت فاي عبرها وجلست على الحافة، بكيمونو حريريٍّ أسود يكشف عن ساقين رائعتين.

«مرحبا»، همست. «معك سيجارة؟»

ناولتُها واحدة، ونزلَت من على حافة النافذة إلى

الأريكة.

«أوف!» أطلقت تنهيدة. «عادةً ما أستطيع الاعتناء بنفسي، لكن هنالك نوعٌ مسعور للغاية، وهذا كل ما يمكنك فعله لصدّه».

«أوه»، أجبت. «أحضرتِهِ معكِ إلى هنا لصدّه».

لاحظَت نبرة صوتي ورمقتني بنظرةٍ حادّة. «ألا تتفق معي؟»

«ومن أنا لأعترض؟ لكن إن اصطحبتِ رجلا من قاعة رقص عامة فعليك توقّع حدوث بعض المبادرات. كان من حقّه محاولةُ مغازلتك».

هزّت رأسها وقالت: «أنا أذهب إلى قاعة ستاردست لأنيّ أحب الرقص، لا أرى كيف أنه يجب عليّ مضاجعة شخص ما لمجرد أنه قد أحضرني إلى المنزل. أنتَ لا تعتقد أنيّ قد ذهبت معه إلى الفراش، أليس كذلك؟»

بـرزت صـورتي لـهما وهمـا فـي أحضـان بعضـهما البعض كفقاعة الصابون في ذهني.

تابَعت قائلة: «لكن لو كان ذلك الرجل أنت، لاختلف الحال».

«ماذا تعنين بذلك؟»

«أعني ما يبدو عليه الأمر تماما. لو طلبتَ منّي الذهاب إلى الفراش معك لذهبت».

حاولتُ الحفاظ على رباطة جأشي. «شكرا لكِ»، قلت لها. «سوف أضع هذا بعين الاعتبار. هل أُحضر لكِ كوبا من القهوة؟»

«لا أستطيع فهمك يا تشارلي. معظم الرجال إما يحبونني أو لا يحبونني. وأستطيع معرفة هذا مباشرة.

لكنك تبدو خائفا منّي. أنت لست مِثليًّا، أليس كذلك؟»

«كلا بالطبع!»

«أعني أنك لست مضطرا لإخفاء الأمر عنّي إن كنتَ كذلك، لأن بمقدورنا حينها أن نكون أصدقاء جيّدين. لكن يجب أن أعرف ذلك».

«لستُ مثليّا. الليلة، وعندما دخلتِ إلى شِقّتكِ بصحبة ذلك الرجل، تمنّيتُ لو أنّه كان أنا».

انحنَت نحو الأمام، وانفتح الكيمونو ناحية الرّقبة، كاشفًا عن نهديها. وضعَت ذراعيها بلطفٍ حولي، وانتظَرت أن أفعل شيئًا. كنتُ أعرف ما هو متوقّعٌ مني، وقلتُ لنفسي إنه ما من سببٍ يدعوني لعدم فعل ذلك. غمرني ذلك الشعور بأنه لن يحدث هلعٌ

الآن؛ لـيس برفقتـها. فبعـد كـلّ شـيء، لـم أكـن الشخص الذي يُبادر. كما أنّها كانت مختلفة عن أي امرأةٍ سبق وأن قابلتُها. ربما كانت مُناسبة لي عند هذا المستوى العاطفي. وضعتُ ذراعيّ حولها.

«هذا مُختلف»، قالت في رقّة. «كنتُ على وشك الاعتقاد بأنك غير مهتمّ».

«بل أهتم»، همست، وأنا أقبّل عنُقها. لكن بينما كنتُ أفعل ذلك، رأيتُنا نحن الاثنين، كما لو أنني شخصٌ ثالث يقف عند المدخل. كنتُ أشاهد رجلا وامرأة يحتضنان بعضهُما بعضا. لكن رؤية نفسي بـهذه الطريقـة، مـن بعيـد، تـركني فـي حالـة مـن السكون، ودونما أيّ رد فعل. لم يكن هنالك ذعر، كان أمرًا صائبا، لكن لم تكن هنالك إثارةٌ أيضا؛ لم تكن هنالك رغبة.

«في شقتي أم في شقتك؟»

«انتظري لحظة».

«ما الأمر؟»

«ربما من الأجدر بنا ألّا نفعل. لا أشعر أنني بحالة جيدة هذا المساء».

نظَرت نحوي بتساؤل. «أهناك أمرٌ آخر؟ ... هل هناك شيء آخر تودّ منّي أن أفعله؟ ... لا مانع لديّ...»

«كلا، الأمر ليس كذلك». قلتُ بحدّة. «كل ما في الأمر أنّي لا أشعر بحالةٍ جيّدة الليلة». اعتراني الفضول بشأن الطريقة التي كانت لديها لإثارة رجل ما، لكن هذا لم يكن الوقت الملائم لبدء التجريب. إن حلّ مشكلتي موجودٌ في مكانٍ آخر.

لم أكن أعرف ماذا أقول لها. تمنّيتُ لو أنّها ترحل، لكنّني لم أرغب في أن أقول لها ذلك. كانت تتفحّصني، ثمّ قالت أخيرا:

«اسمع، هل تمانع أن أبيت هنا الليلة؟»

«لماذا؟»

هزت كتفيها. «أنا معجبةٌ بك. لا أدري. ليروي قد يعود. الكثير من الأسباب. إن كنت لا ترغب في أن...»

لقد أخذتني على حين غرّة مُجدداً. ربما كنت سأعثرُ على عشرات الأسباب للتخلص منها، لكنّني استسلمت.

«ألديك أي جِنّ؟»

«كلا. أنا لا أشرب كثيرا».

«لديّ البعض منه في شقّتي. سأذهب لإحضاره». وقبل أن أتمكن من إيقافها، كانت قد خرجت من

النافذة وعادت بعد بضع دقائق وبجعبتها زجاجة ممتلئة بمقدار الثلثين تقريبا، وحبّة ليمون. أخَذَت كأسين من مطبخي وسكبت فيهما بعض الجنّ. «تفضل، سيجعلك هذا تشعر بتحسّن. سوف يزيل كل ذلك التكلّف من الخطوط البيضاء. هذا هو مصدر انزعاجك. كل شيء أنيق للغاية ومستقيم، ويُشعِرُك بأنك محاصرٌ تماما. مثل ألغيرنون في منحوتته تلك».

لم أكن أنوي الشُّرب في البداية، لكنّني كنتُ أشعر بضيقٍ شديد فرأيت أنه لا ضير في ذلك. لن تصبح الأمور أكثر سوءً ممّا هي عليه، وربما قد يُخفّف ذلك الشعور بأنني أراقب نفسي من خلال أعينٍ لا تفهم ما كنتُ أفعله.

لقد جعلَتني أثمل.

أتذكّرُ الكأس الأول، والخلود إلى الفراش، وتسلّلها بجانبي وبيدها الزجاجة. وكان هذا كل شيء حتى ظُهر اليوم حيث استيقظت وأنا أعاني من صُداع الثّمالة.

كانت لا تزال نائمة؛ وجهها ناحية الحائط، ووسادتها مضمومةٌ تحت عنقها. وعلى الكومودينو، وبجانب منفضة السجائر التي تفيض بأعقابٍ مسحوقة، وقفت الزجاجة الفارغة، لكن آخر ما أتذكره قبل

إغلاق الستائر كان مُشاهدة نفسي وأنا أشرب الكأس الثاني.

تمدَّدَت وتقلّبَت نحوي؛ عارية. تحركتُ إلى الوراء وسقطتُ من على السرير. جذبتُ بطّانية لألفّها حول نفسي.

«مرحبا»، قالت بتثاؤب. «أتعلمُ ما أودّ أن أفعله في أحد هذه الأيام؟»

«ماذا؟»

«أرسمُكَ عاريا. كداوودِ مايكل آنجلو. ستكون جميلا. هل أنت على ما يرام؟»

أومأت. «باستثناء بعض الصداع. هل احتسيتُ الكثير من الشراب الليلة الماضية؟»

ضحكَت واتكأت بجسدها على كوع واحد. «كُنت تترنح من السكر. ويا للعجب من الطريقة الشاذة التي تصرّفتَ بها. لا أقصد تصرفات أنثوية أو شيء من هذا القبيل، بل كنت غريبًا».

«ماذا...» قلتُ وأنا أحاول تعديل البطانية وتدويرها كي أتمكّن من المشي. «...تعنين بكلامك هذا؟ ماذا فعلت؟»

«رأيتُ من قبل أشخاصا يشعرون بالسعادة أو

الحزن أو النعاس أو الإثارة، لكنّني لم أر قطٌّ شخصًا يتصرّف على النحو الذي تصرّفتَ به. من الجيّد أنّك لا تثملُ كثيرا. أوه، يا إلهي. كم أتمنى لو كانت معي كاميرا. يا للعرض القصير الذي كنتَ ستصنعُه».

«بحق المسيح! أخبريني ماذا فعلت؟»

«ما لم أتوقّعه. لا جنس أو شيء من ذلك القبيل. لكنّكَ كُنت عجيبا. يا له من عرض! الأغرب. ستكون رائعا على خشبة المسرح. ستُبهرهم في مسرح بالاس. لقد تصرفتَ ببلاهةٍ وارتباك شديدين. كما تعلم؛ كما لو بدأ رجلٌ ناضج بالتصرف كطِفل. متحدثا عن مدى رغبتك بالذهاب إلى المدرسة وتعلم القراءة والكتابة حتى تكون ذكيا كالآخرين. أشياء جنونية كهذه. كنتَ شخصا مختلفا تماما -مثلما يكونون في التمثيل المنهجي- وظللتَ تقول إنك لا تستطيع اللعب معي الآن لأن والدتك ستأخذ منك الفول السوداني خاصّتك وتضعك في قفص».

«الفول السوداني؟»

«نعم! لذلك ساعدني!» قالت ضاحكة، وهي تحكّ رأسها. «وظللتَ تُخبرني أنه لا يمكنني الحصول على الفول السوداني خاصّتك. الأغرب. ولكن بصراحة، يا للطريقة التي تحدّثت بها! مثل أولئك الأغبياء الموجودين في أركان الشوارع، والذين يفيضون

حماسة من مجرّد النظر إلى فتاة. رجُل مختلف تماما. في البداية، ظننتُك تمزح فقط، لكنّي أعتقد الآن أنّ لديك سلوكًا قهريًا أو شيئًا من هذا القبيل. كلّ هذا الترتيب والنظام والقلق بشأن كل شيء».

لم أنزعج من الأمر، رغم أنّني كنتُ أتوقّع أن أنزعج. لقد تمكنت الثمالة، بطريقة ما، ولفترة مؤقتة، من تحطيم الحواجز الواعية التي أبقت تشارلي جوردن القديم مُخبّئًا في عقلي. وكما كنتُ أتوقع طوال الوقت، فإنه لم يكن قد رحل حقا. ما من شيء على الإطلاق يختفي حقا من عقولنا. كانت العملية قد غطّتْه بقشرةٍ خارجية من التعليم والثقافة، أمّا من الناحية العاطفية، فقد كان موجودا، يُراقب وينتظر.

ماذا كان ينتظر؟

«هل أنت على ما يُرام؟»

أخبرتُها أنّني بخير.

أمسَكَت بالبطانية التي كنتُ مُلتحفًا بها، وجذبتني إلى السرير مرة أخرى. وقبل أن أتمكّن من إيقافها، كانت قد دسّت ذراعيها حولي، وقبّلتني. «شعرتُ بالخوف الليلة الماضية يا تشارلي. ظننتُ أنّك فقدت عقلك. كنتُ قد سمعت عن أشخاص عاجزين جنسيا، وكيف أن ذلك يتمكّن منهم فجأة ويصبحون مجانين».

«وما الذي أبقاكِ؟»

هزّت كتفيها. «حسنا، كنتَ كطفلٍ صغيرٍ خائف. كنتُ متأكدة من أنّك لن تؤذيني، لكنّني خشيتُ أن تؤذي نفسك. لذا قرّرتُ أن أبقى. شعرتُ بأسفٍ شديد. على كل حال، أبقيتُ هذا في متناول يدي، تحسّبا...» وأخرجت مسنَد كتابٍ ثقيل كانت قد ثبّتته بين السرير والحائط.

«أظنّ أنّكِ لم تضطرّي لاستخدامه».

هزّت رأسها. «يا للعجب. لا بدّ من أنّك كنتَ تُحبّ الفول السوداني في صِباك».

ثمّ نهَضَت من على السرير وبدأت ترتدي ملابسها، وأنا أستلقي هناك لبرهة مراقبًا إياها. لقد تحرّكَت أمامي بلا خجلٍ أو تردّد. كان نهداها مُكتنزين كما رسمَتهُما في تلك اللوحة الذاتية. لقد كنتُ في توقٍ للوصول إليها، لكنّني علمتُ أنه بلا جدوى. فعلى الرغم من العمليّة؛ كان تشارلي لا يزال معي.

وكان تشارلي خائفًا من خسارة فوله السوداني.

٢٤ يونيو- انغمستُ اليوم في نوع غريب من الملهيات المناهضة للفكر. ولو كانت لدي الجرأة لشربت حتى الثمالة، ولكن بعد تجربتي مع فاي، علمت أن هذا سيكون مجازفة. لذا، وبدلًا من ذلك،

ذهبتُ إلى التايمز سكوير، من دار سينما إلى آخر، غامِسًا نفسي في أفلام الغرب القديم وأفلام الرعب، كما كنتُ أفعل في السابق. وفي كل مرة، وبينما أكون جالسا مقابل الفيلم، أجد نفسي تحت سياط الشعور بالذنب. كنتُ أخرج في منتصف العرض وأهيم على وجهي نحو عرضٍ آخر. قلت لنفسي إننّي كنت أبحث في عالم الشاشة التخيُّلي عن شيءٍ مفقود في حياتي الجديدة.

ثمّ وفي إدراكٍ مفاجئ، خارج مركز كينو للترفيه مباشرة، علمتُ أن بحثي لم يكن عن الأفلام، بل عن الجماهير. كنتُ أريد أن أكون برفقة الأشخاص الموجودين حولي في الظّلام.

الجدران التي بين الناس هنا رقيقة، وإذا أصختُ السمع، فسأسمع ما يجري. الأمر مشابه كذلك في حيّ غرينتش فيلادج. لا يتعلّق الأمر بمجرّد القُرب -فأنا لا ينتابني هذا الشعور في المصاعد المزدحمة أو في مترو الأنفاق خلال أوقات الذروة- لكن في ليلة حارة عندما يكون الجميع في الخارج للتمشية، أو جالسين في المسارح، يكون هنالك حفيف، وللحظة، ألْامِسُ شخصًا ما وأستشعرُ العلاقة بين الفرع والجذع والجذور العميقة. في مثل هذه اللحظات، يكون عودي دقيقا ومشدودا، ويدفعني التوق غير المُحتمل لأن أكون جزءً منها إلى البحث

في الزوايا المظلمة وأزقّة الليل المسدودة.

في العادة، وعندما يتخلّلني الإرهاق نتيجة المشي، أعود إلى الشقة وأخلد إلى نومٍ عميق، لكن هذه الليلة، وبدلا من الذهاب إلى منزلي، ذهبت إلى المطعم. كان هنالك غاسل أطباق جديد، صبيّ يبلغ من العمر قرابة الستة عشر عاما، ثم لاحظت شيئا ما مألوفا بشأنه؛ حركاته، النظرة في عينيه. ثم وفي أثناء تنظيفه للطاولة التي ورائي، أسقطَ بعض الأطباق.

اصطدمت بالأرض، متهشّمة ومُرسلة قطعا بيضاء من الخزف الأبيض تحت الطاولات. أما هو فقد وقـف هنـاك، فـي حالـة ذهـول وخـوف، ممسـكا الصينية الفارغة بيديه. كانت تصفيرات الزبائن وتعليقاتـهم (صـيحات مثـل «هـا هـي تضـيع الأرباح!»... «تهانينا!»... «حسنا، لم يعمل لفترةٍ طويلة..» والتي يبدو أنها دائما ما تتبعُ انكسار الأواني في المطاعم العامة) تسبّبت في إرباكه.

وعندما أتى المالك ليرى سبب الضّجة، انكمش الصبي مرتعدًا، مُلقيا ذراعيه إلى الأعلى كما لو أنه يحاول صدّ ضربة.

«حسنًا! حسنًا أيها الأحمق»، صرخ الرجل، «لا تبقَ واقفًا هكذا في مكانك! أحضِر المِقشّة واكنس تلك

الفوضى! مقشّة... مقشّة! أيها الأبله! إنها في المطبخ. اكنِس كلّ القطع».

عندما رأى الصبي أنّه لن يتعرّض للعقاب، تلاشت التعابير الخائفة من على وجهه، وابتسم وعاد حاملا المقشة وهو يدندن. واصل عدد من العملاء المشاغبين إلقاء الملاحظات للترفيه عن أنفسهم على حسابه.

«هنا يا سوني، تعال هنا. توجد وراءك قطعة معتبرة...»

«هيّا، افعلها ثانية...»

«إنه ليس بذلك الغباء. إنّ كسرها أسهلُ من غسلها...»

وبينما كانت عينا الصبي الفارغتان تتحركان عبر حشد المتفرجين المُستمتعين، شَرَع في محاكاة ابتساماتهم ببطء، ثم انفرجت على وجهه أخيراً ابتسامة عريضة مُتردّدة على النّكتة التي لم يفهمها.

شعرتُ في داخلي بالتقزز بينما كنت أنظر إلى ابتسامته البلهاء الفارغة، وعينيه المُشعّتين كعيني طفل، متردّد لكنه حريص على الإرضاء، ثم أدركتُ ماهيّة الأمر الذي كنتُ قد ميّزته فيه. كانوا يضحكون عليه لأنّه كان مُتخلّفا.

وفي البداية، كنتُ مُستمتِعا كالآخرين.

ثم فجأة، وجدتُّني حانقًا على نفسي وعلى كلّ من كان يبتسم في وجهه بسخرية. شعرتُ برغبة في الإمساك بالأطباق ورميها. أردّتُ سحق وجوههم الضاحكة. قفزتُ ناهضا وصرخت: «اخرسوا! دعوه وشأنه! إنّه لا يستطيع أن يفهم! ليس بيده أنه على ذلك النحو... لكن بحقّ الرب، أظهروا بعض الاحترام! إنه إنسان!».

عمّ الصمت في المطعم. شتمتُ نفسي لفقداني السيطرة وخلق ثورة غضب، وحاولتُ ألّا أنظر إلى الصبي وأنا أدفع الحساب وأخرج من هناك دون لمس طعامي. لقد شعرتُ بالخجل من أجلنا نحن الاثنين.

يا له من أمرٍ غريب، كيف للأشخاص الذين يمتلكون مشاعر وأحاسيس صادقة، ممن لن يُقدموا على استغلال شخصٍ وُلد بلا أذرُع أو أقدامٍ أو أعينُ، كيف لمثل هؤلاء الأشخاص ألا يتوانوا عن إساءة معاملة شخصٍ وُلد بذكاءٍ مُتدن. احتدّ غضبي مع تذكّري أنني -مثل هذا الصبي- قد لعبت، وبكل حماقة، دور المهرّج. وكنتُ قد نسيت ذلك تقريبًا.

لم يمضِ سوى وقت قصير على معرفتي بأن الآخرين يسخرون منّي. بإمكاني الآن أن أرى أنني،

ودون دراية مني، قد انضممتُ إليهم في السخرية من نفسي. وهذا مؤلم، أكثر من أيّ شيء آخر.

كثيراً ما أُعاوِدُ قراءة تقارير التطور التي كتبتُها في البداية، وكنت أرى الأُمّية والسذاجة الصبيانية وعقلُ شخصٍ منخفض الذكاء يحدّق من غرفة مظلمة، عبر ثقب المفتاح، في الضوء الباهر في الخارج. وفي أحلامي وذكرياتي، رأيتُ تشارلي وهو يبتسم بسعادة وتردّد على ما يقوله الناس من حولِه. فحتى في فترةِ بلاهتي، كنت أعلم أنّني أقل منزلة. كان لدى الآخرين شيءٌ أفتقر إليه، شيء قد رفضني. وفي عمايَ الذهني، كنت مؤمنا بارتباط الأمر، بطريقةٍ ما، بالقدرة على القراءة والكتابة، وكنتُ على يقين بأنه إذا تمكنت من الحصول على تلك المهارات، فسوف أحظى بالذكاء كذلك.

حتّى الأحمق يريد أن يكون كبقيّة الأشخاص.

قد لا يعرف الطفل كيف يُطعم نفسه، أو ماذا يأكل، لكنّه يعرف الجوع.

كان هذا اليوم جيّدا بالنسبة لي. عليّ إيقاف هذا القلق الصبياني بشأني، بشأن ماضيّ ومستقبلي. فلأمنحْ بعضًا مما لديّ للآخرين. عليّ استخدام معرفتي ومهاراتي للعمل في مجال زيادة الذكاء البشري. من لديه جاهزية أفضل منّي؟ من غيري قد

عاش في كلا العالمين؟

سوف أتواصل في الغد مع مجلس إدارة مؤسسة ويلبيرج وسأطلب إذنهم لإجراء بعض العمل المستقل على المشروع. قد أكون قادرا على مساعدتهم في حال سمحوا لي بذلك. لديّ بعض الأفكار.

يمكننا فعل الكثير بهذا الأسلوب في حال كان مثاليا. إذا كان تحويلي إلى عبقري أمرًا ممكنا، فماذا عن المتخلفين عقليا الذين يفوق عددهم الخمسة ملايين شخص في الولايات المتحدة؟ ماذا عن الملايين التي لا تعد ولا تحصى في جميع أنحاء العالم، وأولئك الذين لم يولدوا بعد، ممن قُدِّر لهم أن يولدوا متخلّفين؟ ما المستويات المُذهلة التي يمكن تحقيقها باستخدام هذا الأسلوب على الأشخاص الطبيعيين. على العباقرة؟

هنالك الكثير من الأبواب بانتظار فتحها، وكم أتوق لتطبيق معرفتي ومهاراتي على المشكلة. عليّ أن أجعلهم يرون جميعا مدى أهمية فعل هذا الأمر بالنسبة لي. مُتأكّد من أن المؤسسة ستمنحني الإذن.

لكن لا يمكنني البقاء بمفردي بعد الآن. عليّ إخبار أليس بالأمر.

٢٥ يونيو- اتصلت بأليس اليوم. كنت متوترا جدا ولا

بدّ من أنّني كنتُ أبدو غير متماسكا، لكن كان من الجيّد سماعُ صوتها، وقد بدَت سعيدة باتصالي. وافقَت على رؤيتي، وطلبتُ سيارة أجرة باتجاه أعلى المدينة، وكم كنتُ متبرما من البطء الذي نتحرّك به.

وقبل أن أطرق الباب، كانت قد فتحته وطوّقتني بذراعيها. «كنّا في غاية القلق عليك يا تشارلي. لقد واتتني رؤى مرعبة، تخيلتُك ميتًا في زقاقٍ ما أو تهيم على وجهك في أحياء المشردين النائية، فاقدا للذاكرة. لِمَ لمْ تُعلمنا أنك بخير؟ كان باستطاعتك على الأقل فعلُ ذلك».

«لا توبّخيني. كنتُ بحاجة لأن أبقى بمفردي لبعض الوقت كي أتوصّل لبعض الإجابات».

«تعال إلى المطبخ. سأُعدّ بعض القهوة. ماذا كنت تفعل طوال الفترة الماضية؟»

«في النهار، أفكر وأقرأ وأكتب، وفي الليل، أتجول في الشّوارع بحثًا عن نفسي. اكتشفتُ كذلك أن تشارلي يراقبني».

«لا تتحدث بهذا الشكل»، قالت مُرتعِدة. «هذا الحديث عن كونك مُراقبا ليس حقيقيا. إنه أمر اختلقتَه في عقلك».

«لا يسعني إلا أن أشعر بأنّني لستُ أنا. لقد اغتصبتُ

مكانه ومنعتُه من الدخول كما منعوني من دخول المخبز. ما أقصد قوله هو أن تشارلي جوردن موجودٌ بالفعل في الماضي، والماضي حقيقيّ. لا يمكنكَ إنشاء مبنى جديد في أحد المواقع حتى تُدمّر المبنى القديم، وتشارلي القديم لا يمكن تدميره. إنّه موجود. في البداية، كنت أبحث عنه: ذهبت لرؤية والده -والدي-. كل ما أردتُّ فعله هو إثبات وجود تشارلي كشخصٍ في الماضي، حتى أتمكن من تبرير وجودي. شعرتُ بالإهانة عندما قال نيمور إنّه خلقني. لكنني اكتشفتُ أن تشارلي لم يكن موجودًا في الماضي فحسب، بل إنّه موجودٌ الآن. في داخلي، ومن حولي. كان يحول بيننا طوال الوقت. كنت أظنُّ أن ذكائي قد خلق حاجزا؛ كبريائي المتعجرف والأحمق، شعوري بعدم وجود شيء مشترك بيننا لأنّي قد تجاوزتُك. لقد وضعتِ هذه الفكرة في رأسي. لكنّ هذا ليس التفسير. إنه تشارلي، الصبي الصغير الذي يخاف من النساء بسبب الأشياء التي فعلتها به والدته. ألا ترين؟ طوال كل تلك الأشهر، وبينما كنتُ أنمو فكريا، كانت لا تزال لدي وصلات عاطفية بتشارلي الطفوليّ. وفي كل مرة كنت أقترب فيها منكِ، أو أفكّر في ممارسة الحب معكِ، تحدثُ دارةُ قصر».

كنتُ متحمسا، واستمرّ صوتي يقصفها حتى ارتجَفَت. أصبح وجهُها متوهّجا. ثم همست:

«تشارلي، ألا يمكنني فعل أي شيء؟ ألا يمكنني تقديم المساعدة؟»

«أظن أنني قد تغيّرتُ على مدار الأسابيع الماضية، بعيدا عن المختبر. لم أستطع أن أعرف طريقة فعل الأمر في البداية، لكن هذه الليلة، وبينما كنت أتجول في أنحاء المدينة، خطر لي الأمر. من الحماقة أنني كنت أحاول حل المشكلة بمفردي. وكلما علقتُ أكثر فأكثر بشباك فوضى الأحلام والذكريات هذه، ازداد إدراكي بأن المشكلات العاطفية لا يمكن حلّها بالطريقة التي نحل بها المشكلات الفكرية. وهذا ما اكتشفتُه عن نفسي الليلة الماضية. قلتُ لنفسي إنّني كنت أهيم على وجهي كروحٍ ضائعة، ثمّ أدركتُ أنّني كنتُ ضائعًا.

«كنت، بطريقةٍ ما، قد انفصلتُ عاطفيًا عن الجميع، عن كل شيء. وما كنت أبحث عنه حقًا في الشوارع المظلمة -وهي آخر مكان لعين يمكنني أن أعثر عليه فيه- كان وسيلة لجعل نفسي جزءً من الناس عاطفياً مرة أخرى، مع الاحتفاظ بحرّيتي فكريا. يجب أن أنضج. إنّ هذا الأمر يعني لي كلّ شيء....»

ظللتُ أتحدّث وأتحدّث، قاذفًا من داخلي كل شك وخوف كان يُبقبق على السّطح. كانت بمثابة لوح ترديد الصوت بالنسبة لي، وقد جلسَت في مكانها كالمنوَّمِ مغناطيسيا. شعرتُ بنفسي أزداد دفئا

وحُمّية، حتى ظننتُ أنّ جسدي يشتعل. كنتُ أقاوم العدوى أمام شخص أهتمّ لأمره، وهذا ما أحدَث كُلّ الفرق.

لكن هذا كان يفوق طاقتها. وما بدأ كارتجاف صار دموعًا. لفتَت اللوحة الموجودة فوق الأريكة انتباهي -العذراء المذعورة ورديّة الخدّين- وتساءلتُ في داخلي عن ماهيّة مشاعر أليس حينها. كنتُ أعرفُ أنها ستمنح نفسها لي، وكنتُ راغبًا فيها، لكن ماذا عن تشارلي؟

ربما لن يتدخل تشارلي في حالة كنت أريد ممارسة الحب مع فاي. ومن المرجح أنه سيكتفي بالوقوف في المدخل والمراقبة. لكن في اللحظة التي اقتربتُ فيها من أليس، أصيبَ بالذعر. لم كان خائفا من أن يدعني أحبّ أليس؟

جلسَت على الأريكة، تنظرُ نحوي، في انتظار رؤية ما سأفعل. وماذا بمقدوري أن أفعل؟ أريد أن أضمها بين ذراعيّ وأن...

وما إن شرعتُ بالتفكير في الأمر، حتى أتت العلامات التحذيرية.

«هل أنت على ما يرام يا تشارلي؟ تبدو شاحبًا جدًا. «أشعر ببعض الدّوار. سوف يزول». لكنني كنت أعلم أن الأمر سيزداد سوءً طالما كان تشارلي يشعر

بوجود خطر من مُمارستي للحبّ معها.

وحينها واتتني فكرة. جعلتني أشمئز في البداية، لكنّني أدركت فجأة أن الطريقة الوحيدة للتغلب على هذا الشلل هي بخداع تشارلي. إن كان هنالك من سببٍ ما يجعل تشارلي خائفًا من أليس دون أن يخاف من فاي، فعندئذ سأطفئ الأنوار، وأتظاهر بأنني أمارس الحب مع فاي، ولن يعرف الفرق مطلقا.

لم تكن فكرة صائبة، كانت مُقزّزة، ولكن إن نجحت فستكسر قبضة تشارلي الخانقة على مشاعري. سوف أعرف بعد ذلك أنني كنتُ قد أحببتُ أليس، وكانت هذه الفكرة سبيلي الوحيد لذلك.

«أنا على ما يرام الآن. دعينا نجلس في الظلام لفترة»، قلت، مُطفئًا الأنوار، وفي انتظار أن أستجمع نفسي. لم يكُن ما أنا على وشك فعله بالأمر اليسير. كان عليّ إقناع نفسي، تصوّر فاي وتنويم نفسي مغناطيسيًا بحيث أجعلها تعتقد أن المرأة التي تجلس بجانبي كانت فاي. وحتى وإن فصل نفسه عني للمراقبة من خارج جسدي، فلن يُفيده ذلك، لأن الغرفة ستكون مظلمة.

انتظرتُ ظهور بعض الدلائل على تشكّكه؛ علامات الهلع التحذيرية، ولكن لم يحدث شيء. كنت أشعر

بالتيقّظ والهدوء. وضعتُ ذراعي حولها.

«تشارلي، أنا...»

«لا تتحدثي!» قلتُ منفعلا، فانكَمشت على نفسها في تراجُع. «أرجوكِ»، قلتُ، مُطمئِنًا إيّاها، «لا تقولي أي شيء. دعيني أضُمّكِ فقط بهدوءٍ في الظلام». قرّبتُها إليّ، وهناك، في ظُلمة أجفاني المُغلقة، استحضرتُ صورة فاي، بشعرها الأشقر الطويل وبشرتها الفاتحة. فاي، كما رأيتُها بجانبي آخر مرّة. قبّلتُ شعر فاي، عُنق فاي، وأخيراً، حللتُ مطمئنًا على شفتي فاي. شعرتُ بذراعي فاي يداعبان عضلات ظهري، وكتفاي، وتعاظَم في داخلي الضّيق كما لم يتعاظم قطّ من أجل امرأة. لاطفتُها بتروٍّ في البداية، ثم بإثارة محمومة ومتصاعدة ستفضحُني عمّا قليل.

بدأتُ أشعر بقشعريرة جعلت الشعر على رقبتي يرتعد. كان هنالك شخصٌ آخر في الغرفة، يحدّق في الظلام، في محاولة منه لأن يرى. وبشكلٍ محموم، فكرت في الاسم مرارا وتكرارًا بيني وبين نفسي. فاي! فاي! فاي! تخيّلتُ وجهها بكل وضوح وصفاء كي لا يحيل بيننا شيء. ثم وعندما جذبتني إليها، صحتُ بصوتٍ مُرتفع، ودفعتها بعيدا عني.

«تشارلي!» لم أستطع رؤية وجه أليس، لكن شهقتها

عكست حجم الصدمة.

«كلّا يا أليس، لا أستطيع. أنتِ لا تفهمين».

قفزتُ من على الأريكة وأضأتُ الأنوار من جديد. كدتُّ أرتقب رؤيته واقفًا هناك. ولكن كلا بالطبع. كُنا بمفردنا. كان الأمر برمّته من نسج خيال عقلي. كانت أليس مستلقية هناك، وقميصها مفتوح حيث كنتُ قد حللتُ أزراره، ووجهها متوهّج، والعينان متّسعتان في ذهول. «أنا أحبّكِ...» خرجت مني الكلمة بعبرةٍ مخنوقة، «لكنّني لا أستطيع فعلها. أمرٌ لا يمكنني شرحه، لكن لو لم أتوقف، لكرهتُ نفسي لبقيّة حياتي. لا تطلبي منّي التوضيح، وإلا لكرهِتِني أنتِ أيضا. الأمر متعلّق بتشارلي. إنه يمنعني، لسببٍ ما، من ممارسة الحبّ معكِ».

أشاحت بوجهها عنّي، وزرّرت قميصها. «لقد كان الأمرُ مُختلفا الليلة،» قالت. «لم يُصبك الغثيان أو الذعر أو أي شيء من ذلك القبيل. كنتَ راغبا بي».

«نعم، كنتُ راغبًا بك، لكنّني لم أكن أمارس الحب معكِ حقا. كنتُ عازما على استخدامكِ -بطريقةٍ ما- لكن لا يمكنني توضيح الأمر. أنا نفسي لا أفهمُه. دعينا نقول فقط إنني لستُ مُستعدا بعد. ولا يمكنني تزييف الأمر أو الخيانة أو التظاهر بأنّ الأمر على ما يرام في حين أنه ليس كذلك. إنه مجرد زقاق

مسدود آخر». ونهضّتُ عازمًا على الرحيل.

«تشارلي، لا تهرب مرة أخرى».

«لقد اكتفيتُ من الهرب. لديّ عمل يتعيّن عليّ القيام به. أخبريهم أنني سأعود إلى المختبر في غضون أيامٍ قليلة، بمجرّد أن أسيطر على نفسي».

غادرتُ الشقة وأنا في وسط نوبة هيجان. وفي الطابق الأسفل، أمام المبنى، وقفتُ هناك، لا أدري أي طريقٍ سأسلُك. فمهما كان الدرب الذي أتّخِذه، كنتُ أتعثر بصدمةٍ تُنبئ بالخطأ. كانت كل الدروب مسدودة. ولكن... ربّاه، كل شيء فعلتُه، وكل مكانٍ قصدته، كانت الأبواب موصدةً في وجهي.

لم يكن هنالك مكانٌ لأدخله. لا شارع، ولا غرفة، ولا امرأة.

وأخيرا، نزلتُ إلى المترو، وفي مشيتي شيء من الاضطراب، واستقللتُه متجهًا إلى الشارع التاسع والأربعين. لم يكن هنالك الكثير من الناس، لكن كانت هنالك شقراءُ ذاتِ شعرٍ طويل ذكّرتني بفاي. وبينما كنت في طريقي إلى حافلة المدينة، مررتُ بمتجرِ لبيع الخمور، ودون تفكير في الأمر، دخلت إليه وابتعتُ قارورة من مشروب الجِن. وفي أُثناء انتظاري للحافلة، فتحت الزجاجة في الكيس على طريقة المتشردين الذين سبقت لي رؤيتهم،

واجترعتُ دفعة طويلة وعميقة من الشراب. تسبّبت في حرقانٍ طوال طريقها إلى الأسفل، لكنها منحتني شعورا جيدا. ثم أخذتُ جرعة أخرى؛ مجرد رشفة، وبحلول وقت وصول الحافلة، كنتُ مغمورا في إحساس قويّ بالوخز والتنميل. لم أتناول المزيد. لم أكن أريد أن أثمل الآن.

وعندما وصلت إلى الشقة، طرقتُ باب فاي. لم يكن هناك رد. فتحتُ الباب ونظرتُ في الداخل. لم تكن قد عادت بعد، لكن جميع أنوار المكان كانت مُضاءَة. لم تأبه البتة بأي شيء. لم لا أستطيع أن أكون مثلها؟ عدتُّ إلى شقتي للانتظار. خلعتُ ملابسي، وأخذتُ حماما، ولبستُ رداء. دعيتُ ألا تكون هذه إحدى الليالي التي تعود فيها إلى المنزل وبرفقتها أحد.

وعند حوالي الثانية والنصف بعد منتصف الليل، سمعتُ وقع خطواتها على الدرج. أخذتُ قنّينتي وتسلقتُ سلم الطوارئ وتسللتُ أمام نافذتها في لحظة فتحها للباب الأمامي تماما. لم أكن أنوي الجثـوم هنـاك والمشـاهدة. كنـتُ سأطرقُ علـى النافذة. لكن بينما كنتُ أرفعُ يدي لأُعلمها بوجودي، رأيتها ترفسُ حذاءها وتدور حول نفسها بسعادة. بعدها اتّجَهَت نحو المرآة، وببطء، بدأت تخلع ملابسها، قطعةً قطعة، خلعًا مُثيراً سرّيًا. شربتُ

جرعةً أخرى. لكن لم يكن بمقدوري أن أدعها تعرف بمراقبتي لها.

حينها ذهبتُ إلى شقتي ومشيت فيها دون إضاءة الأنوار. في البداية، فكرت في دعوتها إلى منزلي، لكنّ كل شيء كان أنيقا للغاية ومنظما لدرجة أكثر من اللازم -الكثير من الخطوط المستقيمة التي سيصعب عليّ محوها- وعلمتُ أن الأمر لن يُفلِح هنا. لذا خرجتُ إلى الرّواق. طرقت بابها بهدوء في البداية، ثم بقوّةٍ أكبر.

«الباب مفتوح!» صاحت بصوتٍ مرتفع.

كـانت ترتـدي ملابسـها الـداخلية، مستلقية على الأرض، بـذراعين منبسـطين وسـاقين مُرتفعـين ومسنودتين على الأريكة. مالت برأسها قليلًا إلى الخلف ونظرت إليّ رأسا على عقب. «تشارلي يا عزيزي، لماذا تقفُ على رأسِك؟»

«لا يهم» أجبتُها وأنا أُخرج القنينة من الحقيبة الورقية. «الخطوط والصناديق مستقيمة بدرجة أكثر من اللازم، وفكّرت أنكِ قد ترغبين بمشاركتي في محو بعضٍ منها».

«أفضل شيء في العالم لفعل ذلك»، قالت. «إذا ركّزت على البقعة الدافئة التي تتكون في تجويف معدتك، فستبدأ جميع الخطوط في الذوبان».

«هذا ما يحدث».

«رائع!» أجابت، وقفزت واقفة. «أنا أيضا. لقد رقصتُ الليلة مع العديد من الأشكال المُربّعة. دعنا نذوّبها جميعا». ثم أخَذَت كأسًا وملأتْه لنفسها.

وبينما كانت تشرَب، أحطّتها بذراعي وبدأتُ بمداعبة جلدها العاري.

«هيه، مهلا يا فتى! على رسلك! ما الأمر؟»

«أنا. لقد كنتُ بانتظار عودتِك».

تراجعت وقالت: «أوه، انتظر لحظة أيها الفتى تشارلي. لقد خُضنا كل هذا الأمر من قبل. أنتَ تعلم أن هذا لا يجدي نفعًا. أعني، أنت تعلم حجم إعجابي بك، وأنا على استعداد لسحبك إلى السرير إن كنتُ أظن أن هنالك فرصة. لكنّني لا أريد إجهاد نفسي مقابل لا شيء. هذا ليس عدلًا يا تشارلي».

«سيكون الأمر مُختلفا الليلة. أُقسم لكِ». وقبل أن تتمكن من الاعتراض، كنتُ قد أخذتُها بين ذراعيّ، مُقبّلا ومُداعبًا، وغامرا إياها بكل تلك الإثارة المتراكمة التي كانت على استعدادٍ لتمزيقي. حاولتُ فكّ حمالة صدرها، لكنّني سحبتُها بقوة فانقطع الخطّاف.

«بحقّ الإله يا تشارلي، حمّا...»

«لا تقلقي بشأن حمّالتك.» قلتُ بعبرةٍ مخنوقة، وأنا أساعدها على خلعها.

«سوف أشتري لكِ واحدة جديدة. سوف أعوّضكِ عن كلّ المرات الفائتة. سأمارس الحب معكِ طوال الليل».

ابتعـدت عـنّي وقـالت «تشـارلي، لـم يسـبق وأن سمعتك تتحدث بهذه الطريقةِ قطّ. وكفّ عن النظر إليّ كما لو أنك تريد ابتلاعي بالكامل». ثمّ سحبت بلـوزة مـن علـى أحـد الكراسـي ووضـعتها أمامـها. «والآن، تجعلني أشعر بأنّني عارية».

«أريد أن أمارس الحب معكِ. يمكنني فعلُها الليلة. متأكدٌ من ذلك... يمكنني الشعور بذلك. لا ترفضيني يا فاي».

«إليك»، قالت بهمس. «فلتشرب كأسًا آخر».

أخذتُ كأسًا وسكبتُ لها كأسًا آخر، وفي أثناءٍ شربها لـه، غطّيـتُ كتفـها وعنقـها بـالقُبُلات. ثـم شـرَعَت تتنفس بعمق، حيثُ بلغتها إثارتي.

«ربّاه، تشارلي، إذا جعلتني أبدأ ثم تسببت لي بخيبة أمل مرة أخرى فلا أدري ماذا سأفعل. لعِلمِك، أنا بشرٌ أيضا».

سحبتُها إلى جانبي على الأريكة؛ على قمّة كومة ملابسها وأشيائها الداخليّة.

قالت وهي تجاهد للنهوض: «ليس هنا على الأريكة يا تشارلي. دعنا نذهب إلى السرير».

«بل هنا» أجبتُ بإصرار، وأنا أجذب البلوزة وأبعدها عنها. نظَرت نحوي، ووضعت كأسها على الأرض، وخلعت سروالها الداخلي. وقَفَت هناك أمامي، عارية، ثم همست: «سأُضيء الأنوار».

«كلا،» قلت، وأنا أجذِبها إلى الأريكة مرّة أخرى. «أريدُ أن أنظر إليكِ».

قبّلتني بعُمق وضمّتني بين ذراعيها بقوّة. «إيّاك أن تُخيّب أملي هذه المرّة يا تشارلي. من الأفضل لك ألا يحدث ذلك».

تحرّك جسدها ببطء، مُقبِلا نحوي، وكنت أعلم أنه ما من شيء سيتدخّل بيننا هذه المرّة. أعرفُ ما سأفعل، وكيف أفعلُه. أطلَقَت أنفاسًا لاهثة، وتأوّهت، ونطَقت باسمي.

وللحظةٍ قصيرة، غمرني ذلك الشعور البارد بأنه يراقبني. فعلى ذراع الأريكة، لمحتُ وجهه يحدّق فيّ عبر الظلام خلف النافذة، حيث كنتُ أجثُم منذ دقائق معدودة. تبدّلٌ مفاجئ في الإدراك، وإذ بي

في الخارج على سلم الطوارئ مجددا، أشاهد رجلًا وامرأة في الداخل، يمُارسان الحبّ على الأريكة.

لكن بعد ذلك، وبجهدٍ عنيف بذلَته إرادتي، وجدتُّني مرةً أخرى على الأريكة معها، مُدركا لجسدها ولرغبتي المُلحّة وفُحُولتي، ورأيتُ الوجه المُقابل للنافذة، يراقب مُتعطّشا. وقلتُ في نفسي، هيّا أيها الوغد المسكين، راقب كما تشاء، لم أعُد أهتم لأمرك اللعين بعد الآن.

واتّسعَت عيناه بينما كان يُشاهد.

٢٩ يونيو- قررتُ إنهاء المشاريع التي كنت قد بدأتُ فيها منذ أن غادرت المؤتمر، وذلك قبل عودتي إلى المختبر. اتصلتُ بلاندسدوف من المعهد الجديد للدراسات المتقدّمة، وتحدثت معه حول إمكانية استخدام التأثير الضوئي النووي زوجيّ الإنتاج للعمل الاستكشافي في الفيزياء الحيويّة. في البداية، اعتقَدَ أنّني معتوه، ولكن بعد إشارتي إلى العيوب الموجودة في مقالته في مجلة المعهد الجديد، أبقاني على الهاتف لمدة ساعة تقريبًا. إنه يريدني أن أذهب إلى المعهد لمناقشة أفكاري مع فريقه. قد أوافق على عرضه في حال انتهيت من عملي في المختبر، إن كان هنالك وقت. هنا تكمن المشكلة بالطبع. لا أعرف كم تبقّى لي من الوقت. شهر؟ سنة؟ بقيّة حياتي؟ يعتمد هذا على ما

سأكتشفه من آثارٍ جانبية جسديّة ونفسية للتجربة.

٣٠ يونيو- توقفتُ عن التجول في الشوارع بما أنّه أصبح لدي فاي الآن. لقد أعطيتُها مفتاحًا لشقتي. إنها تمازحني بشأن إغلاقي لبابي، وأنا أُمازحها بشأن الفوضى التي تعمّ منزلها. حذّرتني من أن أحاول تغييرها. لقد طلّقها زوجُها منذ خمس سنوات لأنها لم تكن تهتم البتة بالتقاط الأشياء من على الأرض والاهتمام بمنزلها.

هذا هو سلوكها تجاه معظم الأشياء التي تبدو غير مهمة بالنسبة لها. إنها ببساطة لا -ولن- تهتم. كنتُ قد اكتشفتُ ذات يوم كومة من مخالفات الوقوف عند زاوية، خلف أحد المقاعد، لا بد من أن عددها كان أربعين أو خمسين مخالفة. وعندما جاءت ومعها البيرة، سألتُها عن سبب جمعها لها.

«آه، هذه» قالت ضاحكة. «عليّ أن أُسدّد بعضها بمجرّد أن يُرسل لي زوجي السابق شيكي الماليّ اللعين. أنتَ لا تملك أدنى فكرة عن مدى السوء الذي أشعر به بسبب هذه المخالفات. إنني أبقيها خلف ذلك المقعد لأنني لو لم أفعل ذلك فسأتعرض لنوبة من الشعور بالذنب في كل مرةٍ تقع عيني عليها. ولكن ما عسى الفتاة أن تفعل؟ أينما ولّيتُ وجهي، وجدت لافِتات في كل مكان -لا تقف هنا! لا تقف هناك!- لا يمكنني ببساطة حملُ نفسي

على التوقف لقراءة لافتةٍ ما كلّما أردتُّ الخروج من السيارة».

لذا وعدّتُّها ألاّ أحاول تغييرها. إن التواجد برفقتها مثيرٌ للحماسة. لديها حِسّ فُكاهةٍ عال. لكن الأهم من ذلك أنّ لديها روحًا حرة ومستقلّة. الأمر الوحيد الذي قد يصبح مرهِقا بعد فترة هو ولعُها بالرقص. لقد كنا نخرج لكل ليلة هذا الأسبوع ونبقى حتى الساعة الثانية أو الثالثة فجرا. لم يبق لديّ الكثير من الطاقة.

ليس حُبًّا، لكن أمرها يهمّني. أجد نفسي أستمع لوقع خطواتها آخر الرّواق في كل مرة تخرج فيها من المنزل.

لقد توقّف تشارلي عن مراقبتنا.

٥ يوليو- أهديتُ أول كونشيرتو بيانو أؤلفه لفاي. كانت مُتحمّسة لفكرة وجودِ شيء ما كإهداء لها، لكن لا أظن أنها أُعجِبَت به حقا. وهذا ما هو إلا تأكيد على فكرة أنك لن تجد جميع الخصال التي تريدها في امرأةٍ واحدة.

حجّةٌ أخرى لصالح تعدّد الزوجات.

ما يهُمّ هو أن فاي مُشرقة وطيّبة القلب. عرفتُ اليوم سبب نفاد الأموال منها في وقت مبكر من

هذا الشهر. ففي الأسبوع الذي يسق مقابلتها إيّاي، كانت قد عقدت صداقة مع فتاة التقَت بها في قاعة ستادردست. وعندما أخبرت الفتاةُ فاي أنه ليس لديها أي أفراد عائلة في المدينة، وأنها مفلسة وليس لديها مكانٌ تنامُ فيه، دعتها فاي للعيش معها. وبعد يومين، عثرَت الفتاة على مبلغ المئتين وثلاثين دولارا الذي كانت فاي تحتفظ به في درج خزانة ملابسها، واختفت وبجعبتها المال. لم تُبلغ فاي الشرطة بالواقعة، وكما تبيّن، فإنها لم تكن تعرف حتى اسم عائلة الفتاة.

«بم سيفيدني إخطارُ الشرطة؟» كانت تريد أن تعرف. «أعني أنّه لا بدّ من أنّ تلك الساقطة الفقيرة كانت بحاجة ماسّة إلى المال لتفعل هذا بي. لن أُفسد حياتها بسبب بضع مئات من الدولارات. أعني أنّني لستُ ثريّة أو أي شيء من ذلك القبيل، لكنّني لن أسعى لمطاردتها، إن كنت تعرف ما أعنيه».

كنتُ أعرف ما تعنيه.

لم يسبق لي قطّ أن قابلتُ شخصًا مُنفتحًا وواثقًا بقدر فاي. إنها أكثر ما أحتاجه حاليا. لقد كنتُ مُتعطّشا لهذا النّوع من التواصل البشري البسيط.

٨ يوليو- لا يوجد الكثير من الوقت للعمل بين التقافز في الملاهي الليلية وبين آثار الثمالة

الصباحية. لم أستطع فعل شيء إلا بعد تناول الأسبرين ومشروبٍ ما حضّرته لي فاي، وحينها تمكنتُ من إتمام تحليلي اللغوي لأشكال الأفعال في اللغة الأردية وإرسال الورقة إلى نشرة اللغويات الدوليّة. سوف تعيد هذه الورقة اللغويين الهنود إلى بلادهم، هم ومسجّلاتهم الصوتية، لأنها تُقوّض البُنية الفوقيّة الحاسمة لمنهجيّتهم.

لا يسعني إلا أن أبدي أعجابي باللغويين البُنيويّين الذين ابتكروا لأنفسهم مجالًا لغويًا يقوم على تدهور التواصل المكتوب وتخصّصوا فيه. حالةٌ أخرى من الرجال الذين يكرّسون حياتهم في بذل الكثير من الدراسة لما هو قليل للغاية، في عملية حشو للمجلدات والمكتبات بالتحليل اللغوي الدقيق للجعجعة. لا عيب في ذلك، لكن يجب ألّا يُستخدم كعذرٍ لتدمير تأصّل اللغة واستقراريّتها.

اتّصلت أليس اليوم لمعرفة موعد عودتي إلى العمل في المختبر. أخبرتُها أنني أرغب في إنهاء المشاريع التي بدأتُها، وأنني آمل الحصول على إذنٍ من مؤسسة ويلبيرج لإجراء دراستي الخاصة. لكنها مُحقّة، عليّ أخذ الوقت بعين الاعتبار.

لا تزال فاي ترغب في الخروج للرقص طوال الوقت. ابتدأت الليلة الماضية بشربنا ورقصنا في ملهى ذا وايت هورس، ومن هناك إلى بينيز هايدآوي، وبعده

إلى ذا بنك سليبر... وبعد ذلك لا أتذكّر الكثير من الأماكن، لكنّنا رقصنا حتى أصبحتُ مُستعدًا للسقوط. لا بدّ أن قدرتي على تحمّل الكحول قد ارتفعت لأنني كنتُ قد غبت بالكامل تقريبا قبل أن يظهر تشارلي. لا أتذكّر سوى أنه كان يؤدي رقصة نقر سخيفة على منصة ملهى اللألاكازام. حصل تشارلي على تصفيق رائع قبل أن يطردنا المدير، وقالت فاي إن الجميع اعتقدوا أنني كوميديان رائع، وأن الجمهور قد أُعجب بأدائي الأحمق.

ما الذي حدث حينها بحق الجحيم؟ أعلم أن ظهري أصيب بشدٍّ عضلي. كنت أعتقد أنه من كل ذلك الرقص، لكن فاي تقول إنني سقطت من على الأريكة اللعينة.

عاد سلوك ألغيرنون ليصبح شاذا من جديد. يبدو أن ميني خائفة منه.

٩ يوليو- حدث شيءٌ فظيع اليوم. عضّ ألغيرنون فاي. كنتُ قد حذّرتُها من اللعب معه، لكنها كانت تُحب إطعامه دائما. في العادة، وعندما كانت تذهب إلى غرفته، كان يرفع رأسه مبتهجًا ويركض نحوها. كان الأمر مختلفا اليوم. كان يقبع في الجانب البعيد، مُتكوّمًا على نفسه ككُرةٍ بيضاء. وعندما أدخَلت يدها عبر الباب العلوي للقفص، انكمش وأجبر نفسه على التراجع عميقا إلى الزاوية.

ثم حاوَلت ملاطفَته من خلال فتح حاجز المتاهة، لكن قبل أن أتمكن من إخبارها بأن تدعه وشأنه، ارتكبَت خطأً بمحاولةِ حمله. وحينها، عضّ إبهامها، ثم حدّق فينا طويلا، واندفع عائدا إلى المتاهة.

عثرنا على ميني في الطرف الآخر من صندوق المكافآت. كانت تنزف من جرحٍ بليغ في صدرها، لكنها كانت لا تزالُ على قيد الحياة. وعندما مددتُ يدي لإخراجها، دخل ألغيرنون صندوق المكافآت وهــاجمني بـانفعال. تشـبّثَت أسـنانُه بكمّي وظـلّ مُتعلّقا به حتى هززتُ ذراعي لإسقاطه.

بعد ذلك، أصبح هادئا. راقبتُ سلوكه لأكثر من ساعةٍ بعدها. إنه يبدو فاترا ومُرتبكًا، ومع أنه لا يزال يتعلم مشكلات جديدة دون تحفيز بالمكافآت الخارجية، إلا أن أداءه غريب. فبدلًا من الحركات الحــذِرة والمُحــدّدة عبـر ممـرّات المتاهــة، بـاتت تصرّفاته مُتسرّعة وخارجة عن السيطرة. فمرّة بعد الأخــرى، يتجـه إلـى إحـدى الزوايـا بسـرعة كبـيرة ويصطدم بحاجز. هناك شعور غريب بالعَجَلة والإلحاح في سلوكه.

تردّدتُ في إطلاقِ حُكمٍ مفاجئ. قد تكون هناك تفسيرات كثيرة. لكن عليّ الآن إعادته إلى المعمل. وسواء أتاني رد من المؤسسة بشأن منحتي الخاصة أم لا، فإن عليّ الاتصال بنيمور في الصباح.

تقرير تطوّر ١٥ - يوليو ١٢

كان كلٌّ من نيمور وشتراوس وبرت وبعضٌ من العاملين على المشروع بانتظاري في مكتب القسم النفسي. حاولوا بأن يجعلوني أشعر بأنّي موضع ترحيب، لكن كان باستطاعتي رؤية مدى حرص برت على أخذ ألغيرنون، وقد سلّمتُه له. لم يقل أحد أي شيء، لكنّني كنت أعلم أن نيمور لن يغفر لي بسهولة تجاوزه والتواصل مع المؤسسة من ورائه. لكن ذلك كان ضروريا، فقد كان عليّ التأكد، قبل عودتي إلى بيكمان، من أنهم سيسمحون لي بالبدء في دراسة مستقلة للمشروع. سوف يضيع الكثير من الوقت لو أنني كنت مضطرا لإبلاغ نيمور بكل شيء أفعله.

كان قد أُبلغ بقرار المؤسسة، وكان استقبالي باردًا ورسميا. مدّ يده نحوي، لكن لم تكن هناك ابتسامة على وجهه، وقال: «جميعنا مسرورون بعودتك يا تشارلي والعمل معنا. اتّصلَ بي جيسون وأخبرني أن المؤسسة ستسمح لك بالعمل على المشروع، وهذا الطاقم والمختبر تحت تصرّفك. لقد أكّد لنا مركز الحاسوب أن لعملك الأولوية، وبالطبع، إن كان بمقدوري المساعدة بأي طريقة...»

كان يبذل قصارى جهده ليكون ودّيا، لكن تشكّكه

كان جليّا على وجهه. فبعد كل شيء، ما الخبرة التي أمتلكها في علم النفس التجريبي؟ ما الذي كنت أعرفه عن الأساليب التي قضى سنوات عديدة في تطويرها؟ حسنا، وكما ذكرت، فقد كان يبدو وديّا ومستعدا لإرجاء إطلاقه للأحكام علي. لم يعد هناك الكثير مما يمكنُه فعله الآن. إذا لم أتوصّل إلى تفسيرٍ لسلوك ألغيرنون، فسيذهب كل عملُه هباء منثورا، لكن إذا حللتُ المشكلة، فسيكون النجاح من نصيب الفريق بأكمله كذلك.

ذهبتُ إلى المختبر حيث كان برت يراقب ألغيرنون وهو في أحد صناديق المشكلات المتُعدّدة. تنهّد وهزّ رأسه قائلا: «لقد نسي الكثير. يبدو أنّ معظم استجاباته المُعقّدة قد انمحَت. إنه يحل مشكلاتٍ بمستوى بدائي أدنى بكثير من المستوى الذي كنتُ أتوقعه.»

«وكيف ذلك؟» سألته.

«حسنا، كان يستطيع في الماضي اكتشاف أنماطٍ بسيطة -ففي مسار ذلك الباب الفارغ مثلا، يكون النمط إما كل ثاني باب، أو كل ثالث باب، أو الأبواب الحمراء فقط، أو الأبواب الخضراء فقط- أما الآن، فقد عبر ذلك المسار ثلاث مرات، ولا يزال يستخدم التجربة والخطأ».

«أيمكن أن يكون ذلك بسبب ابتعاده عن المختبر لفترة طويلة؟»

«هذا ممكن. سندعه يعتاد على الأمور مرة أخرى ونرى كيف سيتصرّف غدا».

كنتُ قد دخلتُ المختبر عدة مرات في السابق، لكنني كنت هنا الآن لتعلُّم كل شيء فيه. كان عليّ استيعاب، في بضعة أيام فقط، إجراءاتٍ استغرق الآخرون سنوات في تعلّمها. وقضيتُ مع برت أربع ساعات يوميًا في كل قسم، حيث كنتُ أحاول التعرّف على الصورة الكاملة. وعندما انتهينا من كل شيء، لاحظتُ وجود باب لم نتفقّده.

«ماذا يوجد هناك؟»

«الثلاجة والمحرقة». قال، وهو يدفع الباب الثقيل ويضيء الأنوار. «إنّنا نُجمّد العينات لدينا قبل التخلص منها في المحرقة. يساعدنا التحكم في التحلّل على تقليل الروائح». ثمّ التفتَ كي يغادر، لكنني بقيتُ واقفًا هناك للحظة.

«ليس ألغيرنون»، أجبته. «انظر... إذا و... عندما... أعني أنني لا أريد رميه هناك بهذه الطريقة. أعطني إياه، وسوف أهتم بأمره بنفسي». لم يضحك. أومأ برأسه فقط. كان نيمور قد أخبره أنّه بات بإمكاني الآن الحصول على أي شيء أريده.

مثّل الوقت عائقا كبيرا. كان يتعيّن عليّ الشروع بالعمل فورًا إذا كنت سأعثرُ على الإجابات بنفسي. حصلتُ على قوائم كتب من برت، وملاحظات من شتراوس ونيمور، ثمّ وفي طريقي إلى الخارج، واتتني رؤيةٌ غريبة.

«قل لي» سألتُ نيمور. «لقد ألقيتُ لتوّي نظرة على المحرقة الخاصة بكم التي تتخلصون فيها من الحيوانات التجريبية. ما الخُطط التي وضعتها من أجلي؟»

صعَقَه سؤالي. «ماذا تقصد؟»

«أنا متأكد من أنك قد وضعت خططًا لجميع المستلزمات منذ البداية. إذن، ماذا سيحدث لي؟»

وعندما ظلّ صامتًا، قلتُ في إصرار: «لديّ الحق في معرفة كل ما يتعلق بالتجربة. وهذا يشمل مستقبلي».

«ما من سببٍ يمنع معرفتك بالأمر». ثم توقّف وحاول إشعال سيجارةٍ مُشتعلة بالفعل.

«أنت تفهم بالطبع أننا كنا ممتلئين منذ البداية بأعلى الآمال في الاستمرارية، ولا نزال كذلك.. لا نزال بالتأكيد كذلك...»

«أنا متأكد من ذلك» قلت.

«وبالطبع، كان إدخالك في هذه التجربة مسؤولية بالغة الجدية. لا أعرف مقدار ما تتذكّره أو مقدار ما جمعتَه بشأن الأمور التي حدَثت في بداية المشروع، لكننا حاولنا أن نوضّح لك قدر الإمكان بأن هنالك احتماليّة كبيرة في أن يكون الأمر مؤقتا فحسب».

«كنتُ قد دوّنتُ ذلك في تقارير التطور خاصّتي في ذلك الوقت» أجبتُه موافقًا، «مع أنني لم أفهم ما تعنيه بذلك حينها. ولكن هذه نقطة أخرى لأنني مدركٌ الآن للأمر».

«حسنا، قررنا المجازفة بالأمر معك، لأننا شعرنا بأن احتمالية حدوث ضرر خطير لديك ضئيلة للغاية، وكنّا متأكدين من وجود فرصة كبيرة لفعل شيء جيد لك».

«ليس عليك تبرير ذلك».

«لكنك تدرك أنه كان يتعيّن علينا الحصول على إذن شخصٍ ما من عائلتك المباشرة، فقد كنتَ غير مؤهلٍ لإعطاء الموافقة بنفسك».

«أعلم هذا. أنت تتحدث عن شقيقتي نورما. قرأتُ عن الأمر في الصحف. وأتصوّر، ممّا أتذكّره عنها،

أنها قد أعطتك الموافقة على إعدامي».

رفع حاجبيه متعجبا، لكنّه لم يُعلّق على الأمر. «حسنا، وكما أخبرناها، ففي حال فشلت التجربة، فإنه لا يمكننا إعادتك إلى المخبز أو إلى الغرفة التي أتيت منها».

«ولم لا؟»

«من ناحية، قد لا تكونُ نفس الشخص الذي كنتَ عليه. ربما كان للجراحة وعملية حقن الهرمونات آثارٌ لا تظهر عليك على الفور. إضافة إلى احتمالية أن التجارب التي أُجرِيت عليك منذ العملية قد تركت بصمتها عليك. أعني الاضطرابات العاطفية المُحتملة التي ستزيد من تعقيد التخلّف؛ لا يمكن أن تظل نفس الشخص...»

«عظيم. كما لو أنّ صليبا واحدا لا يكفي».

«الأمر الآخر هو أنّه لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كنتَ ستعود لنفس المستوى العقلي الذي كنت فيه. ربما يكون هناك ارتداد إلى مستوى أداءٍ أكثر بدائية».

كان يُزوّدني بأسوأ الاحتمالات لإزاحة ثقل الأمر عن كاهله. «يُفضّل إذن أن أعرف كل شيء بينما لا أزالُ في حالةٍ تسمح لي بإبداء رأي في الموضوع. ما

الخطط التي وضعتها لي؟»

فأجاب بعدم مبالاة: «لقد رتّبت المؤسسة إجراءات إرسالك إلى دار ومدرسة وارين ستيت للتدريب».

«ما الذي تقوله بحق الجحيم!!»

«كان جزءً من الاتفاق الذي عقدناه مع شقيقتك هو أن المؤسسة ستتحمل جميع رسوم الدار، وستحصلُ على دخلٍ شهري منتظم لاستخدامه لاحتياجاتك الشخصية لبقيّة حياتك».

«ولكن لماذا هناك؟ لطالما كنتُ قادرا على تدبير أموري بنفسي في الخارج. فحتى عندما وضعوني هناك، بعد وفاة عمّي هيرمان، كان دونر قادرًا على إخراجي على الفور للعمل والعيش في الخارج. لِمَ إذًا يجب عليّ العودة إلى هناك؟»

«إذا كان بمقدورك الاعتناء بنفسك في الخارج، فلستَ بحاجة إلى المكوث في وارين. يُسمح للحالات الأقل حدّة بالعيش خارج الدار. لكن كان علينا إجراء الترتيبات تحسُّبًا».

كان مُحقًا. ما من شيء يستدعي تذمُّري. لقد فكّروا في كل شيء. كان دار وارين المكان الأنسب؛ الثلاجة التي يمكن وضعي فيها لبقية حياتي.

«على الأقل ليس المحرقة» قلت.

«ماذا؟»

«لا يهمّ. مزحة خاصة.» ثم فكّرتُ في شيءٍ ما. «أخبرني، هل من الممكن زيارة وارين؟ أعني تفقّد المكان وإلقاء نظرة عليه كزائر؟»

«نعم. أعتقد أنّ الناس يذهبون إليه طوال الوقت في جولات منتظمة كنوعٍ من العلاقات العامّة. لكن لماذا؟»

«لأنّني أريد أن أرى. يجب أن أعرف ماذا سيحدث بينما م=لا تزال لديّ قدرة كافية على التحكم الذي يسمح لي بفعل شيء حيال الأمر. حاوِل ترتيب الزيارة في أقرب وقتٍ ممكن».

كان باستطاعتي رؤية مدى انزعاجه من فكرة زيارتي لدار وارين. كما لو أنني كنت أشتري تابوتي للجلوس فيه قبل أن أموت. ولكن لا يمكنني لومه، لأنه لا يدرك أن اكتشافي لماهيتي الحقيقية؛ اكتشافي لمعنى وجودي بأكمله، يتضمن معرفة احتمالات مستقبلي، إلى جانب ماضيّ؛ إلى أين سأمضي، وكذلك أين كنت. وعلى الرغم من كوننا نعلم أن نهاية المتاهة تحمل الموت (وهو أمر لم أكن أعرفه دائما؛ فحتى وقتٍ ليس ببعيد، كان الصبي في داخلي يظنّ أن الموت أمرٌ يحدث للآخرين فقط)، فإنني أرى الآن أن الطريق الذي أختارُ سلوكه عبر

تلك المتاهة، يشكّل ماهيّتي ويجعلني ما أنا عليه. أنا لست مجرّد شيء، بل أسلوب وجود -أحد عدة أساليب-، ومعرفة الدروب التي سلكْتها، وتلك التي لا تزال أمامي، ستساعدني في فهم ما أصبحتُ عليه.

وفي تلك الليلة، وفي الأيام القليلة التي تلتها، غمستُ نفسي في متون علم النفس: السريرية والشخصية والقياسات النفسية والتعلم وعلم النفس التجريبي وعلم نفس الحيوان وعلم النفس الفسيولوجي والسلوكي والشيخوخة والتحليلي والوظيفي والديناميكي والعضوي، وجميع بقية الفئات والمدارس وأنظمة الفكر، قديمها وحديثها. المحبط في الأمر أن الكثير من الأفكار التي يبني عليها علماء النفس لدينا معتقداهم بشأن الذكاء البشري والذاكرة والتعلم هي محضُ أُمنيات.

تريد فاي النزول وزيارة المعمل، لكنّني أخبرتها ألا تفعل ذلك. كل ما ينقصني الآن أن تواجه فاي وأليس بعضهما البعض. لدي ما يكفي من الأمور لأقلق بشأنها دون حدوث ذلك.

تقرير تطور ١٦

١٤ يوليو- اخترتُ يومًا سيئًا للذهاب إلى دار وارين -كان كئيبًا ورطبا- وربما يفسر ذلك الاكتئاب الذي يسيطر عليّ عندما أفكّر فيه. وربّما أخدع نفسي فحسب، وفكرة إرسالي إلى هناك هي ما تزعجني حقًا. استعرتُ سيّارة برت. أرادت أليس أن تأتي معي، لكن كان عليّ رؤيته بمفردي. لم أخبر فاي أنّني ذاهب إليه.

استغرقت القيادة مدة ساعة ونصف حتى مجتمع الأراضي الزراعية في وارين بلونغ آيلاند، ولم أجد صعوبة في العثور على المكان: عقار رمادي مترامي الأطراف لم يُكشف عنه للعالم إلا عن طريق مدخلٍ بعمودين خرسانيين يحيطان بطريق جانبيّ ضيّق، وصفيحة نحاسية مصقولة على نحو جيد، مكتوب عليها: دار ومدرسة وارين ستيت للتدريب.

كان مكتوبا على لافتة الطريق الجانبي ١٥ ميلا في الساعة، لذا قدت السيارة ببطء، مرورًا بكُتل المباني، حيث كنت أبحث عن المكاتب الإدارية.

صادفتُ جرارًا في المرج، وبالإضافة إلى الرجل الذي يقوده، كان هنالك رجلان آخران متشبّثان بالجهة الخلفية منه. أخرجتُ رأسي وصحتُ قائلا: «هل يمكن أن تخبروني بمكان مكتب السيد

وينسلو؟»

أوقف السائقُ الجرّار، وأشار إلى اليسار وإلى الأمام. «المســتشفى الرئيسـي. انعطـف يسـارًا ثـم اتجـه يمينك».

لم يكن بوسعي إغفال الصبي المحدّق الذي يركب في مؤخرة الجرّار، متشبثا بحافّته. كان غير حليق، وعلى مُحيّاه أثر ابتسامةٍ فارغة. كان يرتدي قبّعة بحار، وقد أنزل حافتها بطريقة صبيانية لتغطية عينيه، على الرغم من عدم وجود شمس. لمحتُ نظرته الخاطفة لوهلة -عيناه واسعتان، مليئتان بالتساؤلات- لكن كان عليّ الإشاحة بنظري. وعندما بدأ الجرّار بالسير من جديد، رأيته في مرآة الرؤية الخلفيـة وهـو يتبعُنـي بنظراتـه، يملـؤه الفضـول. أشعرني ذلك بالانزعاج... لأنه ذكّرني بتشارلي.

دُهشتُ عندما وجدّت رئيس علماء النفس شابًا يافعا، طويل القامة، ونحيلًا، وتعلو وجهه نظرةٌ مُتعبة. لكن عينيه الزرقاوين الرصينتين أوحَتا بوجود قوّة وراء هذا المظهر الشبابيّ.

أخذني بسيّارته وقاد بي عبر الأراضي، وأشار إلى قاعة الترفيه، والمستشفى، والمدرسة، والمكاتب الإداريّة، والمباني ذات الطابقين المبنيّة من الطوب الأحمر، والتي سمّاها بالأكواخ التي يعيش فيها

المرضى.

قلت له: «لمَ ألحَظ وجود سور حول وارين».

«كلا. مجرد بوابة عند المدخل والسياجات النباتية لمنع الأعين الفضولية».

«ولكن كيف يمكنك... منعهم... من التجول بعيدًا... من مغادرة المباني؟»

هزّ كتفيه وأجاب بابتسامة: «في الواقع، لا يمكننا ذلك. البعض منهم يتجول بعيدا بالفعل، لكن معظمهم يعودون».

«ألا تلحقون بهم؟»

نظر إليّ كما لو كان يحاول تخمين ما وراء سؤال. «كلا. إذا وقعوا في مشكلة فسرعان ما سنعرف ذلك من الناس في المدينة، أو عندما تعيدهم إلينا الشرطة».

«وإذا لم يقعوا؟»

«إذا لم نسمع عنهم، أو منهم، فنحن نفترض أنهم استطاعوا التأقلم في الخارج على نحوٍ يرضيهم. عليك أن تفهم يا سيّد جوردن بأن هذا ليس سجنا. نحن مطالبون من الدولة ببذل كل الجهود الممكنة لإعادة مرضانا، لكننا نفتقر إلى التجهيزات اللازمة

للإشراف الدقيق على أربعة آلاف شخص طوال الوقت. كما أن أولئك الذين يتمكنون من المغادرة يكونون من الأنواع الرفيعة من الحمقى، ليس وكأنّنا نجني الكثير من ورائهم. نحن نحصل الآن على المزيد من وراء الحالات المصابة بتلفٍ في الدماغ، والتي تحتاج إلى عناية وصائيّة مستمرة، لكن يمكن للأنواع الرفيعة من الحمقى التجول بحرية أكبر، وبعد أسبوع أو نحوه من وجودهم في الخارج، فإنهم يعودون بعدما يكتشفون عدم وجود شيء من أجلهم هناك. إن العالم يلفظهم، وسريعًا ما يعرفون ذلك».

ثم ترجّلنا من السيارة وذهبنا إلى أحد الأكواخ مشيا على الأقدام. وفي الداخل، كانت الجدران مكونة من بلاطٍ أبيض، وكان للمبنى رائحةُ مواد مُطهّرة. كانت ردهة الطابق الأول مفتوحة على غرفة ترفيه مليئة بنحو خمسة وسبعين صبيا يجلسون في انتظار أن يُقرع جرس الغداء.

ما لفت انتباهي على الفور هو أحد الصبية الأكبر سنا الذي كان يجلس على كرسيٍّ في الزاوية، ويهزّ صبيا يبلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة بين يديه كطفلٍ صغير. عندما دخلنا، التفتوا نحونا جميعا لينظروا إلينا، بينما قَدِم بعضهم ممّن يتحلّون بشجاعة أكبر إليّ، وحدّقوا في وجهي.

«لا تشغل بالك بهم» قال، حينما رأى تعبيري. «فهم لن يؤذوك».

ثم جاءت إلينا المرأة المسؤولة عن الطابق، وهي امرأة وسيمة ضخمة، بأكمام قميص مرفوعة، ومئزرٍ من الجينز ترتديه فوق تنورتها البيضاء المنْشّاة. وفي حزامها، كانت هنالك حلقة من المفاتيح المعلقة التي تُصلصل مع تحرّكها، وعندما التفَتت، لاحظتُ الوحمة الكبيرة بلون النبيذ التي تغطي الجانب الأيسر من وجهها، والتي لم أرها مباشرة.

«لم نكن نتوقّع قدوم ضيوف اليوم يا راي» قالت، «فعادةً ما تحضرُ الزائرين يوم الخميس».

«هذا هو السيد جوردن من جامعة بيكمان يا ثيلما. إنه يريد إلقاء نظرة وأخذ فكرة عن العمل الذي نقوم به هنا فحسب. كنتُ أعلم أن هذا الأمر لن يشكّل فارقا بالنسبة لكِ يا ثيلما، فكل الأيّام مناسبة بالنسبة لك».

«نعم» وأطلقت ضحكة قوية، «لكنّنا نقلبُ المراتب أيّام الأربعاء. تكون الرائحة هنا أفضل بكثير في أيام الخميس».

لاحظتُ أنها ظلّت واقفة إلى يساري كي تُبقي البقعة على وجهها مخفيّة. أخذتني عبر المهجع وغرف الغسيل والإمداد وقاعة الطعام، والآن، نجلس في

انتظار وصول الطعام من مخزن المؤن الرئيسي. ابتسمت وهي تتحدث، وقد جعلتها تعابير وجهها، والشعر المجموع في كعكة عالية على رأسها، تبدو كما لو أنها راقصة من إحدى لوحات لوتريك لكنها لم تنظر إليّ مباشرةً قطّ. تساءلتُ عمّا سيكون عليه الأمر في حالِ عشتُ هنا، واعتنت هي بي.

«إنهم بارعون جدا هنا في هذا المبنى» قالت. «لكنك تعرف الحال. ثلاثمئة صبي؛ خمسةٌ وسبعون في كل طابق، وخمسة منّا فقط لرعايتهم. إن إبقاءهم تحت السيطرة ليس بالعمل السهل. لكن الحال هنا أفضل بكثير ممّا هو عليه في الأكواخ غير المُنظّمة، والموظفون هناك لا يدومون طويلًا. أنت لا تمانع كثيرا القيام بهذا العمل للأطفال، لكن عندما يصبحون بالغين ولا يزالون غير قادرين على الاهتمام بأنفسهم، يصبح الأمر حينها فوضويا على نحوٍ مُقرِف».

«تبدين كشخصٍ لطيف للغاية» قلت. «ومن حسنِ حظّ الصِّبية أنكِ مشرفة الدار الخاصة بهم».

ضحكت بحرارة، بينما كانت لا تزال تنظر نحو الأمام، وكشفت عن أسنانِها البيضاء. «مثلي مثل البقية، لا أفضل ولا أسوأ منهم. أنا مُغرمة جدا بأولادي. ما أقوم به ليس سهلا، لكنّه عملٌ مُجزٍ عندما تفكر في مدى حاجتهم إليك». ثمّ تلاشت

ابتسامتها لوهلة. «إن الأطفال العاديين يكبرون بسرعة، ولا يعودون بحاجةٍ إليك... ينطلقون في حياتهم بمفردهم... ينسون من أحبّهم ورعاهم. لكن هؤلاء الأطفال بحاجة إلى كل ما يمكنك تقديمه لهم، طوال حياتهم». ثم ضحكت من جديد، ضحكة تُعبر عن حرجها من مدى جدّيتها. «العمل هنا شاق، لكنّه يستحق العناء».

وبالعودة إلى الطابق السفلي، حيث كان وينسلو في انتظارنا، قُرِع جرسُ العشاء، وامتلئت غرفة الطعام بالفتيان. لاحظتُ أن ذلك الفتى الكبير الذي كان يحتضن الصبي الأصغر كان يمسك الآن بيده ليقوده إلى الطاولة.

«يا له من أمرٍ مذهل» قلت، وأنا أومئ باتجاههما.

ووينسلو أومأ كذلك. «جيري هو الشخص الأكبر، أما الآخر فيدعى دستي. إننا نرى مثل هذا النوع من التصرفات هنا. عندما لا يكون هناك شخص آخر يملك الوقت الكافي من أجلهم، يكون لديهم أحيانا ما يكفي من المعرفة للبحث عن التواصل البشري والعاطفة عند بعضهم البعض».

وعندما مررنا بأحد الأكواخ الأخرى ونحن في طريقنا إلى المدرسة، سمعتُ صرخةً متبوعةً بنحيب، التقطه وردّد صداه صوتين أو ثلاثة أصوات أخرى.

كانت هنالك قضبان على النوافذ.

بدت على وينسلو علامات الانزعاج للمرة الأولى خلال ذلك الصباح. «كوخ بتدابير أمنية خاصة» قال، محاولًا التوضيح. «متخلّفون مضطربون عاطفيا. إنهم يوقعون الأذى بأنفسهم أو بالآخرين بمجرد أن تسنح لهم الفرصة. نضعهم في كوخ ك حيث يظلّون حبيسين فيه طوال الوقت».

«يوجد هنا مرضى مضطربون عاطفيا؟ ألا ينتمون إلى مستشفيات الأمراض النفسية؟»

أوه، بالتأكيد. لكن هذا أمر يصعب السيطرة عليه. فبعضهم، من الشخصيات الحدّية المضطربة عاطفيًا، لا ينهارون إلا بعد تواجدهم هنا لفترة. بينما هناك آخرون ألزمتهم المحاكم بالدخول إلى هنا، ولم يكن أمامنا خيار سوى السماح بدخولهم على الرغم من عدم وجود مكان لهم. تكمن المشكلة الحقيقية في أنه لا يوجد لدينا أي مكان لأي شخص. هل تعرف عدد الموجودين على قائمة الانتظار لدينا؟ ألف وأربعمائة شخص. وربما يكون لدينا مكان لخمسة وعشرين إلى ثلاثين شخصا منهم بحلول نهاية العام».

«وأين أولئك الألف وأربعمائة شخص حاليًا؟»

«منازلهم. في الخارج، بانتظار إتاحة مكان هنا أو

في منشأة أخرى. كما ترى، فمشكلة المساحة لدينا ليست كمشكلة الاكتظاظ الاعتيادية التي تحدث في المستشفيات، إذ عادةً ما يأتي مرضانا ليمكثوا هنا بقية حياتهم».

ومع وصولنا إلى المبنى الدراسي الجديد، وهو هيكل خرساني زجاجيّ بطابق واحد ونوافذ كبيرة، حاولتُ تخيّل ما سيكون عليه الحال وأنا أمشي عبر هذه الممرات كمريض. تصوّرتُ نفسي وسط طابورٍ من الرجال والصبية الذين ينتظرون دخول الصف الدراسيّ. ربمّا سأكون أحد أولئك الفتيان الذين يدفعون صبيا آخر في كرسيٍّ متحرك أو يقودون شخصا آخر من خلال الإمساك بيده أو أضمٌّ صبيًّا آخر بين ذراعيّ.

وفي أحد الفصول الدراسية لأعمال النجارة، حيث كانت مجموعة من الفتيان الأكبر يصنعون مقاعد تحت إشراف معلّم، اجتمعوا حولنا، يتفحّصونني بفضول. وضع المعلم المنشار جانبا، وقَدِم إلينا.

«هذا هو السيد جوردن من جامعة بيكمان» قال وينسلو. «إنه يرغب بتفقّد بعض المرضى لدينا، فهو يفكّر بشراء المكان».

ضـحك المعـلّم ولـوّح لتلاميـذه. «حسـنا، إ-إذا اش-شترى المكان، فيجب ع-عليه أخذنا م-معه.

وي-يجب عليه أ-أيضا ت-توفير المزيد من الخ-خشب لنع-عمل به».

وبينما كان يأخذنا في جولة في أرجاء الورشة، لاحظتُ أن الفتيان كانوا هادئين على نحوٍ غريب. لقد استمروا في أعمالهم بصقل المقاعد المصنوعة حديثًا أو تلميعها بالورنيش، لكنّهم لم يتحدّثوا. «ه-هؤلاء هم أ-أولادي الص-صامتين، كما تعلم» قال، وكأنه أحسّ بتساؤلي الخفيّ. «من الص-صم والب-بكم».

«لـدينا مئـة وستة شخص منهم هنـا»، أوضح وينســلو، «كدراسـةٍ خاصـة ترعـاها الحكومـة الفيدرالية».

يا له من أمرٍ مُدهش! كم كان نصيبهم أقل من نصيب بقية البشر، متخلفون عقليا، وصم، وبكم، ومع ذلك، لا يزالون يصقلون المقاعد بشغف.

توقّف أحد الصبية الذين كانوا يشدّون كتلة من الخشب باستخدام مِلزمَة عمّا كان يفعله، وربت على ذراع وينسلو، وأشار إلى الزاوية التي كانت تحمل رفوف العرض فيها عدداً من الأشياء المكتملة والتي بانتظار أن تجفّ. أشار الصبي إلى قاعدة مصباح على الرف الثاني، ثم إلى نفسه. كانت عملا غير متقن، وغير مستقر، ورُقَع حشوات الخشب

ظاهرة للعيان، كما كان الورنيش ثقيلا وغير متساو. امتدح كل من وينسلو والمعلّم عمل الصبي بحماس شديد، فارتسمت على وجهه ابتسامة فخورة، ثم التفت نحوي، في انتظار مديحي أيضًا.

«نعم» أومأتُ برأسي، وصدحتُ بالكلمات على نحو مبالغٍ فيه، «رائع جدا... ممتاز جدا». قلتُ ما قلته لأنه كان بحاجة إليه، لكنّني شعرتُ بالخواء. ابتسم لي الصبي، وعندما التفتنا كي نغادر، قدِم إليّ ولمَسَ ذراعي كطريقة لتوديعي. حينها خنقتني العبرة ولم أستطع السيطرة على مشاعري حتى خرجنا إلى الممرّ مرةً أخرى.

كانت مديرة المدرسة سيّدة قصيرة ممتلئة الجسم وأموميّة، وقد جعلتني أجلس أمام مُخطّط مكتوب بعناية وترتيب. كان ذلك المخطّط يبيّن الأنواع المختلفة للمرضى، وعدد أعضاء هيئة التدريس المُعيّنين لكل فئة، والموضوعات التي يَدرسونها.

وأردفت موضّحة: «بالطبع، لم نعد نحصل على عدد كبير من أصحاب معدّلات الذكاء الأعلى. إنهم يحصلون على الرعاية المناسبة -أصحاب معدلات الذكاء الستين أو السبعين- أكثر وأكثر في مدارس المدينة في فصول خاصة، وإما تكون هناك مرافق مجتمعية خاصة للعناية بهم. معظم الذين يأتون إلينا يكونون قادرين على العيش في الخارج، في

بـيوت الرعايـة أو فـي المنـازل الـداخلية، كمـا يستطيعون أداء الأعمال البسيطة في المزارع أو المهام السهلة في المصانع أو المغاسل...»

«أو المخابز» قلتُ مُقترحا.

قطّبت جبينها، ثمّ علّقت: «نعم، أظنّ أنّه قد يكون بمقدورهم فعل ذلك». والآن، أصبحنا أيضا نُصنّف أطفالنا (أدعوهم أطفالا بغض النظر عن أعمارهم، فجميعهم أطفال هنا)، نصنّفهم إما مُنظمين أو غير منظّمين. إن إبقاءهم ضمن حدود مستوياتهم يسـهّل مـن عمليـة إدارة أكواخـهم. هنـاك بعـض الحالات غير المُنظّمة التي تعاني من تلفٍ شديد في الدماغ، والتي نبقيها في أسِرّةٍ للأطفال، وسيحصلون على الرعاية بهذه الطريقة لبقية حياتهم...»

«أو حتى يكتشف العلم طريقةً لمساعدتهم».

«أوه» ابتسمت، وأوضحت لي بعناية، «أخشى أنه قد فات الأوان لمساعدة هؤلاء.»

«لم يفُت الأوان لمساعدة أي أحد».

أنعمت النظر فيّ، وأصبحت نظراتها الآن متشكّكة. «نعم، نعم، بالطبع. أنت مُحقّ. يجب أن نتحلّى بالأمل».

لقد جعلتُها متوتّرة. ابتسمتُ في داخلي لفكرة عمّا

سيكون عليه الوضع في حال أعادوني إلى هنا كأحد أطفالها. هل سأكونُ مُنظّما أم غير مُنظّم؟

عدنا إلى مكتب وينسلو، وتناولنا القهوة بينما كان يتحدّث عن عمله. «إنه مكان جيّد. ليس لدينا أطباء نفسيّون في فريق العمل لدينا، مجرد رجل استشاري خارجي يأتي مرة واحدة كل أسبوعين. لكن الأمور لا تزال على خير ما يرام هكذا. فكل شخص من طاقم العاملين في المجال النفسي مخلص لعمله. كان بمقدوري تعيين طبيب نفسي، لكن بالسعر الذي سيتعين دفعه، سأكون قادرا على تعيين عالمي نفس، أشخاص لا تخشى التخلي عن جزء من أنفسها لهؤلاء الناس».

«ماذا تقصد بـ (جزء من أنفسها)؟»

تفحّصني لفترة، ثمّ وعبر الإرهاق، لمَعَ شعورٌ بالغضب. «هناك الكثير من الأشخاص الذين سيقدمون المال أو المواد، لكن قلة قليلة فقط هي من ستكون على استعداد لتقديم الوقت والعاطفة. هذا ما أعنيه».

ثمّ ارتفعت حدة نبرة صوته، وأشار إلى قنّينة رضاعة فارغة على رفٍّ للكتب في الجانب الآخر من الغرفة. «أترى تلك القنّينة؟»

أخبرتُه أنّها كانت قد أثارت تساؤلي عندما دخلنا إلى

مكتبه.

«حسنا، كم عدد الأشخاص الذين تعرف أنهم سيكونون على استعداد لأخذ رجل بالغ في أحضانهم والسماح له بالرضاعة من الزجاجة؟ والمجازفة باحتمالية تبوّل المريض وتغوّطه عليه؟ تبدو متفاجئا. لا يمكنك فهم الأمر، أليس كذلك، من موقعك العالي هناك في برج البحوث العاجيّ الذي أتيت منه؟ ما الذي تعرفه عن التعرّض للإقصاء من كل تجربة إنسانية كما هو حال مرضانا؟»

لم أستطع كبح ابتسامةٍ ارتسمت على وجهي، ويبدو أنه أساء فهمي لأنه نهض وأنهى الحديث فجأة. إذا عدّتُ إلى هنا لأمكث بقية حياتي، وعندما يعرف القصة بالكامل، فسوف يتفهم الأمر. متأكّدٌ من ذلك. إنه من نوع الأشخاص الذين سيتفهّمون.

وبينما كنت أقود السيارة خارج دار وارين، لم أكن أعرف في ماذا يجب أن أفكّر. كان الشعور الرّمادي البارد مُخيّما على كل شيء حولي؛ شعور بالتنازل والاستسلام. لم يكن هنالك حديث عن التأهيل، أو العلاج، أو إعادة أولئك الأشخاص إلى العام الخارجي يوما ما. لم يتحدّث أحدٌ عن الأمل. كان الشعور هو الموت على قيد الحياة، أو ما هو أسوأ؛ شعور أنك لم تكن على قيد الحياة تماما، وإدراكُك

لــذلك. أرواحٌ ذَوَت منــذ البــداية، وحُكِم عليــها بالتحديق في الزمان والمكان كلّ يوم.

خــالجتني تســاؤلات عــن والـدة المـنزل، بوجـهها المُظلّل باللون الأحمر، ومدرس الورشة المُتأتئ، والمديرة الأمومية، والعالِم النفسي الشاب ذي النظرة المُتعَبة، وتمنّيتُ لو كنتُ أعرف كيف وجدوا طريقهم جميعا إلى هنا للعمل وتكريس أنفسهم لهذه العقول الصامتة. وكذلك الفتى الذي حمل الصبي الأصغر بين ذراعيه، وجد كل واحد منهم شعورا بالرضا والتحقيق الذاتي في منح جزء من أنفسهم لأولئك الذين حظوا بنصيبٍ أقل.

وماذا عن الأشياء التي لم يُطلعوني عليها؟

ربما آتي قريبًا إلى وارين، لقضاء بقية حياتي مع الآخرين... في انتظار.

١٥ يوليو- إنني أؤجل زيارة والدتي. أريد، ولا أريد أن أراها. ليس قبل أن أتأكد من مصيري. لنرى أولا كيف سيسير العمل، وما الذي سأكتشفه.

أصبح ألغيرنون يرفض الركض في المتاهة، لقد انخفض الدافع العام. عرجتُ عليه مرة أخرى اليوم لرؤيته، وهذه المرة، كان شتراوس موجودا. بدت عليــه وعلــى نــيمور علامـات الانزعـاج بينمـا كـانا يشاهدان برت وهو يطعمه بالقوة. يا له من أمرٍ

غريب؛ رؤية تلك الكتلة البيضاء الضئيلة مُقيّدة إلى طاولة العمل، بينما يجبره برت على إدخال الطعام في حلقه بواسطة قطّارةٍ للعين.

إذا استمر الأمر على هذا المنوال، فسيتعيّن عليهم البدء في إطعامه عن طريق الحقن. إنّ مشاهدة ألغيرنون ظهر اليوم وهو يتلوّى تحت تلك القيود الصغيرة جعلتني أستشعرها حول ذراعيّ وقدميّ، ثم بدأت أشعر بالكتمة والاختناق، فاضطررتُ إلى الخروج من المختبر للحصول على بعض الهواء النقي. عليّ التوقف عن التماهي معه.

ذهبتُ إلى حانة موراي واحتسيتُ بعض الشراب. ثم اتصلتُ بفاي وأجرينا جولات الشراب. تشعر فاي بالانزعاج لأنني لم أعد أخرج معها للرقص سوية، وقد غضبت مني ليلة البارحة ورحلت من عندي. إنها لا تملك أدنى فكرة عن عملي ولا تجده مثيرا لاهتمامها، وعندما أحاول التحدث معها عنه، فإنها لا تبذل أيّ مجهود في محاولة إخفاء شعورها بالملل. إنها لا تعبأ وحسب، ولا يمكنني لومها. إن اهتماماتها محصورة في ثلاثة أشياء فقط حسب ما أرى: الرقص والرسم والجنس. والشيء الوحيد المُشترك بيننا حقا هو الجنس. يا لحماقتي عندما حاولتُ أن أجعلها تهتمّ بعملي. لذا فهي تذهب للرقص من دوني. لقد أخبرتني بحلمٍ راودَها في

إحدى الليالي، وهو أنّها ذهبت إلى شقّتي وأضرمت النيران في كُتبي وملاحظاتي، ومن ثم أخذنا نرقص حول اللهب. يجب أن أحترس. لقد بدأت تصبح تملُّكِيّة. أدركتُ الليلة فجأة أن شقّتي بدأت تبدو مثل شقتها، فوضوية. عليّ التقليل من الشراب.

١٦ يوليو- التقت أليس بفاي الليلة الماضية. كنتُ قلقًا بشأن ما سيحدث إذا تقابلتا وجهًا لوجه. جاءت أليس لزيارتي بعدما علمت بخبر ألغيرنون من برت. إنـها تعـرف مـا قـد يعنيـه هـذا، ولا تزالُ تشـعر بالمسؤولية لكونها قد حثّتني على ذلك في المقام الأول.

شربنا القهوة وتحدثنا حتى وقتٍ مُتأخّر. كنتُ أعلم أن فاي قد خرجت للرقص في قاعة ستاردست، لذا لم أكن أتوقع قدومها مبكرا. لكن عند قرابة الساعة الثانية إلا ربع بعد منتصف الليل، أجفَلنا ظهور فاي المُفاجئ عند سلم الطوارئ. لقد قرعت، ودفعت النافذة التي كانت مواربة لتفتحها بالكامل، ثم دخلت الغرفة وهي ترقص الفالس، وبيدها قنّينة.

«أقتحمُ الحفلة» قالت. «أحضرتُ مشروباتي معي».

كنتُ قد أخبرتها بشأن أليس وأنها تعمل معي على المشروع في الجامعة، كما سبق وأخبرت أليس بأمر فاي، لذا لم تبدُ عليهما المفاجئة من اللقاء. لكن

بعد عدة لحظات من تفحّص بعضهما البعض، شرعتا في التحدث عن الفن وعنّي، ولم تأبها البتة بوجودي.

لقد أُعجِبتا ببعضهما البعض.

«سأحضرُ القهوة» قلت، ونهضّتُ أحوم ناحية المطبخ لأدعهما بمفردهما.

وعنـدما عُدت، كـانت فـاي قـد خلعـت حـذائها وجلست على الأرض؛ ترتشفُ الجِنّ من قنينتها. كانت تشرحُ لأليس أنه على حد علمها فإنه ما من علاج أكثر قيمة لجسد الإنسان من التشمُّس، وأن مستعمرات العُراة كانت هي الحل لمشكلات العالم الأخلاقيّة.

كانت أليس تضحك بشكل هستيري على اقتراح فاي بأن ننضم جميعًا إلى مستعمرة العراة، ثم انحنت وقَبِلَت مشروبا سكبته لها فاي. جلسنا وتحدّثنا حتى بزوغ الفجر، وأصررتُ على توصيل أليس إلى منزلها. وعندما اعترضت وقالت إنّ ذلك لم يكن ضروريا، أصرّت فاي على أنها ستكون مُغفّلة إذا خرجت بمفردها في المدينة في مثل هذه الساعة. لذا نزلتُ معها وأوقفتُ سيّارة أجرة. «يوجد شيء ما مميزٌ بشأنها،» قالت أليس، ونحن في طريقنا إلى منزلها. «لا أدري مـا هــو، ربمـا تكـون صـراحتها، ثقتـها

المُعلَنة، عدم أنانيّتها...»
وافقتُها على ما قالت.

«كما أنها تُحبّك» قالت أليس.

«كلا، إنها تحب الجميع» قلت بإصرار. «ما أنا إلا الجار الذي يسكن في الجهة المقابلة من الردهة».

«ألستَ واقعا في حُبّها؟»

هززت رأسي. «أنتِ المرأة الوحيدة التي أحببتها قطّ».

«دعنا لا نتحدّث عن ذلك».

«إذن فقد قطعتِ عنّي مصدرًا مُهمًّا للمحادثة».

«ما يُقلقني هو أمر واحد يا تشارلي. الشرب. لقد سمعت عن بعض تلك الأيام التي عانيت فيها من آثار الثمالة».

«أخبري برت أن يقصر ملاحظاته وتقاريره على البيانات التجريبية فحسب. لن أسمح له بأن يشحنكِ ضدّي. يمكنني التحكم بالمشروبات».

«سبق وأن سمعتُ هذا الكلام».

«ليس منّي».

«هذا هو الشيء الوحيد الذي أعارِضها فيه» قالت

ألـيس. «لقـد دفعَتـك للشـرب، كمـا أنـها تُعرقـل عملك».

telegram @tea_sugar

«يمكنني التعامل مع هذا أيضا».

«هذا العمل مهمٌّ الآن يا تشارلي. ليس للعالم ولملايين الأشخاص غير المعروفين فحسب، بل ولك أنت أيضا. يجب عليك حل إيجاد حل لهذه المشكلة أيضًا يا تشارلي. لا تدع أحدًا يُقيّدك».

«ها قد ظهرت الحقيقة إذن» قلت، محاولا إغاظتها. «تريدينني أن أُقلل من لقائي بها».

«لا تقوّلني ما لم أقل».

«هذا ما كنتِ تقصدينه. إذا كانت تعرقل عملي فكلانا نعلم أنه سيتعين عليّ إخراجها من حياتي».

«كلا، لا أعتقد أنه يجب عليك إخراجها من حياتك. إنها جيدة بالنسبة لك. أنت بحاجة إلى امرأة تكون موجودة في حياتك بقدر وجودها».

«أنتِ ستكونين جيدة بالنسبة لي».

أشاحت بوجهها بعيدا. «ليس بنفس طريقتها» ثمّ عـاودت النظـر إلـيّ. «أتيتُ هنـا الليلـة وأنـا علـى استعدادٍ لكُرهِها. لقد أردّتُ أن أراها كعاهرة غبية شـريرة، وكـانت لـدي مخطّطـات كبـيرة تتضـمّن

تحتاجني بها، وقد جعل عيشنا بالقرب من بعضنا البعض الأمر سهلا وحسب، هذا كل ما في الأمر. لكن لم أكن لأطلق عليه حبّا، فهو ليس بنفس الشيء الموجود بيننا».

خفضت ناظريها إلى يدها وقطّبت جبينها. «لست متأكدة من أنّني أعرف ماهيّة الشيء الموجود بيننا».

«شيءٌ عميق ومهم جدا لدرجة أن تشارلي الذي بداخلي يصاب بالذعر كلما بدا له أن هنالك فرصة لممارسة الحب معكِ».
«وليس معها؟»

هززتُ كتفي. «هذا ما يجعلني أعلم أن ما بيني وبينها ليس بتلك الأهمية. إنه لا يحمل ما يكفي من المعنى ليجعل تشارلي يشعر بالذعر».

«رائع!» وضحكت. «ويا له من أمر مثير للسخرية؛ لكن عندما تتحدث عنه بهذه الطريقة، فإنني أكرهه لكونه يحول بيننا. هل تظن أنه قد يسمح لك... لنا...قط....»

«لا أدري. أتمنى ذلك».

تركتُها عند الباب. ثم تصافحنا، لكن الغريب أن المصافحة كانت أكثر حميمية مما يمكن أن يكون عليه العناق.

عدّتُ إلى المنزل ومارست الحب مع فاي، لكن ذهني كان مُنشغلًا بالتفكير في أليس.

٢٧ يوليو- إنّني أعمل على مدار الساعة. وعلى الرغم من اعتراض فاي، إلا أنني نقلتُ سريرا إلى المختبر. لقد أصبحَت مُتملّكة وغيورة للغاية ومستاءة من عملي. أعتقد أنها يمكن أن تتسامح مع وجود امرأة أخرى، لكن ليس مع هذا الانغماس الكامل في شيءٍ لا يمُكنها فهمه. كنتُ أخشى أن تصل الأمور إلى هذا الحد، لكنني ضقت بها ذرعًا الآن. بتّ أشعر بالغيرة من كل لحظة تُبعدني عن العمل، غير صبور تجاه أي شخص يحاول سرقة وقتي.

وعلى الرغم من أنني أقضي معظم وقتي المخصص للكتابة في كتابة ملاحظات أحتفظ بها في ملفٍّ مُنفصل، إلا أنّه يتعيّن عليّ من وقت لآخر كتابة أمزجتي وأفكاري بحكم العادة لا أكثر.

إن حساب الذكاء دراسة مذهلة بحق. وبمعنى ما، فإن هذه هي المشكلة التي كانت تؤرقني طوال حياتي. إن هذا هو المكان الذي يمكنني أن أُطبّق فيه كل المعرفة التي اكتسبتُها.

بات الزمن يحتمل بُعدًا آخر الآن، العمل والانهماك في البحث عن إجابة. يبدو العالم من حولي ومن حول ماضِيّ بعيدًا ومشوَّهًا، كما لو أن الزمان

والمكان كانا حلوى طُوفي يجري تغيير شكلها من خـلال مطّهـا وعقـدها وبرمـها. الأشـياء الحقيقيـة الوحيدة هي الأقفاص والفئران ومعدات المختبر الموجودة هنا في الطابق الرابع من المبنى الرئيسي.

لا يوجد ليل أو نهار. عليّ التهام ما يساوي عمرًا بأكمله من الأبحاث في غضون بضعة أسابيع. أعلم أنه عليّ أخذُ قسطٍ من الراحة، لكن لا أستطيع ذلك حتى أعرف حقيقة ما يحدث.

أليس تقدم لي الكثير من المساعدة الآن. إنها تُحضر لي الشطائر والقهوة، لكنها لا تبدي أيّة مطالب.

أما بالنسبة لإدراكي، فكل شيء حاد وجليّ، وكل إحساس يتضاعف ويُضيء حتى إنّ ألوان الأحمر والأصفر والأزرق تشتعل توهّجا. للنوم هنا تأثيرٌ غريب. إن روائح حيوانات المختبر والكلاب والقرود تعيد إدخالي لدوامة من الذكريات، ومن الصعب معرفة ما إذا كنتُ أختبر مشاعر جديدة أم أنني أستدعي الماضي. يستحيل تمييز القدْر الذي يمكن اعتباره ذكرى من ذلك الحاضر هنا والآن، لذا يتكوّن مزيـج غـريب مـن الـذاكرة والـواقع، مـن الماضـي والحاضر، من الاستجابة للمُحفّزات المُخزّنة في مراكز ذهني، والاستجابة للمحفزات الموجودة في هذه الغرفة. لكأنّ كل ما تعلمته قد انصهر وتحوّل

إلى عالم بلّوري يدور أمام ناظريّ كي أتمكن من رؤية كل جوانبه المنعكسة في رشقات بهيّة من الضوء.

قردٌ يجلس وسط قفصه، يحدّق في وجهي بعينين ناعستين، ويفرك خدّيه بيدين مُسِنّتين صغيرتين. تشيبي... تشيبي... تشيييبي... ويتقافز على الأسلاك الحديدية للقفص، فَيَصِل إلى الأرجوحة المُعلّقة في الأعلى حيث تجلس بقيّة القرود مُحدّقة ببلاهة في الفضاء. يتبول، ويتغوط، ويُخرج الرّيح، ويُحدّق في وجهي ويضحك. تشيبي.. تشيبي.. تشييبي..

يثِبُ في الأرجاء، ويقفز، وينطّ صعودًا وهبوطا، يتأرجح ويحاول الإمساك بذيل القرد الآخر، لكن القرد الموجود على القضيب يستمرّ في تأرجحه، دون كللٍ أو ملل، بعيدًا عن متناول يده. قردٌ لطيف... قردٌ جميل... بعنين واسعتين وذيلٍ حفّاف. هـل أستطيع إطعامه حبّة فولٍ سودانيّ؟ كلا. سيصيح الرجل. مكتوبٌ على هذه اللافتة لا تُطعم الحيوانات. هذا شمبانزي. هل أستطيع أن أربت عليه؟ كلا. أريد أن أربت على اشيبازي. لا عليك، تعال وانظر إلى الفِيَلة.

وفي الخارج، جُموعٌ من الأشخاص البرّاقين اللامعين يرتدون ملابس ربيعية.

ألغيرنون مستلقٍ في قذارته، لا يتحرّك، والروائح أقوى بكثير من أيّ وقتٍ مضى. وماذا عنّي؟

٢٨ يوليو- فاي لديها صديقٌ حميميّ جديد. كنتُ قد عدت إلى المنزل في الليلة الماضية لأكون برفقتها. ذهبت إلى غرفتي أولا لإحضار قنينة ثم توجّهتُ إلى سلم الطوارئ. لكن من حسن الحظ أنّني نظرت قبل أن أدخل. كانا يجلسان على الأريكة معًا. يا للغرابة، أنا لا أهتم حقا. بل يكاد يكون ذلك مصدر ارتياح.

عـدّتُ إلـى المختبـر للعمـل مـع ألغـيرنون. هنـاك لحظـات يخـرج فيـها عـن فتـوره. فبشـكل دوري، يذهب للركض في متاهة مُتغيّرة، لكن عندما يُخفق ويجد نفسه في طريقٍ مسدود، فإنه يتصرّف بعنف. وعندما نزلتُ إلى المختبر، نظرت إليه. كان في حالة تأهُّب، وتوجّه إليّ كما لو كان يعرفني. كان متحمّسا للعمل، وعندما أدخلتُه باب المصيدة في الأسلاك الشبكية للمتاهة، انطلق مسرعا بمحاذاة المسارات نحو صندوق المكافآت. ركض المتاهة بنجاح مرّتين. لكن في المرة الثالثة، ركض نصف المسافة وتوقّف أمام تقاطع، ثم وبحركةٍ مُنتفِضة، سلك المُنعطف الخاطئ. كان باستطاعتي رؤية ماذا سيحدث، وكنت أريدُ مدّ يدي وإخراجه من هناك قبل أن ينتهي به المطاف في طريقٍ مسدود، لكني كبحتُ نفسي واستمررتُ في المشاهدة.

وعندما وجد نفسه يسير في طريق غير مألوف، تبـاطأ، وأصـبحت أفعالـه غـير مُنتظمـة: يمضـي، يتوقف، يعود إلى الوراء، يستدير، ثم يتقدّم مرة أخرى، حتى وصل أخيراً إلى السد الذي أبلَغَه، بصدمةٍ كهربائيّة خفيفة، أنه قد ارتكب خطأ. وعند تلك المرحلة، وبدلا من عودته إلى الخلف لإيجاد طريق بديل، بدأ يتحرك في دوائر ويطلق صريرًا يشبه صرير إبرة غرامافون تُحكّ في حُزوز. لقد ألقى بنفسه على جدران المتاهة، مرارًا وتكرارًا، قافزًا إلى الأعلى، وملتويا ومنحرفا إلى الـوراء، وسـاقطا، وقاذِفًا نفسه مرة أخرى. ولمرّتين، تشبث بمخالبه بالشبكة السلكية العُلويّة، مُطلقا صريرا عاليا، وتاركا الشبكة، ثم مُحاولًا بيأس مرّةً أخرى. ثم توقّف وتكوّم على نفسه ككُرة صغيرة مشدودة.

وعندما رفعته، لم يحاول الخروج من تكوّمه، لكنه بقي على تلك الحالة وكأنه أصيب بذهول جاموديّ. وعندما كنت أحرك رأسه أو أطرافه، كانت تبقى كما هي مثل الشمع. أعدّتُه إلى قفصه وظللتُ أراقبه حتى تلاشى الذهول، وبدأ يتحرك بشكل طبيعي.

ما يحيّرني هو سبب تراجعه، أهو حالة خاصة؟ ردُّ فعلٍ معزول؟ أم أن هنالك مبدأ عام للفشل يُعد أسـاسيا في العمليـة برمتـها؟ علـيّ التـوصّل إلـى القاعدة.

إذا تمكنتُ من معرفة ذلك، وإذا أضفى ذلك ولو مثقال ذرة إلى المعلومات الأخرى المُكتشَفة بشأن التخلّف العقلي ومساعدة آخرين ممّن هم على شاكلتي، فسأكون راضيا تمام الرضا. وأيا يكن ما سيحدث لي، فسأكون قد عشت ألف حياة طبيعية بما قد أضيفه إلى آخرين لم يُولدوا بعد.

وهذا يكفيني.

٣١ يوليو- إنني على وشك بلوغه. أكاد أقترب من الأمر. يمكنني الشعور به. جميعهم يعتقدون أنني أُهلِك نفسي بهذه الوتيرة السريعة، لكن ما لا يدركونه هو أنني أعيش ذروة تجلٍّ وجمالٍ لم أعرف بوجودهما قط. كل خلية في داخلي متناغمة مع العمل. إنني أتشرّبه عبر مساماتي خلال النهار، ثم في الليل، وفي اللحظات التي تسبقُ خلودي إلى النوم، تتفجر الأفكار في رأسي كألعابٍ نارية. ما من بهجةٍ تضاهي بهجة سطوع حلٍّ لمشكلة ما.

لا أصدّقُ أن أيّ شيء قد يحدث ويسلب مني هذه الطاقة المتُلألئة، هذه الهِمَّة التي تملأ جميع أفعالي. وكأن كل المعرفة التي اكتسبتُها خلال الأشهر الماضية قد التحمت ورفعتني نحو ذروة من الوهج والفهم. هذا مزيجٌ من الحب والجمال والحقيقة، مُختلِطٌ بكل ما في داخلي. هذا حُبور. والآن، وبعد أن عثرتُ عليه، كيف يمكنني التخلي

عنه؟ إن الحياة والعمل لهما أروع الأشياء التي يمكن أن يحصل عليها المرء. إنني مغرمٌ بما أفعله، لأن إجابة هذه المشكلة موجودة هنا، في عقلي، وقريبًا -قريبًا جدا- ستندفعُ إلى وعيي. دعني أحلّ هذه المشكلة فقط. أدعو الله أن تكون الإجابة التي أريدها، لكن إن لم تكن كذلك، فسأتقبّل أي إجابة، وسأحاولُ أن أكون ممتنا لما كان لديّ.

إن صديق فاي الحميمي الجديد مدرّب رقص من قاعة ستاردست. لا يمكنني لومها حقا بما أنني لا أكون معها كثيرا.

١١ أغسطس- واجهتُ طريقًا مسدودًا خلال الأيّام القليلة الماضية. لا شيء. لا بدّ من أنني قد سلكتُ منعطفًا خاطئًا عند مرحلةٍ ما، لأنني أحصل على إجابات الكثير من الأسئلة، ولكن ليس على أكثرها أهمّية: كيف يؤثر تراجع ألغيرنون على الفرضية الأساسية للتجربة؟

لحسن الحظ أن لدي ما يكفي من المعرفة بشأن العمليات العقلية لئلا أجعل هذه الحبسة تصيبني بالقلق. فبدلا من الشعور بالذعر والاستسلام (أو فعل ما هو أسوأ من ذلك؛ الضغط بشدة وبذل مجهود أكبر من أجل إجابات لن تأتِ)، عليّ أن أكف عن التفكير في المشكلة وأن أدعها تختمر. لقد بذلتُ قصارى جهدي على المستوى الواعي، وكُلّ ما

علـيّ فعلـه الآن هـو تـرك الأمـر لتلـك العمليـات الغامضة التي تجري تحت مستوى الإدراك. إنها أحدُ تلك الأمور التي يتعذّر تفسيرها؛ عملية الاستعانة بكل ما تعلّمتُه واختبرته للتأثير على المشكلة. لن ينتج عن الضغط بقوة أكبر إلا المزيد من التجمّد. كم من المشكلات العظيمة لم يُحلّ لأن الناس لم يكن لديهم ما يكفي من المعرفة، أو ما يكفي من الثقة في عمليات الذهن الخلّاقة وفي أنفسهم، ليتركوا الأمر للعقل بأكمله، فيحلّه من تلقاء نفسه؟

لذا قرّرتُ ظهيرة الأمس أن أعلّق العمل لفترة وأن أذهب إلى حفلة كوكتيل السيدة نيمور. كانت الحفلة علـى شـرف الـرّجلين فـي مجلـس إدارة مؤسـسة ويلبيرج اللذين كان لهما دور أساسي في حصول زوجها على المنحة. كنتُ قد خططت الذهاب برفقة فاي، لكنها قالت إن لديها موعدًا غراميًا وأنها تُفضّل الذهاب للرقص.

بدأتُ الأمسية وأنا عاقدٌ العزم على أن أكون لطيفًا وأن أكوّن صداقات. لكنني أجد صعوبة بالغة هذه الأيام في التقرّب من الناس. لا أدري ما إذا كنتُ أنا السبب أم هم، لكن عادة ما تتلاشى أية محاولة لإجـراء محادثـة فـي غضـون دقيقـة أو دقـيقتين، وتتعاظمُ بيننا الحواجز. أيعود هذا لخوفهم مني؟ أم أنهم في أعماقهم لا يهتمون لأمري أو يبادلونني

نفس المشاعر التي أحملها تجاههم؟

أخذتُ شرابا وتجوّلت في أنحاء الغرفة الشاسعة.

كان هنالك تجمعات صغيرة من الأشخاص الذين يجلسون في مجموعات نقاش، النوع الذي يستحيل عليّ الانضمام إليها. وأخيراً، حاصرتني السيّدةُ نمور وقدمتني إلى هيرام هارفي، أحد أعضاء مجلس الإدارة. إن السيدة نيمور امرأةٌ جذّابة، في أوائل الاربعينات من عمرها، بشعرٍ أشقر، والكثير من مستحضرات التجميل، وأظافر حمراء طويلة. كانت قد لفّت ذراعها حول ذراع هارفي. «ما أخبار بحثك؟» أرادت أن تعرف.

«أفضل من المتوقع. إنني أحاول حلّ مشكلة صعبة في الوقت الحالي».

أشعلَت سيجارة وابتسمت لي. «أعلمُ أن كل من في المشروع يشعرون بالامتنان لأنك قرّرت المشاركة فيه وتقديم المساعدة. لكنني أتصور أنك تُفضّل العمل على شيءٍ يخصّك. لا بد من أنه أمر ممل، أن تتولّ عمل شخصٍ آخر بدلًا من شيء من تصوّرك وصنعك الشخصي».

كانت حادة، ومُحقّة. لم تكن تريد لهيرام هارفي أن ينسى بأن زوجها كان يستحق الفضل الذي أتاه. لم أستطع مقاومة ردّ الأمر عليها مرة أخرى. «لا أحد

يبدأ شيئًا جديدًا حقا، يا سيدة نيمور. الجميع يبنون أعمالهم على أنقاض إخفاقات الآخرين. ما من شيءٍ أصيلٍ حقا في العلم. ما يهم بالفعل هو مقدار مساهمة كل إنسان في مجموع المعرفة».

«بالطبع» قالت، وهو توجه حديثها إلى ضيفها الأكبر سنا بدلًا مني. «من المؤسف أن السيد جوردن لم يكن موجودًا في وقت سابق للمساعدة في حل هـذه المشـكلات النـهائية الصـغيرة» وأطلقـت ضحكة». ولكن، أوه، نسيتُ أنك لم تكن في وضعٍ يسمح لك بإجراء التجريب النفسي».

حينها ضحك هارفي، وظننتُ أنه من الأفضل لي أن أصمت، فبيرثا نيمور لم تكن لتسمح بأن يكون لي القول النهائي في الموضوع، وإذا مَضَت الأمور إلى ما هو أبعد من ذلك فسيتفاقمُ الوضع جدا.

رأيتُ كلًا من الطبيب شتراوس وبرت يتحدثان مع الرجل الآخر من مؤسسة ويلبيرج، جورج راينور. كان شتراوس يقول: «تكمن المشكلة يا سيد راينور في عدم الحصول على ما يكفي من التمويل للعمل على مثل هذه المشاريع، دون وجود قيود على الأموال. فعندما يجري تخصيص المبالغ لأغراض مُحدّدة، فإننا في الحقيقة نعجز عن العمل».

هز راينور رأسه ولوّح بسيجاره الكبير أمام الحشد

الصغير من حوله: «تكمن المشكلة الحقيقية في إقناع مجلس الإدارة بأن لهذا النوع من الأبحاث قيمة عمليّة».

هز شتراوس رأسه. «النقطة التي كنتُ أحاول توضيحها هي أن هذه الأموال مخصصة للبحث. لا يمكن لأحد أن يعرف مقدمًا ما إذا كان المشروع سيُفضي إلى شيءٍ مفيد. وغالبًا ما تكون النتائج سلبية. إننا نتعلم مما لم يتحقق، وبالنسبة للشخص الذي يُكمل من تلك النقطة، فإن هذا مهم بالنسبة له بقدر أهمية الاكتشاف الإيجابي. سيعرف على الأقل ما عليه أن يتجنّبه».

وعندما اقتربتُ من المجموعة، لاحظت وجود زوجة راينور، والتي كنتُ قد تعرّفتُ عليها سابقًا. كانت امرأة جميلة ذات شعر داكن، تبلغ من العمر نحو ثلاثين عامًا. كانت تُحدّق في وجهي، أو بالأحرى في قمّة رأسي، كما لو كانت تتوقّعُ تبرعُم شيءٍ ما. بادلتُها التحديق، فشعَرت بالارتباك والتفتت ناحية الطبيب شتراوس مرة أخرى. «لكن ماذا عن المشروع الحالي؟ هل تتوقع إمكانيّة استخدام هذه التقنيات على آخرين من المتخلفين عقليا؟ أهذا شيء سيكون العالم قادرًا على استخدامه؟»

هزّ شتراوس كتفيه وأومأ برأسه تجاهي. «مازال الوقت مبكرا للغاية على معرفة ذلك. لقد ساعدنا

زوجكِ في تعيين تشارلي للعمل على المشروع، وهنالك أمور كثيرة تعتمد على ما سيتوصّل إليه».

«بالطبع،» أضاف السيد راينور، «نحن ندرك جميعا ضـرورة إجـراء أبحـاث بحتـة فـي مجـالات مثـل مجـالاتك. لكـن كـم سيكون هـذا بمثابـة هـديّة لصورتنا، في حال تمكّنا من إنتاج طريقة قابلة للتطبيق بالفعل من أجل تحقيق نتائج دائمة خارج المختبر، في حال تمكنا من أن نُظهر للعالم أنه يقود إلى بعض النّفع الملموس».

فشرعتُ في الحديث، لكن شتراوس، والذي لابد من أنه قد استشعر ما كنتُ على وشك قوله، نهض ووضع ذراعه على كتفي. « جميعنا في بيكمان نشعر بأن العمل الذي يقوم به تشارلي في غاية الأهمية. إنّ وظيفته الآن هي العثور على الحقيقة، أينما تقودنا. وسندع الأمر لمؤسساتك للتعامل مع العامة وتثقيف المجتمع».

ثم ابتسم في وجه راينور وزوجته وسار بي مبتعدا عنهما.

«هذا ليس ما كنتُ سأقوله على الإطلاق».

«أعلم هذا» قال في همس، وهو يشدّ على كوعي. «لكنني رأيـت فـي بـريق عينيـك أنـك علـى وشـك تمزيقهما لأشلاء. ولم أكن لأسمح بحدوث هذا،

أليس كذلك؟»

«أظنّك على حق». وافقته على كلامه، وأنا أتناول كأس مارتيني آخر.

«هل من الحكمة أن تُفرط في الشرب هكذا؟»

«كلا، لكنني أحاول الاسترخاء، وعلى ما يبدو أنني أتيت إلى المكان الخاطئ».

«حسنا، على مهلك، وابتعد عن المشكلات الليلة. هؤلاء الناس ليسوا حمقى. إنهم يعرفون ماهيّة شعورك حيالهم، وحتى وإن لم تكن بحاجةٍ إليهم، فإننا نحتاجهم».

رفعتُ يدي ناحية صدغي، مؤديا له تحيّة. «سأحاول، لكن من الأفضل لك أن تُبقي السيدة راينور بعيدة عني. سوف أقرصها من أردافها إذا هزت مؤخرتها أمامي مجددا».

«ششش، سوف تسمعك!»

«ششش» ردّدت وراءه. «أعتذر. سأجلس هنا في الزاوية بمعزلٍ عن الجميع».

كان الغبَش قد بدأ يغيم على بصري، لكنّني استطعت أن أرى من خلاله تحديق الناس فيّ. أظنّ أنني كنت أتمتم لنفسي، بشكلٍ مسموعٍ للغاية. لا

أذكر ما قلتُه. ثم بعد ذلك بفترةٍ قصيرة، لاحظتُ أن الناس قد بدأت تغادر في وقتٍ أبكر من المعتاد، لكنني لم أهتمّ للأمر كثيرا حتى أتى نيمور نحوي ووقف أمامي.

«من تظنُّ نفسك بحق الجحيم حتى تتصرف بتلك الطريقة؟ لم أرَ قطّ في حياتي مثل هذه الوقاحة التي لا تُحتمل».

حاولتُ جاهدا الوقوف على قدميّ. «هيا، ما الذي يجعلك تقول هذا؟»

حاول شتراوس كبح جماحه، لكنه همهم وقال وهو يلهث: «أقول هذا لأنك لا تملك أدنى امتنان أو فهمٍ للوضع. فبعد كل شيء، فأنت مدين لهؤلاء الناس -إن لم يكن لنا- بالكثير من الأمور».

«منذُ متى وعلى فأر التجارب أن يشعر بالامتنان؟» صحتُ عاليًا. «لقد خدمتُ هدفك، والآن، أحاول تصحيح أخطائك، فكيف يجعلني هذا مدينًا لأيّ لعين؟»

بدأ شتراوس في الحيلولة بيننا لإنهاء الأمر، لكن نيمور أوقفه. «انتظر لحظة. أريد سماع هذا. أظن أنّ الوقت قد حان لإخراج ما في الصدور».

«لقد أسرف في الشراب» قالت زوجته.

«لم يشرب الكثير» قال نيمور بغضب. إنه يتحدث بوضوح تام. لقد تحمّلتُ منه الكثير. لقد عرّض -إن لم يكن قد دمّر بالفعل- عملنا للخطر، والآن، أريد أن أسمع منه مباشرة ما يظنّ أنها مبرراته».

«أوه، انسَ الأمر» قلت. «أنتَ لا تريد حقا سماع الحقيقة».

«لكنني أريد سماعها يا تشارلي؛ على الأقل نُسختك من الحقيقة. أريد أن أعرف ما إذا كنت تشعر بأي امتنان لكل الأشياء التي فعلناها من أجلك؛ القدُرات التي طوّرتها والأشياء التي تعلّمتها والتجارب التي خُضّتها. أم قد تظنّ مثلا أنك كنت أفضل حالا من قبل؟»

«بطريقة ما؛ نعم».

نزلت إجابتي كالصاعقة عليهم.

«لقد تعلّمتُ الكثير من الأمور في الأشهر القليلة الماضية» قلت. «ليس عن تشارلي جوردن وحسب، بل عن الحياة والناس، واكتشفتُ أنه ما من أحد يهتم حقًا بأمر تشارلي جوردن، وسواء كان أبلهًا أم عبقريا. فما الفرق إذن؟»

«أوه» ضحك نيمور. «أنت تشعر بالأسف على نفسك. ماذا كنت تتوقع؟ لقد أُعِدّت هذه التجربة

لزيادة ذكائك، لا لتجعلك ذا شعبيّة. لم يكن لدينا أيّ تحكم بما يحدث لشخصيتك، وقد تطوّرت من شاب متخلّف محبوب إلى لقيطٍ متعجرف أناني ومُعادٍ للمجتمع».

«المشكلة أيها الأستاذ العزيز هي أنّك أردّتَ شخصًا يمكنك أن تجعله ذكيًا، لكن يظل محبوسًا في قفص من أجل العرض عند الضرورة لجني الأوسمة التي تبحثُ عنها. لكن العائق الوحيد هو أنني شخص».

كان غاضبا، وكنتُ أرى أنه ممزق بين إنهاء الحوار وبين معاودة المحاولة لإلحاق الهزيمة بي. «يا لك مـن مُجـحِف، كعـادتك. أنـتَ تعلـم أننـا نُحسـن معاملتك دائما، وأننا فعلنا كل ما بوسعنا من أجلك».

«كلّ ما بوسعكم ما عدا معاملتي كإنسان. لقد تبـاهيتَ مـرارا وتكـرارا بـأنني كنـتُ لا شـيء قبـل التجربة. وأنا أعرف السبب. لأنه إذا كنتُ لا شيء فأنت حينها مسؤول عن خلقي، وهذا يجعلك ربّي وسيّدي. أنتَ تمقت حقيقة أنني لا أُبدي امتناني لك كل ساعة من اليوم، لكن صدق أو لا تصدق، أنا ممتنّ لك. لكن ما فعلته من أجلي -وبقدر ما هو مـذهل- لا يمنحـك الحـق فـي معـاملتي كحيـوانٍ تجريبي. إنني فرد الآن، وكذلك كان تشارلي قبل أن تطأ قـدمه المختبـر قـط. تبـدو مصـدوما! نعـم،

نكتشفُ فجأة أنني لطالما كنتُ شخصا -حتى من قبل- وهذا يتحدى معتقداتك بأن الشخص الذي يملك معدل ذكاءٍ يقلّ عن ١٠٠ لا يستحق الاهتمام. أيها الأستاذ نيمور، أعتقد أن ضميرك يؤنبك عندما تنظر إليّ.»

«لقد سمعتُ ما يكفي» أجاب بغضب. «أنتَ مخمور.»

«أوه، كلا» قلت مؤكدا له. «لأنه لو كنت مخمورا لرأيت تشارلي جوردن مختلف عن الشخص الذي تعرفه. نعم، تشارلي الآخر الذي سار إلى الظلام ما يزال موجودا معنا هنا. في داخلي».

«لقد فقد صوابه» قالت السيدة نيمور. «إنّه يتحدث كما لو أنّ هنالك اثنين من تشارلي جوردون. من الأفضل أن تعتني به أيها الطبيب».

هز الطبيب شتراوس رأسه. «كلا. أعرف مقصده. لقد ظهر هذا الأمر مؤخرا في جلسات العلاج النفسي. حدث انفصالٌ غريب خلال الشهر الماضي أو نحو ذلك. لقد اختبر عدة تجارب يدرك فيها نفسه كما كان قبل التجربة -كفرد منفصل ومختلف لا يزال يعمل في وعيه- كما لو أن تشارلي القديم يكافح من أجل السيطرة على الجسم».

«كلا! لم أقل هذا مطلقا! لا يكافح من أجل

العطايا البشرية. لكن البحث عن المعرفة يؤدي في كثير من الأحيان إلى طرد البحث عن الحب. هذا شيءٌ آخر اكتشفتُه بنفسي مؤخرًا. سأعرضه عليك كفرضيّة: إن وجود الذكاء دون وجود القدرة على منح العواطف وتلقّيها يؤدي إلى الانهيار العقلي والأخلاقي، والعصاب، وربما حتّى الذّهان. وأقول إن العقل المستغرق في ذاته والمعنيّ بها كغاية مُتمركزة حول ذاتها، إلى حد استبعاد العلاقات الإنسانية، لن ينتُج عنه إلا العنف والألم.

«عندما كنتُ متخلّفا، كان لديّ الكثير من الأصدقاء. أما الآن، فلا أحد. صحيحٌ أنّني أعرف الكثير من الناس. الكثير والكثير منهم. لكن ليس لديّ أيّ أصدقاء حقيقيين. ليس كالصداقات التي كنتُ أحظى بها في المخبز. ولا حتى صديقٌ واحد فقط يعني لي أي شيء، أو شخص أعني له أي شيء.» لاحظتُ أن خطابي صار مُتلعثما، وأن هنالك خِفّةٌ في رأسي.

«هذا لا يمكن أن يكون صحيحا، أليس كذلك؟» قلتُ بإصرار. «أعني، ما رأيك؟ هل تعتقد أن هذا... أن هذا صحيح؟»

حينها جاء شتراوس إليّ وأمسك بذراعي.

«ربّما من الأفضل أن تستلقي قليلًا يا تشارلي. لقد

أسرفتَ في تناول الشراب».

«لم تنظرون نحوي هكذا؟ ما الخطأ في كلامي؟ هل قلتُ شيئا خاطئا؟ لم أقصد قول شيء لم يكن حقيقيا».

سمعتُ الكلمات وهي تتثاقل في فمي، كما لو أن حقنة مخدّرٍ موضعي قد ملأت وجهي بالكامل. كنتُ مخمورا، وفاقدًا للسيطرة بالكامل.

ثم في تلك اللحظة، وبما يشبه نقرة على مفتاح تشغيل، رأيت أمامي المشهد من مدخل غرفة الطعام، وكنتُ أرى نفسي كتشارلي الآخر واقفًا هناك، عند البوفيه، بشرابٍ في يده، وعينين مُتّسعتين ومرعوبتين.

«أحاول دائما فعل الأشياء الصحيحة. لطالما علّمتني أمي أن أكون لطيفا مع الناس لأنها قالت إنني بهذه الطريقة لن أقع في المشكلات وسيكون لديّ دائمًا الكثير من الأصدقاء».

استطعتُ أن أرى من خلال الطريقة التي كان ينتفض ويتلوى بها أنه يريد الذهاب إلى دورة المياه. أوه، ربّاه، ليس أمامهم. «اعذروني... من فضلكم» قال، «عليّ الذهاب...» استطعتُ، بطريقة ما في حالة الذهول المخمور تلك، إبعاده عنهم وتوجيهه نحو دورة المياه.

وقد وصل في الوقت المناسب، ثم بعد لحظات، تولّيتُ من جديد زِمام الأمور. اسندّتُ خدّي على الحائط، ثمّ غسلتُ وجهي بماءٍ بارد. كنتُ لا أزال مُترنّحًا، لكنّي علمت أنني سأكون على ما يرام.

وعندئذ، رأيت تشارلي يراقبني من المرآة خلف المغسلة. لا أدري كيف علمت أنه كان تشارلي وليس أنا. شيءٌ ما بشأن النظرة البلهاء المُتسائِلة على وجهه. عيناه، متسعتان وخائفتان، كما لو أنه بكلمةٍ واحدة مني سيلتفت ويلوذ بالفرار في أعماق بُعد العالم المُنعكس. لكنه لم يهرب. بل ظلّ واقفا هناك، يبادلني التحديق فحسب، بفمٍ مفتوح، وفكٍّ مُتهدّل.

«مرحبا» قلت. «ها قد قرّرتَ أخيرا مقابلتي وجها لوجه». قطّب وجهه، قليلا فقط، كما لو أنه لم يفهم ما أقصد، كما لو كان يريد توضيحا لكنه لا يعرف كيف يطلبه. ثم وفي استسلامٍ منه، ابتسم بقلق من زاوية فمه.

«ابقَ في مكانك أمامي مباشرة»، صحتُ عاليا. «لقد سئمتُ من تجسّسك عليّ من المداخل والأماكن المظلمة التي لا أستطيع اللحاق بك فيها».

ظلّ محدّقا.

«من أنت يا تشارلي؟»

لا شيء سوى الابتسامة.

أومأتُ برأسي فأومأ برأسه هو الآخر.

«ماذا تريد إذن؟» سألته.

هز كتفيه.

«أوه، بربّك. لا بدّ من أنّك تريد شيئا! لقد كنت تتبعني...»
حينها نظَرَ إلى الأسفل، فنظرتُ إلى يديّ لأرى ما كان ينظر إليه. «تريد استرجاع هاتين، أليس كذلك؟ تريد خروجي من هنا كي يتسنى لك العودة والانطلاق من حيثُ توقّفت. أنا لا ألومك. فهو جسدك؛ عقلك، وحياتك، بالرغم من أنك لم تكن قادرا على الاستفادة منه. لا يحق لي سلبه منك. لا يحق لأحد ذلك. من الذي يقول إنّ ضيائي أفضل من ظلامك؟ من الذي يقول إنّ الموت أفضل من ظلامك؟ من أنا لأقول ذلك؟ ...

«لكن سأخبرك بأمرٍ آخر يا تشارلي»، ثم نهضّتُ وابتعدت عن المرآة. «أنا لستُ صديقك. بل عدوّك. ولن أتنازل عن ذكائي بسهولة. لا يمكنني العودة إلى الكهف. ليس لديّ مكان لأذهب إليه الآن يا تشارلي. لذا عليك أن تظل مبتعدا. فلتبقَ في لا وعيي الذي

تنتمي إليه، وتوقّف عن ملاحقتي. لن أستسلم أبدا، مـهما كـانت ظنونـهم بشـأني. مـهما كـان الوضـع مُوحشا. سأتشبث بما منحوني إياه، وسأحقق به أمورا عظيمة، من أجل العالم ، ومن أجل الآخرين من أمثالك».

وفي أثناء التفاتي ناحية الباب، شعرت أنّه يمد يديه نحوي. لكن الأمر اللعين برمّته كان سخيفا. لقد كنتُ مخمورا فحسب، وما ذاك إلا انعكاسي في المرآة.

وعندما خرجت، أراد شتراوس أن يُدخلني في سيارة أجرة، لكنّني أصررتُ على أنّ بمقدوري العودة إلى المنزل على ما يُرام. لم أكن بحاجة إلا لبعض الهواء المنعش، ولم أرغب في أن يأتي برفقتي أحد. أردّتُ أن أسير بمفردي.

كنتُ أرى حقيقة نفسي التي صرتُ عليها بالفعل: لقد قالها نيمور. كنتُ لقيطا متغطرسا متمحوراً حول ذاته. فعلى عكس تشارلي، كنتُ غير قادر على تكوين صداقات أو التفكير في الأشخاص الآخرين وفي مشكلاتهم. كنتُ مهتمّا بنفسي؛ نفسي وحسب. وللحظةٍ مطوّلة في تلك المرآة، رأيت نفسي عبر أعين تشارلي. لقد نظرتُ إلى نفسي وإلى ما أصبحت عليه حقا. وكنتُ أشعر بالخزي.

وبعد ساعات، وجدت نفسي أمام مبنى شقتي،

فشققت طريقي حتى الطابق العلوي وعبر الرّواق ذي الإضاءة الخافتة. ومع مروري بغرفة فاي، لاحظتُ وجود أنوارٍ مُضاءة، وحدّقت باتجاه بابِها. ثم وعندما هممتُ بقرع الباب، سمعتُها تُقهقه، وتبع ذلك ضحكة رجُل.

كان الأوان قد فات لفعل ذلك.

دخلتُ شقّتي بهدوء ووقفتُ في الظلام لبرهة، دون أن أجرؤ على التحرك، ودون أن أجرؤ على إضاءة المصابيح. وقفتُ في مكاني وحسب، وشعرت بدوّامة مياهٍ في عينيّ.

ما الذي حدث لي؟ لمَ أنا وحيدٌ في هذا العالم؟

٤:٣٠ فجرا- لقد جاءني الحلّ عندما كنت على وشك الإغفاء. مُستنيراً! كل الأشياء متناسبة مع بعضها البعض، وفي مكانها الصحيح، وأرى الآن ما كان عليّ معرفته منذ البداية. لا مزيد من النوم. عليّ العودة إلى المختبر ومقارنة ما اكتشفتُه مع النتائج من الحاسوب. وأخيرا، هذا ما يعيب التجربة. لقد عثرتُ عليه.

ما الذي سيحصل لي الآن؟

٢٦ أغسطس- رسالة إلى الأستاذ نيمور (نسخة):

عزيزي الأستاذ نيمور:

تحت غلافٍ منفصل، أرسلُ إليك نسخة من تقريري بعنوان: «تأثير ألغيرنون-جوردن: دراسة حول بُنية ووظيفة الذكاء المتزايد»، والذي يمكن أن يُنشر في حال رأيت ذلك مناسبًا.

كما تعلم، فإن تجاربي قد اكتملت. لقد أدرجتُ في تقريري جميع الصّيغ الخاصة بي، بالإضافة إلى إرفاقي للتحليلات الرياضية للبيانات في التذييل. يجب التحقق منها جميعا بالطبع.

إن النتائج واضحة. ولا يمكن للجوانب الأكثر إثارة في صعودي المتسارع أن تحجب الحقائق. يجب اعتبار تقنيات الحقن والجراحة التي طوّرتَها أنت والطبيب شتراوس على أنها، في الوقت الحاضر، ذات قابلية تطبيق عملية ضئيلة أو معدومة لزيادة الذكاء البشري.

ويتبيّن من مراجعة البيانات الخاصة بألغيرنون الآتي: على الرغم من أنه لا يزال يافعا جسديا، إلا أنه قد تراجع من الناحية العقلية. ضعفٌ في النشاط الحركي، وانخفاضٌ عام للأداء الغُدّي، وفقدانٌ متسارع للتناسق الحركي، ومؤشرات قويّة على فقدان الذاكرة التدريجي.

وكما هو واضح في تقريري، فإنّه يمكن التنبؤ بمتلازمات التدهور الجسدي والعقلي هذه، وغيرها

من النتائج ذات الدلالة الإحصائية، من خلال تطبيق صيغتي الجديدة. فعلى الرغم من أن المُحفِّز الجراحي الذي خضعنا له نحن الاثنين قد نتج عنه تكثيف جميع العمليات العقلية وتسريعها، فإنّ الخلل الذي أسميتُه «تأثير ألغيرنون-جوردن» هو الامتداد المنطقي لمُجمل عملية تسريع الذكاء. ويمكن وصف الفرضية المُثبتة هنا بكل بساطة عبر الفقرة التالية:

يتدهور الذكاء المُحفَّز اصطناعيا بمعدل زمني يتناسب مباشرة مع مقدار الزيادة.

وطالما يمكنني الكتابة، فسأستمر في تدوين أفكاري وآرائي في تقارير التطوّر هذه. إنها واحدة من مُتعي الانفرادية القليلة، كما أنها ضرورية بالتأكيد لاستكمال هذا البحث. بيد أن جميع المؤشرات تدلّ على أن تدهوري العقلي سيكون سريعا للغاية.

لقد راجعتُ بياناتي عشرات المرات على أمل العثور على خطأ ما، لكنّي آأسف لقول إنّه ينبغي اعتماد النتائج المُحرزة. ومع ذلك، فإنّني أشعر بعظيم الامتنان للقليل الذي أُضيفُه هنا إلى المعرفة المتعلّقة بوظيفة العقل البشري والقوانين التي تحكم الزيادة الاصطناعيّة في الذكاء البشري.

في تلك الليلة، كان الطبيب شتراوس يقول إن

الفشل التجريبي ودحض نظريةٍ ما يُمثّل أهمية لتقدّم التعلم بقدر أهمّية النجاح. أدركُ الآن صحّة هذا الأمر. وإنه ليؤسفني أنّ مساهمتي في هذا المجال لن تقوم إلا على أنقاض عمل هذا الفريق، وبالأخص أولئك الذين فعلوا الكثير من أجلي.

مع فائق احترامي،

تشارلز جوردن

مُرفق: تقرير

نسخة: الطبيب شتراوس

مؤسسة ويلبريج

١ سبتمبر- يجب ألّا أصاب بالذعر. سوف تظهر عمّا قريب علاماتٌ على عدم الاستقرار العاطفي وفرط النسيان، أولى أعراض الاحتراق الداخلي. هل سأستطيع تمييزها في نفسي؟ كل ما يمكنني فعلُه الآن هو الاستمرار في تسجيل حالتي العقلية بشكل موضوعي قدر الإمكان، مع الوضع نصب عينيّ أن هذه المُذكّرات النفسية ستكون الأولى من نوعها، وربما الأخيرة.

صباح هذا اليوم، طلب الأستاذ نيمور من برت أخذ تقريري والبيانات الإحصائية إلى جامعة هالستون كي يعمل بعض كبار العلماء في هذا المجال على

التحقق من نتائجي ومن تطبيق الصيغ خاصّتي. وطوال الأسبوع الماضي، كانوا قد طلبوا من برت مراجعة تجاربي ومخططاتي المنهجية. لا ينبغي أن أكون منزعجا حقا من احتياطاتهم، فما أنا إلا وافدٌ جديد، ومن الصعب على نيمور تقبّل حقيقة أن عملي قد يكون بمنأى عن متناوله، فقد خلص إلى الإيمان بأسطورة سُلطته الشخصية، وبعد كل شيء، أنا مجرّد دخيل.

لم أعد أهتم حقًا بما يفكر فيه، وبما يفكرون فيه جميعا. لم يتبقّ الكثير من الوقت. العمل انتهى، والبيانات مُدخلة، وكل ما تبقى هو معرفة ما إذا كنتُ قد أسقطّتُ بدقّة المنحنى الخاص ببيانات ألغيرنون، على بياناتي، كتنبؤ بما سيحدث لي.

بكت أليس عندما نقلتُ لها الخبر. ثم ركضت إلى الخارج. يجب عليّ إقناعها بعدم وجود سببٍ يجعلها تشعر بالذنب حيال هذا الأمر.

٢ سبتمبر- لا شيء مؤكّد حتى الآن. أتحرك داخل صمت من الضوء الأبيض الصافي. كل شيء من حولي ينتظر. أحلم بأنني أكون بمفردي على قمة أحد الجبال، أمشّط بناظريّ الأرض المحيطة بي، خضراء وصفراء، والشمسُ متعامدة، تضغط ظلّي على شكل كُرةٍ ضيقة تحيط بساقيّ. ومع توسّط شمس الظهيرة لكبد السماء، يكشفُ الظل عن

نفسي ويتمدد نحو الأفق؛ طويلاً ورقيقًا، وممتدا ورائي بعيدا...

أودّ أن أذكر هنا من جديد ما سبق وقلتُه للطبيب شتراوس. لا أحد مُلام، بأي شكلٍ من الأشكال، على ما حدث. فقد أُعِدّت هذه التجربة بعناية، واختُبِرت بصورة موسّعة على الحيوانات، وجرى التحقق من صحّتها إحصائيًّا. وعندما قرّروا استخدامي كأول اختبارٍ بشري، كانوا على يقين معقول من عدم وجود خطر جسدي، ولم يكن هناك طريقة للتنبؤ بالمزالق النفسية. لا أريد أن يعاني أيّ أحد بسبب ما سيحدث لي. السؤال الآن: ما مقدار ما يمكنني التشبّث به؟

١٥ سبتمبر- يقول نيمور إن نتائجي قد تأكّدت. وهذا يعني أن الخلل مركزيّ، ويثير الشكوك بشأن الفرضية بالكامل. ربما تكون هناك طريقة للتغلب على هذه المشكلة يومًا ما، لكن ذلك اليوم لم يحن بعد. لقد أوصيتُ بعدم إجراء أي اختبارات أخرى على البشر حتى يجري توضيح هذه الأمور من خلال أبحاث إضافية على الحيوانات.

أشعر أن أنجح مسار للبحث سيكون ذلك الذي يتخذه العلماء الذين يدرسون الاختلالات الإنزيمية. وكما هو الحال مع العديد من الأشياء الأخرى، فالوقت هو العامل الرئيسي؛ السرعة في اكتشاف

النقص، والسرعة في إدارة البدائل الهرمونية. أود تقديم المساعدة في هذا المجال البحثي، وفي البحث عن النظائر المُشِعّة التي يمكن استخدامها في التحكم القِشري الموضعيّ، لكنني أعرف الآن أنّه لن يكون لدي مُتسع من الوقت.

١٧ سبتمبر- بدأتُ أصير شارد الذهن. أضع الأشياء بعيدًا على مكتبي أو في أدراج طاولات المختبر، وعندما أجد صعوبة في العثور عليها، أفقد أعصابي وأنفجر غاضبًا على الجميع. أوّل العلامات؟

تُوفّي ألغيرنون منذ يومين. عثرتُ عليه في الرابعة والنصف فجرًا عندما عدّتُ إلى المختبر بعد أن تجولت قليلا عند الواجهة البحرية، وجدته على جانبه، مُمدّدا في زاويةِ قفصه، كما لو كان يركض في نومه.

يُظهر التشريح أن تنبؤاتي كانت صحيحة. فمقارنةً بالدماغ الطبيعي، كان وزن دماغ ألغيرنون قد انخفض، كما كان هناك انبساط عام في التلافيف المُخّية، بالإضافة إلى تعمّق وتوسّع في شقوق الدماغ.

من المرعب التفكير في أن الأمر ذاته ربما يحدث لي حاليًا. رؤية حدوثه لألغيرنون جعل الأمر واقعيا. وللمرة الأولى، أشعر بالرعب من المستقبل.

وضعتُ جثة ألغيرنون في حاوية معدنية صغيرة وأخذتُه معي إلى المنزل. لم أكن لأدعهم يلقون به في المحرقة. إنه أمر سخيف وعاطفي، لكنّني دفنته فـي الفنـاء الخلفي فـي وقـت متـأخّرٍ مـن الليلـة الماضية. بكيتُ وأنا أضع مجموعة من الزهور البرية على القبر.

٢١ سبتمبر - سأذهب إلى شارع ماركس لزيارة والدتي غـدًا. لقـد أثـار حلـمٌ الليلـة الماضـية سـلسلة مـن الــذكريات، وأضـــاء شـريحة كاملـة مـن الماضـي، والشيء المهم هو تدوينه على الورق بسرعة قبل أن أنساه، إذ يبدو أنني أنسى الأشياء على نحوٍ أسرع حاليا. يتعلّق الأمر بوالدتي، وأريد الآن -أكثر من أي وقت مضى- أن أفهمها، أن أعرف كيف كانت، ولِمِ تصرّفت على ذلك النحو. يجب ألّا أكرهها.

عليّ التصالح معها قبل رؤيتها كي لا أتصرف بقسوة أو بحماقة.

٢٧ سبتمبر- كان ينبغي عليّ كتابة هذا الأمر على الفور، لأن إكمال هذا السجل في غاية الأهمية.

ذهبتُ لرؤية روز منذ ثلاثة أيام. أجبرتُ نفسي أخيراً على استعارة سيارة بيرت مرة أخرى. كنت خائفا، ومع ذلك كنتُ أعلم أنه يتعين عليّ الذهاب.

في البداية، ظننتُ أنّني قد ارتكبتُ خطأ ما عندما

ذهبت إلى شارع ماركس، إذ لم يكن على الهيئة التي أتذكّره بها مُطلقا. كان شارعًا قذرًا. وهنالك مساحاتٌ شاغرة محل الكثير من المنازل التي تعرّضت للهدم. وعلى جانب الطريق، ثلاجةٌ مهملة منزوعة الباب، وعلى الرصيف، مرتبةٌ قديمة تتدلّى أحشاؤها السِّلكية خارج معدتها. كانت بعض المنازل تضم نوافذ مُغطّاة بألواحٍ خشبية، بينما كان البعض الآخر أشبه بالأكواخ المُرقّعة لا بالمنازل. ركنتُ السيارة على بُعد بناية من المنزل، وترجّلت.

لم يكن هناك مطلقا أية أطفال يلعبون في شارع ماركس كما في الصورة الذهنية التي حملتُها معي لأطفالٍ يلعبون في كل مكان، وتشارلي يراقبهم من النافذة (يا له من أمر غريب، كيف أن جميع ذكرياتي عن الشارع مُؤطّرة بالنافذة، حيث أكون في الداخل دائما؛ أراقب الأطفال وهم يلعبون). أما الآن، فلم يكن هناك سوى مُسنّين يقفون في ظلال الشرفات المُتعبة.

ومع اقترابي من المنزل، تعرّضتُ لصدمةٍ ثانية. كانت والدتي عند مدخل المبنى، مُرتدية سُترةً بنية قديمة، تغسل نوافذ الطابق الأرضي من الخارج على الرغم من أن الجو كان باردا وعاصفا. إنها تعمل دائما على أن تظهر للجيران كم أنها كانت زوجة وأُمًّا صالحة.

لطالما كانت آراء الآخرين أكثر الأمور أهمية بالنسبة لها، كانت تهتم بالمظاهر قبل نفسها وقبل عائلتها. وكانت متزمّتة بشأن الأمر. لقد أصرّ مات مرارا وتكرارا على أن ما يعتقده الآخرون بشأن المرء ليس بالشيء الوحيد في الحياة. لكن ذلك لم يُجدِ نفعا. كان يجب على نورما أن تكون مُهندمة اللباس، وأن يحتوي المنزل على أثاثٍ فاخر، وأن يظل تشارلي في الداخل كي لا يعلم الآخرون أن هنالك خطبًا ما.

وعند البوابة، توقفت لمُشاهدتها وهي تعتدل في وقفتها لالتقاط أنفاسها. لقد جعلتني رؤية وجهها أرتجف، لكنّه لم يكن الوجه الذي عانيت كثيراً من أجل تذكّره. كان شعرها قد أصبح أبيضا ومليئا بخطوط حديدية، وكانت التجاعيد قد انتشرت عبر خدّيها الرقيقين. كما أن العرق قد جعل جبهتها تتلألأ. ثمّ لمحتني، وبادلتني التحديق.

أردتُّ أن أشيح بنظري، أن ألتفت وأعود من حيث أتيت، لكنني لم أستطع؛ ليس بعد أن قطعتُ هذا الشوط الطويل. سأسألُها عن الاتجاهات وحسب، متظاهرا بأنّني ضائعٌ في حيّ غريب. كانت مجرد رؤيتها كافية بالنسبة لي. لكن كل ما فعلتُه كان الوقوف في مكاني، في انتظار أن تفعل هي شيئا أولا. وكلُّ ما فَعَلته هي كان الوقوف في مكانها والنظر إليّ.

«هل تريدُ شيئا؟» أحدث صوتُها الأجشّ صدى لا لبس فيه عبر ممرّات ذاكرتي.

فتحتُ فمي، لكن شيئًا لم يخرج منه. كان فمي يعمل، أعرف هذا، وقد حاولت بصعوبة التحدث إليها؛ إخراج شيء ما، لأنه في تلك اللحظة، رأيتُ في عينيها تمييزًا لي. لم تكن تلك الطريقة التي أردتُّ أن تراني بها على الإطلاق. ليس واقفًا هناك أمامها، ببلاهة، وغير قادرٍ على جعل نفسي مفهوما. لكن لساني ظلّ يعترض الطريق؛ كعقبةٍ ضخمة، وكان فمي جافًا.

وأخيرا، خرج شيءٌ ما. ليس ما كنتُ قد خطّطت له (كنتُ قد خطّطت لشيء مهدّئ ومشجّع، للسيطرة على الموقف والقضاء على كل الماضي والآلام بكلماتٍ قليلة) ولكنّ كل ما خرج من حلقي المُتصدّع كان: «أمااه...»

مع كل الأشياء التي تعلّمتُها -وبكل اللغات التي أتقنتُها - كان كل ما أمكنني قوله لها، وهي تقف عند الشرفة مُحدّقة في وجهي «أماااه...» كحَمَلٍ عطِش عند الضّرع.

مسَحَت جبهتها بظهر ذراعها وقطّبت في وجهي، كما لو أنها لم تكن تراني بوضوح. تقدمتُ إلى الأمام، متجاوزا البوّابة إلى الممشى، ثم باتجاه

الدرج. فتراجَعَت للوراء.

في البداية، لم أكُن متأكدا مما إذا كانت قد تعرّفت عليّ أم لا، لكنها شهقت: «تشارلي! ...» لم تصرخ بالاسم أو تهمس به. بل شهقت وحسب، كما يفعل المرء وهو يستيقظ من حلمٍ ما.

«أماه...» وبدأت أصعدُ الدرج. «هذا أنا...»

تسبّبت حركتي في ترويعها، فتراجعت نحو الوراء، رافسةً دلو الماء والصابون، وسرعان ما تدفقت رغوة الصابون المتسخة على الدرج.

«ما الذي أتى بك إلى هنا؟»

«أردّتُ رؤيتكِ فقط... التحدث معك...»

ولأن لساني ظلّ يعترض طريقي، خرج صوتي من حلقي على نحوٍ مختلف، بنبرةٍ سميكة مُنتحبة، على الأرجـح كمـا كنـت أتحـدث منـذ زمـن طويـل. «لا تبتعدي» قلتُ متوسّلا. «لا تهربي منّي».

لكنها كانت قد ذهبت إلى المدخل وأغلقت الباب. وبعد لحظات، رأيتها تسترق النظر من وراء الستار الأبيض الشفاف لنافذة الباب، وعيناها مملوءتان بالرعب. وخلف النافذة، تحرّكت شفتاها بلا صوت «ابتعد! دعني وشأني!»

لماذا؟ من كانت لتتنكّر لي بهذه الطريقة؟ بأيّ حقٍّ ابتعَدت عني؟

«دعيني أدخل! أريد التحدث معكِ! دعيني أدخل!» ضربتُ الباب المقابل للزجاج بعنف لدرجة أنه تصدّع، ونشر الصدع شبكة ضربت جلدي لوهلة وتشبّثت به بسرعة. لا بدّ من أنها ظنّت أنني قد فقدّتُ صوابي وأتيتُ لأُلحِق بها الأذى. حينها تركَت الباب الخارجي وهربَت عبر الرّواق الذي كان يؤدّي إلى الشقة.

دفعتُ مرة أخرى فانفتح القفل، ولأنني لم أكن مستعدا للإذعان المفاجئ، سقطّتُ في المدخل، فاقدا التوازن. كانت يدي تنزف من الزجاج الذي كسرتُه، ولم أدرِ ماذا أفعل، فوضعتُ يدي في جيبي لمنع الدماء من تلطيخ مشمّعها المغسول حديثًا.

مضيتُ إلى الداخل، مُتجاوزاً السلالم التي رأيتُها كثيرا في كوابيسي. كثيراً ما كانت تطاردني من ذلك الـدرج الطويـل الضـيّق شـياطين تمسـك بسـاقيّ وتسحبني إلى داخل القبو الموجود في الأسفل، بينما كنتُ أحاول الصراخ دون صوت، مُختنقًا بلساني وصمتي، كالصبية الخُرس في دار وارين.

لطالما كان الأشخاص الذين عاشوا في الطابق الثاني

-المالك وزوجته، عائلة ماير- لطفاء معي. كانا يعطيانني الحلوى ويسمحان لي بالجلوس في مطبخهم واللعب مع كلبهم. أردتُّ رؤيتهما، ولكن لم أكن بحاجة لأن يخبرني أحد بأنهما قد ماتا منذ زمن، وأن أشخاصًا غرباء يعيشون في الأعلى.

لقد بات ذلك الطريق الآن مُغلقا في وجهي إلى الأبد.

وعند نهاية الرواق، كان الباب الذي هربت داخله روز مًقفلا، وللحظة، وقفتُ أمامه دون اتخاذ قرار.

«افتحي الباب».

أتت الإجابة على هيئة نبرة عالية لنباح كلبٍ صغير. وقد أخذتني على حين غرّة.

«حسنا» قلت. «لا أنوي إيذاءكِ أو أي شيء من ذلك القبيل، لكنّني قطعت طريقًا طويلا، ولن أغادر قبل أن أتحدث معكِ. إن لم تفتحي الباب فسأكسره».

سمعتُها تقول: «ششش، نابي... من هنا، هيّا اذهب إلى غرفة النوم». وبعد لحظة، سمعتُ القفل يُفتح. ثم فُتح الباب، ووقَفت في مكانها، تُحدّق فيّ.

«أماه،» همستُ، «لن أفعل أي شيء. أريد التحدث معكِ وحسب. عليكِ أن تفهمي أنني لم أعُد بنفس الحالة التي كنتُ عليها في السابق. لقد تغيّرت. إنني

طبيعيّ الآن. ألا تفهمين؟ لم أعُد متخلّفا. لستُ معتوها. أنا مثلُ أيّ شخصٍ آخر. أنا طبيعي، مثلك ومثل مات ونورما تماما».

حاولتُ الاستمرار في الحديث؛ مُواصَلَة الثرثرة كي لا تُغلق الباب. حاولتُ إخبارها بالأمر كلّه، دفعة واحدة. «لقد غيّروني، أجروا عملية جراحية لي وجعلوني مُختلِفًا، على النحو الذي كنتِ تريدينه لي دائما. ألم تقرأي عن الموضوع في الصُّحف؟ تجربة علمية جديدة تُغيّر طاقتك الاستيعابية للذكاء، وأنا أول شخص يجرّبونها عليه. ألا تفهمين؟ لِمَ تنظرين إليّ بهذه الطريقة؟ أنا ذكيّ الآن، أذكى من نورما أو العم هيرمان أو مات. إنني أعرف أمورا لا يعرفها حتى أساتذة الجامعات. تحدّثي معي! تستطيعين أن تفخري بي الآن، وأن تخبري جميع الجيران بشأني. لستِ مضطرة لإخفائي في القبو عندما يزورنا الآخرون. تحدثي معي وحسب. حدثيني عن الأشياء، عمّا كان عليه الحال وأنا صبيّ صغير، هذا كل ما أريده. لن أؤذيكِ. أنا لا أكرهك. لكن يجب أن أعرف أمورا حول نفسي كي أفهم نفسي قبل فوات الأوان. ألا ترين؟ لا يمكنني أن أصير شخصا كاملاً إلا إذا استطعتُ فهم نفسي، وأنتِ الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه مساعدتي الآن. دعيني أدخل وأجلس قليلا».

كانت الطريقة التي تحدّثتُ بها، لا ما قلته، هي ما جعلتها مشدوهة. ظلّت واقفة في مكانها عند الرواق، تحدّقُ في وجهي. ودون تفكير، سحبتُ يدي الداميةِ من جيبي واستخدمت قبضتي في مرافعتي. وعندما رأَتها، لان تعبير وجهها.

«لقد آذيتَ نفسك...» ليس بالضرورة أنها شعرت بالأسف تجاهي. لقد كان ذلك النوع من الأمور الذي ربما قد شعرت به تجاه كلبٍ مزّق يده، أو قطة جرحت نفسها في مشاجرة. لم يكن الأمر لأنني تشارلي خاصتها؛ بل كان على الرغم منه.

«تعال إلى الداخل واغسل يدك. لديّ بعض الضمادات واليود».

تبِعتُها إلى الحوض الحديدي المتصدّع الذي يضم لوح تصريفٍ مموج، والذي كانت تغسل لي وجهي ويدي عنده كثيرا بعد عودتي من الفناء الخلفي أو عندما أكون مُستعدا للأكل أو النوم. ووقفت تشاهدني وأنا أشمّر عن ساعدي.

«ليتكَ لم تكسر النافذة. سوف يغضب المالك، وليس لديّ ما يكفي من المال لدفع ثمنها». ثم بعد ذلك، وكأنها لم تحتمل طريقتي في فعل الأمر، أخذَت الصابونة منّي وغسلت يدي. وبينما كانت تفعل ذلك، كانت تصبّ جام تركيزها على الأمر،

لـدرجة أنني التزمتُ الصمت خـوفًا مـن إبطـال التعويذة. ومن وقتٍ لآخر، كانت تُقرقر بلسانها أو تُطلق تنهيدة. «تشارلي، تشارلي. تجعل نفسك في حالة فوضى دائما. متى ستتعلم كيفية الاعتناء بنفسك؟» لقد عادت بالزمن ٢٥ عاما إلى الوراء عنـدما كنـتُ صـبيّها الصغير، وكـانت مُسـتعدة للمحاربة من أجل مكاني في العالم.

ثمّ عندما أُزيلت الدماء، وجفّفَت يدي بمناشف ورقية، رفَعت بصرها إلى وجهي وتفحّصته بعينين مرتعبتين، ثم شهقت: «يا إلهي!» وتراجعت بعيدًا.

شرعتُ بالتحدث مجددا بهدوء وإقناع لأقنعها بأنه ما من خطب، وأنني لم أقصِد إلحاق أي ضرر. لكن بينما كنتُ أتحدث، كان باستطاعتي رؤية أنها في حيرةٍ من أمرها. ثم مشّطت المكان حولها بطريقةٍ مُبهمة، وغطّت فمها بيدها وأنّت بينما كانت تعاود النظر إليّ. «المنزل في حالةٍ من الفوضى» قالت. «لم أكن أتوقّع قدوم أحد. انظر إلى تلك النوافذ وإلى المشغولات الخشبية هناك».

«لا عليكِ يا أمّاه. لا تُلقِ للأمر بالا».

«عليّ تلميع هذه الأرضيات مجددا. يجب أن تكون نظيفة». ثم لاحظت بعض آثار الأصابع على الباب فأخـذت رقعـة التنظـيف وفركتـها حتـى اختفـت.

وعندما رَفَعت بصرها نحوي ووجدتني أشاهدها، قطّبت وجهها. «هل أتيت من أجل فاتورة الكهرباء؟»

وقبل أن أجيبها بالرفض، هزّت أصابعها وقالت بتوبيخ: «كنتُ أنوي إرسال شيك مطلع الشهر، لكن زوجي خارج المدينة حاليا من أجل العمل. لقد أخبرتُهم جميعا أنه ما من داعٍ للقلق بشأن المال لأن ابنتي ستتلقّى راتبها هذا الأسبوع، وسنكون قادرين على دفع جميع فواتيرنا، لذا ما من داع للحضور وإزعاجي بشأن المال».

«هل هي طفلتكِ الوحيدة؟ أليس لديكِ أطفالٌ آخرون؟»

بدأت تتحدّث، وأشاحت بنظرها بعيدا. «كان لديّ صبي. ومن شدة ذكائه، شعرت الأمهات الأخريات بالغيرة منه، ووضعن التعويذة الشريرة عليه. يسمّونها معدل الذكاء لكنها تعويذة الذكاء الشريرة. ولولاها لصار رجلًا عظيما. أخبروني أنه كان استثنائيا ألمعيًّا للغاية. كان يمكن أن يصبح عبقريًا...»

ثم التقطت فرشاة تنظيف. «اعذرني الآن. عليّ القيام بالتجهيزات. سوف تحضُر ابنتي اليوم إلى العشاء برفقة شاب، وعليّ أن أجعل هذا المكان نظيفا». وجثَت على ركبتيها وبدأت بفرك الأرضية

اللامعة بالفعل. ولم ترفع بصرها مرة أخرى.

كانت تُتمتم مع نفسها في تلك الأثناء، وجلستُ عند طاولة المطبخ. كنت أنتظرها حتى تستعيد وعيها مما هي فيه، حتى تمُيّزني وتفهم من أنا. لم أكُن لأغادر حتى تعرف أنني صغيرها تشارلي. كان على أحدٍ ما أن يفهم.

كانت قد بدأت تُدندن مع نفسها دندنة حزينة، لكنـها تـوقّفت، وأمسـكت بخِرقتـها فـي منتصـف المسافة بين الدلو والأرض، كما لو أنها شعرت فجأة بوجودي خلفها.

ثم التفتت، بوجهٍ مُتعب وعينين مُتلألئتين، ومالت برأسها إلى الجانب قليلا. «كيف يُعقل هذا؟ أنا لا أفهم. لقد أخبروني أنك لن تتغيّر أبدا».

«لقد أجروا لي عملية جراحية، وهذا ما غيّرني. أنا مشهور الآن. لقد سمع العالم بأسره عنّي. بتُّ ذكيا الآن يا أمي. أستطيع القراءة والكتابة، وأستطيع...»

«الحمد لله» قالت بهمس. «دعواتي؛ طوال هذه السـنوات، ظننــتُ أنـه لـم يسـمعني، لكنـه كـان يسمعني طوال الوقت، وكان ينتظر الوقت المناسب وحسب لتنفيذ مشيئته».

ثم مسَحَت وجهها بمئزرها، وعندما وضعتُ ذراعي

حولها، انفجرت باكية على كتفي. كل ذلك الألم قد انغسل وانمحى، وكنتُ سعيدا لأنني أتيت.

ثم قالت والابتسامة تعلو محيّاها: «عليّ إخبار الجميع. كل أولئك المدرسين في المدرسة. أوه، انتظر حتى ترى تعابير وجوههم عندما أخبرهم. والجيران. والعم هيرمان، عليّ إخبار العم هيرمان. سيُسعده سماع ذلك كثيرا. وانتظر حتى يعود والدك إلى المنزل، وأختك! أوه، كم ستكون سعيدة لرؤيتك. ليس لديك أدنى فكرة عن ذلك».

ثم عانقتني وهي تتحدّث بحماسةٍ بالغة، وتضعُ خططًا للحياة الجديدة التي كنّا سنعيشها معا. لم أستطع التحلي بالجرأة الكافية لأُذكّرها بأن معظم معلّمي طفولتي قد غادروا هذه المدرسة، وأن الجيران قد انتقلوا منذ زمن بعيد، وأن العم هيرمان قد توفي منذ سنينَ خلَت، وأن والدي هجرها. لقد كان كابوس حدوث كل تلك السنوات مُؤلماً بما فيه الكفاية. أردّتُ رؤيتها تبتسم، ومعرفة أنني من جعلها سعيدة. فللمرة الأولى في حياتي، كنتُ قد رسمتُ ابتسامة على شفتيها.

ثم وبعد برهةٍ من الزمن، توقّفت، وأمعنت التركيز، كما لو كانت تحاول أن تتذكّر شيئا ما. وشعرتُ بأن عقلها على وشك أن يهيم مجددا. «كلا!» صحتُ بصوتٍ مرتفع، مُعيدًا إياها إلى الواقع. «انتظري يا

أماه! هناك شيءٌ آخر. شيءٌ أريدك أن تحصلي عليه قبل أن أذهب».

«تذهب؟ لا يمكنك الذهاب بعيدا الآن».

«عليّ أن أذهب يا أماه. هنالك أمور يتعيّن عليّ فعلها. لكن سأبعث لكِ بالرسائل، وأرسل إليك المال».

«لكن متى ستعود؟»

«لا أدري... بعد. ولكن قبل أن أذهب، أريدكِ أن تحصلي على هذه».

«مجلة؟»

«ليس تماما. إنه تقرير علميّ كتبتُه. متخصص جدا. انظري، اسمه تأثير ألغيرنون-جوردن. شيءٌ اكتشفتُه بنفسي، وسُمّي جزئيا على اسمي. أريدكِ أن تحتفظي بنسخةٍ منه حتى تُظهري للناس أن ابنكِ أصبح، بعد كل شيء، أكثر من مجرّد أبله».

أخذَتها ونظَرت إليها بانبهار. «إنه...إنه اسمك. كنتُ أعلم أن هذا سيحدث. لطالما قلتُ إنه سيحدث يوما ما. لقد جرَّبتُ كل ما بوسعي. كنتَ أصغر من أن تتذكّر، لكنّني حاولت. لقد أخبرتُهم جميعا أنّك ستكبرُ وتذهبُ إلى الكلية وتصبح رجلا محترفا وتترك بصمتك في هذا العالم. لقد سخروا مني

جميعا، لكنّني أخبرتهم».

ثم انفرجت عن أساريرها ابتسامة عبر الدموع، وبعد لحظات، لم تعُد تنظر إليّ. بعدها التقطت خِرقتها وبدأت في مسح المشغولات الخشبية حول باب المطبخ، وبدأت تدندن -وبدا لي أنه على نحوٍ أكثر سعادة- كما لو كانت في حُلم.

شرع الكلب في النباح مرّة أخرى. ثم انفتح الباب الأمامي وأُغلِق، وصدح صوت: «حسنا يا نابي. حسنا، إنها أنا» وكان الكلب يقفز بحماسٍ أمام باب غرفة النوم.

كنتُ غاضبًا من كوني محاصرًا هنا. لم أكن أريد رؤية نورما. لم يكن ثمّة ما نقوله لبعضنا البعض، ولم أكن أريد لزيارتي أن تفسَد. لم يكن هناك بابٌ خلفي، وكانت الطريقة الوحيدة هي الخروج من النافذة إلى الفناء الخلفي ثم العبور من فوق السياج. لكن ربما يظنّ أحدهم أنّني لص.

وعندما سمعتُ مفتاحها في الباب، همستُ لوالدتي -ولا أدري لمـاذا- قـائلا: «لقـد عـادت نورمـا إلـى المنزل». لمستُ ذراعها، لكنّها لم تسمعني. كانت منهمكة للغاية في الدندنة مع نفسها بينما كانت تمسح المشغولات الخشبية.

فُتِح الباب، فرأتني نورما ثم قطّبت جبينها. لم

تتعرّف عليّ في البداية؛ كان الجو معتما، إذ إنّ الأنوار لم تكُن مُضاءة. حينها وضعت نورما أكياس التسوق التي كانت تحملها، وأشعلت الأضواء. «من أنت؟»، ولكن قبل ان أتمكن من الإجابة، غطّت يدها بفمها وتراجعت بظهرها ناحية الباب.

«تشارلي!» قالتها بنفس الطريقة التي قالتها والدتي؛ شاهقة. كما أنها بدت كوالدتي في الأيام الخوالي، نحيلة، حادة الملامح، شبيهة الطّير، جميلة.

«يا إلهي يا تشارلي. يا لها من صدمة! لربّما كان عليك التواصل معي وتحذيري. كان عليك الاتصال أولا. لا أدري ماذا أقول...» ثم نظَرت إلى والدتي وهي تجلس على الأرض بالقرب من الحوض.

«أهي على ما يُرام؟ هل تسبّبتَ لها بصدمة أو شيء من هذا القبيل؟»

«لقد خرجَت مما هي فيه لبرهة من الزمن. تحدثنا قليلا...»

«كم يسعدني هذا. إنها لا تتذكر الكثير من تلك الأيام. إنها شيخوخة التقدم بالعمر. يريد مني الطبيب بورتمان أن أضعها في دارٍ لرعاية المسنين، لكن لا يمكنني فعل ذلك. لا أحتمل التفكير في وجودها في إحدى تلك المؤسسات». ثم فتحت باب غرفة النوم لكي تسمح للكلب بالخروج،

وعندما تقافز وأنّ بسعادة، حملته وعانقته. «لا يمكنني فعل هذا بوالدتي قط». وابتسمت لي بشيءٍ من التوجّس. «حسنا، يا لها من مفاجأة. ولا في الأحلام. دعني أنظُر إليك. لم أكن لأتعرّف عليك البتة. كنتُ لأمرّ بجانبك في الشارع دون أن أعرف. مختلفٌ للغاية.» ثم تنهدت وقالت: «أنا سعيدة برؤيتك يا تشارلي».

«أأنتِ سعيدة حقا؟ لم أكن أظن أنّكِ سترغبين برؤيتي مجدداً».

«أوه، تشارلي!» وضمّت يدي بين يديها. «لا تقل هذا. أنا سعيدة برؤيتك حقًا. كنتُ أتوقع قدومك. لم أكن أدري متى، لكنني كنت أعرف أنك ستعود يوما ما. منذ أن قرأتُ خبر هروبك في شيكاغو». ثم عادت إلى الخلف قليلا لتتفحّصني.

«أنت لا تعرف كم فكّرتُ فيك وكم تساءلتُ عن مكانك وعمّا كنت تفعله. حتى أتى ذلك الأستاذ إلى هنا في -متى كان ذلك؟ شهر مارس الماضي؟ منذ سبعة أشهر؟- وأخبرتُه أنني لم أكن أملك أدنى فكرة أنك على قيد الحياة. لقد أخبرَتني أنك قد وافتك المنيّة في دار وارين، وصدقّتُ الأمر طوال هذه السنين. ثمّ عندما أخبروني أنك على قيد الحياة وأنّهم كانوا بحاجة إليك من أجل التجربة، لم أكن أدري ماذا أفعل. والأستاذ... نيمور -أهذا هو اسمه؟-

لم يسمح لي برؤيتك. قال إنه يخشى إزعاجك قبل العمليّة. لكن عندما قرأتُ في الجريدة أنها نجحت وأنك أصبحت عبقريًّا -يا للروعة!- ليس لديك أدنى فكرة عمّا شعرتُ به حيال ذلك.

«أخبرتُ جميع الأشخاص في مكتبي بالأمر، وأخبرتُ أيضا تلك الفتاة في نادي لعبة البريدج. لقد أريتهم صورتك في الجريدة وأخبرتهم أنّك ستعود إلى هنا يوما ما لرؤيتنا. وها قد عدت. لقد عدّت حقا. لم تنس وجودنا».

وعانقتني مرة أخرى. «أوه، تشارلي. تشارلي... يا له من أمرٍ رائع أن يكون لديّ فجأة أخٌ أكبر. ليس لديكَ أدنى فكرة عن ذلك. فلتجلس حتى أُعِدّ لك شيئا تأكُله. عليك أن تخبرني بكل شيء عن الأمر وعن مخطّطاتك. أنا... أنا لا أعرف من أين أبدأ بطرح الأسئلة. لا بدّ أنّني أبدو سخيفة؛ كفتاةٍ اكتشفت لتوّها أن أخاها بطل أو نجم سينمائي أو شيءٍ من هذا القبيل».

كنتُ في حيرةٍ من أمري، إذ لم أكن أتوقّع مثل هذا الترحيب من نورما. لم يخطر ببالي قطّ أن وجودها بمفردها مع والدتي طوال هذه السنوات قد جعلها تتغيّر. ومع ذلك، فقد كان أمرا حتميًا. لم تعُد تلك الشقيّة المدُلّلة من ذكرياتي. كانت قد نضجت، وأصبحت دافئة وعطوفة وحنونة.

وتحدثنا معًا. يا له من أمر مثير للسخرية، أن أجلس هناك مع أختي ونتحدث نحن الاثنين عن والدتنا -الموجودة معنا في الغرفة مباشرة- وكأنها لم تكن موجودة. وكُلّما كانت نورما تتحدث عن حياتهما معا، كنت أنظر إلى روز لأرى ما إذا كانت تستمع، لكنها كانت غارقة في عالمها الخاص، كما لو أنّها لم تفهم لُغتنا؛ كما لو أنها لم تعد تهتم بأيٍّ من ذلك. كـانت تحـوم فـي أرجـاء المطبـخ كشـبح، تلتقـط الأشـياء، وتضـع الأشياء بعيـدا، ودون حتـى أن تعترض الطريق. كان أمرًا مُخيفًا.

راقبتُ نورما وهي تُطعم كلبها. «إذن فقد حصلتِ عليه أخيرا. نابي، اختصار لنابليون، أليس كذلك؟» اعتدلت وقطّبت جبينها. «كيف عرفت؟»

شرحتُ لها الذكرى: عندما أحضَرت ورقة اختبارها إلى المنزل على أمل الحصول على الكلب، وكيف حرّم مات ذلك. كان عبوس وجهها يزداد تعمقا بينما كنتُ أحكي القصة.

«لا أذكُر أيّ شيء من هذا. أوه تشارلي، هل كنتُ لئيمة معك؟»

«هنالك ذكرى واحدة تثير فضولي. لستُ متأكدا حقًا من أنها ذكرى، أم حلم، أم شيء اختلقه عقلي بالكامل. كانت المرّة الأخيرة التي لعبنا فيها معًا

كأصدقاء. كُنّا في القبو، وكنّا نلعب لعبة بأغطية المصابيح فوق رؤوسنا، حيث كنا نتظاهر بأنّنا حمّالون صينيّون، متقافزون على مفرش سريرٍ قديم. كنتِ بعمر السابعة أو الثامنة على ما أظنّ، وكنتُ أنا في الثالثة عشرة من عمري. وبحسب ما أتذكر، فقد قفزتِ من على الفراش عاليا وصدمتِ رأسكِ بالجدار. ولم تكُن صدمة قوية بل مجرد كدمة، لكن أبي وأمّي هرعا مسرعين نحو الأسفل لأنّكِ كنتِ تصرخين. وقلتِ إنّني كنتُ أحاول قتلكِ.

«ألقَت باللوم على مات لأنه غفل عن مراقبتي، لأنه تركنا بمفردنا معا، وضربتني بحزام حتى كدّتُ أفقد وعيي. أتذكرين ذلك؟ هل حدث الأمر على هذا النحو حقا؟»

ذُهِلت نورما بوصفي للذكرى، كما لو أنها أيقظت بداخلها صورا كانت نائمة. «الأمر كله مُبهم. كما تعلم، كنتُ أظنّ أنّ هذا حلمي. أذكر أننا كنا نضع أغطية المصابيح على رؤوسنا، ونتقافز على المفارش». ثم أخذت تنظر عبر النافذة. «كنتُ أكرهك لأنهما كانا يثيران الضجة بشأنك طوال الوقت. لم يضربكَ أحد منهما قط على عدم أدائك لواجباتك بصورة صحيحة، أو لعدم حصولك على أفضل العلامات. كُنتَ تغيب عن الحصص الدراسية معظم الوقت وتلعب الألعاب، بينما كان يجب

عليّ الذهاب إلى أصعب الحصص في المدرسة. يا إلهي، كم كنتُ أكرهك. كان الأطفال الآخرون في المدرسة يشخبطون صورا على السبورة؛ صبي يرتدي قبعة الأغبياء المخروطية على رأسه، وتحته كتبوا شقيق نورما. كما كانوا يشخبطون أشياء على الرصيف في الفناء الخلفي للمدرسة؛ أخت الأحمق، وعائلة جوردن الأبله. ثم ذات يوم عندما لم تدعُني إميلي راسكين إلى حفلتها، علمت أنه بسببك. وعندما كنا نلعب هناك في القبو بأغطية المصابيح على رؤوسنا، كان عليّ أن آخذ حقّي منك». وبدأت بالبكاء. «لذا كذبتُ وقلت إنك آذيتني. أوه يا تشارلي، كم كنتُ حمقاء. كم كنتُ شقيّة مُدلّلة. أشعر بالخجل الشديد...»

«لا تلقِ باللوم على نفسِك. لا بد من أن مواجهة الأطفال الآخرين كانت مُهمّة شاقة. بالنسبة لي، فقد كان هذا المطبخ عالمي، وتلك الغرفة التي هناك. لم يكن يهمني أي شيء آخر طالما أن هذا آمن، أما أنتِ فقد كان عليك مواجهة بقيّة العالم».

«لِمَ أرسلوك بعيدا يا تشارلي؟ لمَ لم يدعوك تبقى هنا وحسب وتعيش معنا؟ لطالما تساءلتُ عن ذلك. وفي كل مرة أسألها عن الأمر، تجيبُني بأن ذلك كان في سبيل مصلحتك».

«لقد كانت على حق بطريقةٍ ما».

هزّت رأسها. «لقد أرسلتكَ بعيدا بسببي، أليس كذلك؟ أوه يا تشارلي، لماذا تحتّم وقوع ذلك؟ لم حدث كل هذا لنا؟»

لم أدرِ ماذا أقول لها. تمنيتُ لو أنّ باستطاعتي أن أقول لها إننا، مثل بيت أتريوس أو مثل كامو، نعاني بسبب خطايا أسلافنا، أو تحقيقا لنبوّة يونانيّة قديمة. لكنني لم أكن أحمل أية إجابات لها، أو لنفسي.

«إنّه ضربٌ من الماضي» قلت. «أنا سعيد برؤيتكِ مجددا. هذا يهوّن الأمر قليلا».

ثمّ أمسكت فجأة بذراعي. «أنت لا تعرف ما مررتُ به طوال هذه السنوات يا تشارلي. الشقة، وهذا الشارع، ووظيفتي. كلّه أشبه بكابوس، العودة إلى المنزل كل يوم، متسائلة عمّا إذا كانت ما تزالُ هنا، وهل تسبَّبت في أذيّة نفسها. يملؤني الذنب لتفكيري في أمورٍ كهذه».

نهضّتُ وجعلتُها تستند على كتفي، فأجهَشَت بالبكاء. «أوه تشارلي، كم أنا ممتنة لعودتك الآن. لقد كُنّا بحاجة إلى أحد. أنا منهكة للغاية...»

كنتُ قد حلمتُ بوقتٍ كهذا، لكن مع تحققه الآن؛ ما الفائدة منه؟ لم أستطع إخبارها بما سيحدث لي.

ومع ذلك، هل يمكنني قبول عاطفتها بناءً على ادعاءات زائفة؟ لم أخدعُ نفسي؟ لو أنني كنت ما أزال تشارلي القديم الأبله والعالة، لما تحدّثت معي بنفس الطريقة. لذا بأي حقّ أحصل عليها الآن؟ سوق يتمزق قناعي عمّا قريب.

«لا تبكِ يا نورما. سوف يسير كل شيء على ما يُرام». سمعتُ نفسي أنطق بعباراتٍ مُطمئِنة. «سأحاول الاعتناء بكما. إنّني أدخر بعض المال، ومع ما تدفعه المؤسسة لي، فإنني سأكون قادرا على إرسال بعض المال إليكِ بانتظام؛ لفترة على أية حال».

«لكنك لن ترحل! يجب عليك المكوث معنا الآن...»

«عليّ السفر قليلا، وأداء بعض الأبحاث، وإلقاء بعض الخطابات، لكنّني سأحاول العودة لزيارتك. فلتعتنِ بها جيدا. لقد خاضَت غمار الكثير. سأقدّم لكِ المساعدة طالما أنا قادر على تقديمها».

«تشارلي! كلا! إياك أن تذهب!» وتشبّثت بي. «أنا مرعوبة».

الدور الذي لطالما أردّتُ لعبه؛ الأخ الأكبر.

في تلك اللحظة، شعرتُ أن روز، والتي كانت تجلس في الزاوية بهدوء، تحدّق بنا. كان شيءٌ ما

في وجهها قد تغيّر. عيناها كانتا مُتسعتين، وكانت قد انحنت إلى الأمام على حافّة مقعدها، وكل ما استطعتُ التفكير فيها كان أنها مثلُ صقرٍ على وشك الانقضاض.

دفعتُ نورما بعيدا عنّي، لكن وقبل أن أقول أي شيء، كانت روز واقفة على قدميها. كانت قد أخذت سكين المطبخ من على الطاولة، وكانت توجِّهُها نحوي.

«ماذا تفعل بها؟ ابتعد عنها! لقد أخبرتُك بما سأفعلُه بك إن وجدتُّك تلمس أختك مجددا! عقلُك القذر! مكانك ليس بين الناس الطبيعيين!»

قفزنا نحن الاثنين إلى الوراء، ولسببٍ جنونيّ ما، شعرتُ بالذنب، كما لو أنّه قد أُمسِك بي وأنا أقترف خطأ، وكنت أعلم أن نورما تشعر بنفس الأمر. كان الأمر كما لو أنّ اتهام والدتي قد جعل الأمر حقيقة، أننا كُنا نقوم بفعلٍ فاحش.

صرخت نورما في وجهها قائلة: «أماه! ضعي السكين جانبا!»

أعادت إليّ رؤية روز وهي واقفة هناك تحمل السكين صورة تلك الليلة التي أجبرَت فيها مات على أخذي بعيدا. كانت تعيش تلك اللحظة من جديد الآن. كنتُ عاجزا عن الحديث أو الحركة. اجتاحني

الغثيـان، والتوتـر الخـانق، والطنـين فـي أذنـي، ومعدتي تتلوّى وتتمدّد كما لو كانت تريد تمزيق جسدي والخروج منه. كان بحوزتها سكّين، وأليس كان بحوزتها سكّين، ووالدي كان بحوزته سكّين، والطبيب شتراوس كان بحوزته سكّين...

لحُسن الحظ أنّ نورما كانت تتمتّع بالحضور العقلي الذي مكّنها من أخذ السكين منها، لكنها لم تستطع محو الخوف القابع في عيني روز بينما كانت تصرخ في وجهي. «أخرجيه من هنا! بأي حقٍّ ينظر إلى شقيقته والجنس في ذهنه!»

ثم صرخت روز وغاصت في مقعدها من جديد، وهي تجهش بالبكاء.

لم أدرِ ماذا أقول، وكذلك نورما. كنا نشعر بالإحراج. باتت تعرف الآن سبب إرسالي بعيدا.

تساءلتُ حينها ما إذا كنتُ قد فعلتُ شيئا يبرّر خوف روز. لا ذكريات لديّ تخصّ هكذا حوادث، لكن كيف يمكنني التيقّن من أنه لم تكن هنالك أفكار مُريعة تقبع مقموعة وراء ضميري المُعذَّب؟ فـي الممـرّات المغلقـة بإحكام، خلـف الطـرق المسدودة، والتي لن أتمكّن قط من رؤيتها. ربما لن أعرف أبدا. وأيا تكن الحقيقة، فعليّ ألّا أكره روز لحمايتها لنورما. عليّ تفهُّم الطريقة التي نظرت بها

إلى الأمر. يجب أن أغفر لها، وإلا فلن أحصل على شيء.

كانت نورما ترتجف.

«هوّنـي عليـكِ» قلـت. «إنـها لا تـدرك مـا تفعلـه. هيجانُها لم يكن موجّهًا نحوي، بل نحو تشارلي القديم. كانت خائفة ممّا قد يفعله بكِ. ولا يمكنني لومها على رغبتها في حمايتكِ. لكن ليس علينا التفكير في الأمر الآن، لأنه قد رحل للأبد، أليس كذلك؟»

لم تكن تستمع إليّ، وكان هنالك تعبيرٌ حالمٌ على وجـهها. «لقـد مـررتُ للتـو بإحـدى تلـك التجـارب الغريبة التي يحدث فيها شيء ما، فيراودكَ شعور بأنّك تعلم أنّه سيحدث، كما لو أنّ الأمر برمته قد حدث من قبل، بنفس الطريقة، وأنت تشاهده يتكشّف أمامك من جديد..»

«تجربة شائعة جدا».

هزّت رأسها. «الآن مباشرة، عندما رأيتُها وهي تحمل السكين، كان الأمر أشبه بحلمٍ راودني منذ زمن بعيد».

مـا الفائـدة مـن إخبـارها بأنـها كـانت، بـلا شـك، مُستيقظة في تلك الليلة وهي طفلة، وأنها قد

شهدت الأمر برمته من غرفتها، أن التجربة خضعت لقمعٍ وتحوير حتى صارت بالنسبة لها خيالا. ما من داعٍ لإثقال كاهلها بالحقيقة. سوف تخوضُ ما يكفي مـن الـحزن مـع والـدتي فـي الأيـام المقبلـة. إنّه ليسعدني أن أحمل من العبء والألم من على عاتقها، لكن لا جدوى من بدء شيءٍ لا يمكنني إنهاؤه. سيكون لديّ معاناتي الخاصة التي يتحتّم عليّ العيش بها، إذ لم يكن هنالك طريقة لمنع رمال المعرفة من الانزلاق عبر ساعة ذهني الرمليّة.

«عليّ أن أذهب الآن» قلت. «اعتنِ بنفسك، وبها». وضغطّتُ يدها. ثم عندما كنتُ في طريقي إلى الخروج، شرع نابليون ينبح في وجهي.

ضـممته لأطـول فتـرة ممكنـة، لكـن الأمـر صـار مستحيلا بمجرد وصولي إلى الشارع. من الصعب كتابة الأمر، لكن الناس كانوا يلتفتون وينظرون نحوي بينما كنت أسير باتجاه السيارة، وأنا أبكي كطفل. لم أستطع منع نفسي، ولم أهتمّ بفعل ذلك.

وبينما كنتُ أمشي، دقّت الكلمات السخيفة طبولها في رأسي، مرارا وتكرارا، حتى ارتفعت إلى إيقاع ضجيج طنّان:

ثلاثة فئران عمياء... ثلاثة فئران عمياء،

انظر كيف تركض! انظر كيف تركض!

تركض جميعا وراء زوجة المُزارع،

تقطع أذيالها بسكّينة نحت،

هل رأيت في حياتك مثل هذا المنظر،

كثلاثة... فئران... عمياء؟

حاولتُ إخراجها من أذني، لكنّني لم أستطع، وعندما التفتُّ مرّة إلى الوراء لإلقاء نظرة على المنزل والشُّرفة، رأيتُ وجه صبيّ، يحدّق فيّ، وخدّه مسنود على زُجاج النافذة.

تقرير تطور ١٧

٣ أكتوبر- انحدار. أفكار انتحارية لإنهاء كل شيء الآن بينما لا تزال لديّ سيطرة على العالم من حولي. لكنني أعود للتفكير في تشارلي المُنتظر عند النافذة. حياته ليست ملكا لي كي أتخلص منها. لقد استعرتُها لفترة فحسب، والآن، مطلوب منّي أن أعيدها.

يجب عليّ تذكّر أنني الشخص الوحيد على الإطلاق الذي يمرّ بهذه التجربة. وعليّ مواصلة تدوين أفكاري ومشاعري ما دمتُ أستطيع فعل ذلك.

إن تقارير التطور هذه هي مساهمة تشارلي جوردن للبشرية. لقد أصبحتُ مُهتاجا وسريع الانفعال. أتشاجر مع الناس في المبنى بشأن عدّة تكبير الصوت في وقت متأخر من الليل. صرت أستخدمها كثيرا منذ توقفي عن العزف على البيانو. من غير المنطقي الاستمرار في تشغيلها لساعاتٍ طويلة، لكنني أفعل ذلك لإبقاء نفسي مُستيقظًا. أعلم أنه يجب عليّ النوم، لكنّي أعض بنواجذي على كل لحظة أكون فيها مستيقظا، ليس خوفا من الكوابيس فحسب، بل لأنني أخشى التخلّي.

أقول لنفسي إنه سيكون هنالك وقت للنوم لاحقا، عندما يستحيل الوضع ظلاما.

لم يكن السيد نيفور الذي يقطن في الشقة السفلية يتذمّر قط، لكنه يدق الآن دائما على الأنابيب أو على سقف شقته كي أسمع الطرق من تحت قدمي. تجاهلتُ الأمر في البداية، لكنه أتى في الليلة الماضية وهو يلبس رداء حمّامه. تشاجرنا وصفعتُ الباب في وجهه بعنف. وبعد مرور ساعة، عاد وبصحبته شرطيّ أخبرني أنه لا يمكنني تشغيل أشرطة التسجيل بصوت مرتفع في الرابعة فجرًا. ملأتني الابتسامة التي ارتسمت على وجه فينور بغضبٍ شديد لدرجة أنني بذلت قصارى جهدي لأمنع نفسي من ضربه. وعندما غادرا، حطّمتُ الجهاز وجميع التسجيلات. لقد كنتُ أخدع نفسي على أية حال. لم أعد أحبّ هذا النوع من الموسيقى حقًا.

٤ أكتوبر- أغرب جلسة نفسية حظيت بها على الإطلاق. كان شتراوس منزعجا. إذ لم يكن يتوقع ما حدث هو الآخر.

إنّ ما حدث -لا أجرؤ على تسميته بذكرى- كان تجربة روحية أو هلوسة.

لن أحاول شرح ما حدث أو تفسيره، لكنّني سأدوّنه كما حدث وحسب.

كنتُ شديد الحساسية ومنفعلا عندما دخلت إلى

مكتبه، لكنّه تظاهر بعدم ملاحظة ذلك. استلقيتُ على الأريكة فورا، أما هو فقد أخذ -كعادته- كُرسيه ووضعه عند إحدى جانبي الأريكة ورائي قليلا، بحيث يكون بعيدا عن نظري فحسب، وانتظر مني الشروع في طقوس صب جميع السموم المتراكمة في عقلي.

أطلتُ بعُنقي إلى الوراء لأنعم النظر فيه. كان يبدو مُتعبًا ومُترهّلا، وقد ذكّرني، بطريقةٍ ما، بمات وجلوسه على كرسي الحلاقة خاصته في انتظار الزبائن. أخبرتُ شتراوس بالترابط، فأومأ وانتظر.

«هل تنتظر الزبائن؟» سألت. «عليك أن تجعل تصميم هذه الأريكة ككرسي حلّاق. ثم عندما ترغبُ في حدوث تداعٍ حُرّ، يمكنك جعل المرضى يتمددون كما يفعل الحلاق عندما يضع الرغوة على زبائنه، وعندما تنتهي الخمسون دقيقة، يمكنك رفع الكرسي نحو الأمام من جديد وإعطاءه مرآه ليرى كيف أصبح مظهره الخارجي بعد أن حلقتَ أناه».

لم ينطِق، ومع أنّني شعرتُ بالخزي من طريقة إساءتي إليه، إلا أنني لم أستطع التوقف. «عندها يمكن لمريضك القدوم في كل جلسة وقول أشياء مثل (فلتقصّر أطراف قلقي من فضلك) أو (لا تشذّب الأنا العُليا بدرجة كبيرة، إن كنت لا تمانع) أو أنه قد يأتي حتى من أجل شامبو أناناس؛ أقصد

شامبو أنا. هه! هل لاحظت زلة اللسان أيها الطبيب؟ دوّن ملاحظة بشأنها. قلتُ إنّني أريد شامبو أناناس بدلا من شامبو أنا. أناناس... أنا... متقاربتان، أليس كذلك؟ هل يعني هذا أنني أريد الاغتسال والتطهّر مـن خطـاياي؟ أن أولـد مـن جـديد؟ أهـو رمزيّة للمعموديّة؟ أم أنني كنت أحْلِق لدرجةٍ أقرب من اللازم؟ هل لدى الأهبل هُو؟»

ترقّبتُ ردّة فعل، لكنه تحرك في مقعده فحسب.

«هل أنت مستيقظ؟» سألت.

«أنا مُنصِت يا تشارلي».

«منصتٌ فقط؟ ألا تغضبُ أبدا؟»

«لِمَ تريـدني أن أغضـب منـك؟» قلـتُ متنـهّدا. «شتراوس المتبلّد: غير قابل للتحريك. سأخبرك شيئا. لقد سئمتُ وضجرتُ من قدومي إلى هنا. ما معنى العلاج النفسي بعد الآن؟ أنت تعرف مثلي تمام المعرفة ما سوف يحدث».

«لكنّني أعتقد أنك لا تريد التوقف» أجاب. «أنت تريد الاستمرار في خوضه، أليس كذلك؟»

«إنه شيءٌ سخيف. مضيعة لوقتي ووقتك».

استلقيتُ هناك في الضوء الخافت، وحدّقتُ في

نمط المربّعات الموجود على السقف... بلاطات لامتصاص الضوضاء، بآلاف الثقوب الصغيرة التي تبتلعُ كلّ كلمة. الصوت يُدفن حيّا في ثقوب صغيرة في السقف.

وجدّتُ نفسي وقد أُصِبتُ بالدوار. عقلي كان فارغا، الأمر الذي كان غير عاديا، إذ دائما ما يكون بحوزتي الكثير من المواد التي أجلبها معي إلى جلسات العلاج النفسي من أجل التحدث عنها. أحلام... ذكريات... تداعيات... مشكلات... لكنّني شعرت الآن بالعزلة والفراغ. لا يوجد سوى أنفاس شتراوس المتبلّد خلفي.

«ينتابني شعورٌ غريب» قلت.

«أتريد التحدث عنه؟»

أوه، يا له من عبقري. كم كان بارعًا! ما الذي أفعله هناك بحق الجحيم على أية حال، تاركًا الثقوب الصغيرة في السقف والأخرى الكبيرة في طبيبي النفسي تمتصّ تداعياتي؟

«لا أدري ما إذا كانت لديّ الرغبة في الحديث عنه،» قلت. «أشعر، وعلى غير العادة، بالعدائية تجاهك اليوم». ثم أخبرتُه بما كنتُ أفكّر فيه.

كان بمقدوري، دون أن أراه، معرفة أنه كان يومئ

لنفسه.

«يصعب شرحه» قلت. «شعورٌ سبق وانتابني لمرة أو لمرّتين قبل إغمائي مباشرة. دوارٌ خفيف. كثافةٌ تحيط بكل شيء... لكنّ جسدي يشعر بالبرد والخدَر».

«تابِع حديثك» كان في صوته حِدّة تنمّ عن الإثارة. «وماذا أيضا؟»

«لم يعد بإمكاني الإحساس بجسدي. أشعر بالخدَر. ينتابني شعور بوجود تشارلي بالجوار. عيناي مفتوحتان -متأكد من هذا- أليستا كذلك؟

«نعم، مفتوحتان على اتساعهما».

«ومع ذلك، أرى وهجا أبيض مُزرقّا من الجدران والسقف، يجتمع على شكل كُرةٍ متلألئة. باتت الآن مُعلّقة في الجوّ. ضوء... يحاول الدخول عنوة إلى عينيّ... وذهني... كل شيء في الغرفة يتوهّج... أشعر بأنّني أطفو... أو بالأصح، أنبسِط وأتوسّع في الأرجاء. ومع ذلك، ودون أن أنظر إلى الأسفل، أعلم أن جسدي لا يزال هنا على الأريكة...»

أهذه هلوسة؟

«هل أنت على ما يُرام يا تشارلي؟»

أم أنّها الأشياء التي يصِفُ حدوثها الصوفيّون؟

أسمعُ صوته، لكنني لا أريد الرد عليه. يزعجني وجوده هنا. عليّ أن أتجاهله. فلأبقَ خاملا ولأدع هذا -أيا تكن ماهيّته- يملؤني بضوئه ويبتلعني داخله.

***

«ماذا ترى يا تشارلي؟ ما الأمر؟»

نحو الأعلى، أتحرّك، كورقةٍ في تيّارٍ صاعد من الهواء الدافئ. مُسرِعًا، ذرّاتُ جسدي تندفع مُتباعدة عن بعضها البعض. أُصبحُ أكثر خفّة، وأقلّ كثافة، وأكبر... أكبر... مُندفعا نحو الخارج باتّجاه الشمس. أنا عالَمٌ آخِذ في التوسع والسباحة نحو الأعلى في بحرٍ صامت. صغيرٌ في البداية، ثم أضمّ جسدي، والغرفة، والمبنى، والمدينة، والبلد، إلى أن أعرف أنني إذا نظرت إلى الأسفل فسأرى ظلّي يحجب الأرض.

خفيفٌ وبلا شعور. أنجرف وأتمدّد عبر الزمان والمكان. وبعدها، وبينما أعلم أنّي على وشك النفاذ عبر قشرة الوجود، كسمكةٍ طائرة تقفز من البحر، أشعر بما يسحبني من الأسفل.

ويزعجني ذلك. أريد التخلص منه. وبينما أنا على مشارف الاندماج بالكون، أسمعُ الهمسات تحيط بتِلال الوعي. وذلك الاجتذاب الطفيف للغاية يُبقيني

متصلا بالعالم المحدود والبائد تحتي.

وببطء، ومع انحسار الأمواج، تتقلّص روحي المُنبسطة إلى أبعادٍ أرضيّة من جديد، بغير إرادتي، فأنا أُفضّل ضياع نفسي، لكنني أتعرّض للجذب من الأسفل، إلى نفسي، داخل نفسي، كي أُصبح للحظة على الأريكة من جديد، مُدخِلا أصابع وعيي في قفّاز جسدي. وأعلم أن بمقدوري تحريك هذا الإصبع أو غمز تلك العين، إذا أردت. لكنّي لا أريد التحرّك. لن أتحرّك!

أنتَظِر، وأدعُ نفسي مُنفتحة، وخاملة، لأيًّا يكن ما تعنيه هذه التجربة. تشارلي لا يريدني أن أنفذ عبر السّتار العُلوي للعقل لأعرف ما يكمُن وراءه.

أيخشى رؤية الرب؟

أم يخشى رؤية اللا شيء؟

وبينما أستلقي مُنتظرا، تعبرُ اللحظة التي أكون خلالها نفسي داخل نفسي، وأفقدُ كلّ شعورٍ بالجسم والإحساس. تشارلي يسحبني إلى نفسي. أحدّقُ إلى الداخل في مركز عيني التي لا ترى، إلى البقعة الحمراء التي تُحوّل نفسها إلى زهرةٍ مُتعدّدة البتلات، الزهرة المتلألئة الدوّارة المضيئة التي تقبع في لُبّ اللاوعي عندي.

إنني أتقلّص. ليس بمعنى أن ذرَات جسدي تصبح أكثر تقاربا وكثافة، بل كانصهار، كأنّ ذرّات نفسي تندمج ضمن عالمٍ مُصغَّر. ستكون هناك حرارة عظيمة وضوء لا يمكن احتماله؛ الجحيم داخل الجحيم، لكنّي لا أنظر إلى الضوء، بل إلى الزهرة فقط، تكفّ عن التضاعف، تكفّ عن الانقسام، حتى تعود مُجددا من الكثير لتصير واحدة. وللحظة، تتحوّل الزهرة المتُلألئة إلى القرص الذهبي الذي يدور حول سلسلة، ثم إلى فقاعة أقواس قزح الدوّارة، وأخيراً، أعود إلى الكهف حيث كل شيء هادئ ومُظلم، وأسبح عبر المتاهة الرطبة باحثًا عن أحد يستقبلني... يحتضني... يمتصّني... داخل نفسه.

لربّما أبدأ.

وفي اللُّب، أرى الضوء من جديد، فتحةٌ في أكثر الكهوف ظُلمة، باتت الآن ضئيلة وصعبة المنال عبر الفتحة الخاطئة لتليسكوب- برّاقة، مُسبّبة للعمى، متلألئة، ومرة أخرى، الزهرة متعددة البتلات (زهرة لوتس دوّارة، تطفو قرب مدخل اللاوعي).

عند مدخل ذلك الكهف سأعثر على الإجابة؛ إن كنتُ أجرؤ على العودة والغوص عبرهُ إلى الما وراء، داخل مغارة الضوء.

ليس بعد!

أنا خائف. ليس من الحياة، أو الموت، أو العدم، بل من إهدارها كما لو أنني لم أوجد قط. وبينما أشرعُ في التوجّه نحو الفتحة، أشعر بالضغط يُطبِق عليّ، يدفعُني في حركات موجيّة عنيفة نحو فم الكهف.

إنها صغيرة جدًا! لا أستطيع الدخول!

وفجأة، أجدني أُقذَف نحو الجدران، مرارًا وتكرارا، وأُدخَل بقوة عبر الفتحة حيث الضوء يهدّد بتفجير عينيّ. ومن جديد، أعرف أنني سأنفذ عبر القشرة إلى الضوء المقدّس. أكثر مما يمكنني احتماله. الألم كما لم اختبره من قبل، وبرودة، وغثيان، والطنين العظيم يرفرف فوق رأسي كألفِ جَناح. أفتحُ عينيّ، معميًا من الضوء الكثيف. وأضربُ بأطرافي الهواء، وأرتجف وأصرخ.

**

خرجتُ من الأمر بإلحاح يدٍ تهزّني بعنف. الطيب شتراوس.

«حمدًا للرب» قال، عندما نظرتُ في عينيه. «لقد جعلتني أقلق».

هززتُ رأسي. «أنا بخير».

«أعتقد أن هذا يكفي لليوم».

نهضتُّ وترنحت بينما كنت أستعيد منظوري. بدت الغرفة صغيرة جدا. «ليس لليوم فحسب» قلت. «لا أعتقد أنه ينبغي عليّ حضور المزيد من الجلسات. لم أعُد أريد أن أرى».

كان مُنزعجًا، لكنه لم يحاول تغيير رأيي. أخذتُ قبعتي ومعطفي وغادرت.

والآن، كلمات أفلاطون تسخر منّي في الظل على الحافّة من وراء النيران:

«...الرجال سيقولون عنه إنّه قد عاد من المكان العالي بعينين خَرِبَتين...»(2)

٤ أكتوبر- إن الجلوس لكتابة هذه التقارير أمرٌ صعب، كما أنّني لا أستطيع التفكير بوجود شريط التسجيل. أستمرّ في تأجيل التقرير معظم اليوم، لكنني أعرف مدى أهميته، وينبغي عليّ كتابته. قلتُ لنفسي إنّني لن أتناول العشاء حتى أجلس وأكتب شيئًا ما، أي شيء.

طلبني الأستاذ نيمور مرة أخرى هذا الصباح. كان يريدني أن أحضر إلى المختبر لأداء بعض الاختبارات، تلك التي اعتدتُ خوضها. في البداية، قلتُ إنّ هذا هو الفعل الصائب، فهم لا يزالون يدفعون لي المال، كما أنّ هذه الاختبارات مُهمّة لإكمال السجل، لكن عندما وصلت إلى بيكمان

وخضت الأمر برمّته مع بيرت، علمتُ أنه سيكون فوق طاقتي.

في البداية، كان اختبار متاهة الورقة والقلم الرصاص. تذكّرتُ كيف كان الأمرُ من قبل عندما تعلّمتُ حلّها بسرعة، وعندما كنتُ أسابق ألغيرنون. استطعتُ ملاحظة أن حلّ المتاهة الآن كان يستغرق مني وقتا أطول. مدّ برت يده لأخذ الورقة، لكنّني مزقتها وألقيتُ القطع في سلة النفايات. «يكفي! لقد اكتفيت من ركض المتاهة. أنا في طريقٍ مسدود الآن، وهذا كل ما تهمّ معرفته بشأن الأمر».

كان يخشى هروبي، لذا هدّأ من روعي. «لا بأس عليك يا تشارلي. فلتأخذ الأمر بتروٍّ».

«ماذا تعني بقولك (فلتأخذ الأمر بتروٍّ)؟ أنت لا تعرف كيف هو الحال».

«كلا، لكن يمكنني تصوّره. جميعنا نشعر بالأسى الشديد حيال الأمر».

«احتفظوا بشفقتكم لكم. دعوني وشأني فحسب».

كان يشعر بالحرج، ثم أدركتُ أن هذا ليس خطأه، وأنّني كنت أعامله بدناءة. «أعتذر على انفعالي» قلت. «كيف تسير أمورك؟ هل أنهيت أطروحتك؟»

هزّ رأسه بالموافقة. «تجري إعادة كتابتها حاليا.

سأحصلُ على درجة الدكتوراه في فبراير».

«فتى جيّد» وضربته على كتفه ممازحا إياه، لأظهر له أنني لستُ غاضبا منه. «فلتستمر بالعمل. اسمع، فلتنسَ ما قلتُه قبل قليل. سأفعل أيّ شيءٍ آخر تريده، إلا المتاهات، هذا كل شيء».

«حسنا، نيمور يريد إجراء فحص رورشاخ آخر».

«لمعرفة ما يحدث في الأعماق؟ ماذا يتوقّع أن يجد؟»

لا بدّ من أنّني كنت أبدو مُنزعجا، لأنه بدأ بالتراجع. «ليس عليك فعل ذلك. أنت هنا بطوع إرادتك. إذا كنت لا تريد...»

«لا بأس. هيّا، وزّع بطاقاتك».

لم يكن بحاجةٍ لإخباري.

كـان لـدي ما يكفي مـن المعرفـة بشـأن اختبـار الرورشاخ لأعلم أن الأمر لا يتعلق بشأن ما تراه على البطاقات، بل بردّة فعلك تجاهها. بالكامل، أو كأجزاء، بحركة أو كأشكال خاملة، ومع إيلاء اهتمامٍ خاص لبقع اللون أو تجاهلها، ومع الكثير من الأفكار أو مجرد بضع استجابات نمطية.

«إنه ليس فعّالا» قلت. «أعرف ما تبحث عنه. أعرف نوع الردود التي من المفترض أن تكون لديّ، لإنشاء

صورة معينة لما عليه ذهني. كل ما عليّ فعله هو...»

نظر إليّ منتظرًا.

«كل ما عليّ فعله هو...»

ثم فجأة، أدركتُ أمرًا صاعقا نزل عليّ كقبضةٍ تضرب جانب رأسي: لم أستطع تذكّر ما عليّ فعله. كان الأمر كما لو أنني كنتُ أنظر إلى الأمر برمته، بكل وضوح، على سبّورة ذهني، لكن عندما استدرتُ لقراءته، كان بعضه ممسوحا، وكان ما تبقى منه يبدو غير منطقيّ.

في البداية، رفضّتُ تصديق الأمر. أخذتُ أتصفّح البطاقات في ذُعرٍ وسرعة كبيرة جعلت كلماتي تختنق في حلقي. أردتٌّ تمزيق بقع الحبر لأجعلها تكشف لي عن حقيقتها. ففي مكانٍ ما في تلك البقع، كانت هناك إجابات كنت أعرفها منذ فترة ليست بالبعيدة. ليست في بُقع الحبر نفسها، بل في الجزء من عقلي المسؤول عن إضفاء شكل ومعنى عليها ومن ثم إسقاط بصمتي عليها.

ولم أستطع فعلها. لم أستطع تذكّر ما عليّ قوله. كل شيء مفقود.

«هذه امرأة...» قلت. «...جاثمة على ركبتيها تغسل الأرضيات. أعني -كلا- إنه رجل، يحمل سكينا.»

وحتى وأنا أقول ذلك، كنت أعلم ما أقوله، وبدّلت البطاقة وبدأت من جديد في اتجاه آخر. «شخصان يسحبان شيئًا ما ... مثل دمية ... وكل منهما يسحبها لتبدو كما لو أنهما سيمزّقانها -كلا!- أعني أنهما وجهان يحدّقان ببعضهما البعض عبر النافذة، و...»

جرفتُ البطاقات من على الطاولة مُوقعا إياها على الأرض، ونهضّتُ من مكاني.

«لا مزيد من الاختبارات. لا أريد إجراء المزيد من الاختبارات».

«حسنًا يا تشارلي. سنتوقف اليوم عند هذا الحد».

«لن نتوقف اليوم فحسب. لن أعود إلى هنا مرة أخرى. ويمكنكم الحصول على ما تحتاجونه من أيّ مما متبقى في داخلي من خلال تقارير التطور. لقد اكتفيتُ من ركض المتاهة. لم أعُد فأر تجارب. لقد فعلتُ ما يكفي. وأريد الآن أن تدعوني وشأني».

«حسنا يا تشارلي. أفهمك».

«كلا، أنت لا تفهم الأمر لأنه لا يحدث لك، ولا يمكن لأحدٍ غيري أن يفهمه. أنا لا ألومك، فأنت لديك وظيفة تقوم بها، ودكتوراه ستحصل عليها، وأوه، نعم، لا تخبرني، أعلم أنك تفعل هذا إلى حدٍّ كبير بدافع حبّك للإنسانية، ولكن لا تزال لديك

حياة تعيشها، ونحن لا ننتمي إلى نفس المستوى. لقد مررتُ بطابقِك وأنا في طريقي إلى الأعلى، وسأمر به مجددا الآن وأنا في طريقي إلى الأسفل، ولا أظنّ أنّني سأستقلّ هذا المصعد مرّة أخرى. لذا فلنودّع بعضنا، هنا والآن».

«ألا تظنّ أن عليك التحدث أولا مع الدكتور...»

«بلّغ وداعي للجميع، هلّا فعلت ذلك؟ ليست لديّ رغبة في لقاء أيٍّ منهم مرة أخرى».

وقبل أن يتمكّن من قول المزيد أو أن يحاول منعي، كنتُ قد خرجت من المختبر وركبت المصعد نزولا إلى خارج بيكمان للمرة الأخيرة.

٧ أكتوبر- حاول شتراوس رؤيتي من جديد هذا الصباح، لكنّني لم أفتح الباب. أريدهم أن يتركوني لنفسي الآن.

يا له من إحساسٍ غريب؛ أن تحمل كتابا كنتَ قد قرأتَه واستمتعتَ به منذ بضعة أشهر فحسب، وتكتشف أنك لا تتذكّره. أذكُر كم كان ميلتون مُدهشا. عندما حملتُ كتاب الفردوس المفقود، لم يكن بوسعي تذكّر سوى أنه كان يتحدث عن آدم وحواء وعن شجرة المعرفة، لكنني لم أستطع الآن فهمه.

وقفتُ وأغلقت عيني ورأيت تشارلي، نفسي، في

السادسة أو السابعة من العمر، جالسًا على طاولة العشاء مع كتابٍ مدرسي، يتعلم القراءة، وينطقُ الكلمات مرارًا وتكرارًا مع والدتي الجالسة بجواره، بجواري...

«أُنظر جاك. انظُر جاك أُركُض. أُنظُر جاك أُنظُر».

«كـلا! ليسـت أنظـر جـاك أنظـر! بـل أُركُض جـاك أُركُض». قالت وهي تشبر بإصبعها المفروك بشدّة.

«أُنظر جاك. انظُر جاك أُركُض. أُركُض جاك أُنظُر».

«كلا! أنت لا تحاول جاهدا! افعلها من جديد».

افعلها من جديد... افعلها من جديد... افعلها من جديد...

«دعي الصبيّ وشأنه. لقد جعلتِه مرعوبا».

«يجب عليه أن يتعلّم. إن كسله الشديد يمنعه من التركيز».

أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض...

«إنّه أبطأ من بقيّة الأطفال. كوني صبورةً معه».

«إنه طبيعي. ليس به أي خطب. إنه كسول وحسب. سأظلّ أضربه حتى يكفّ عن كسله ويتعلّم».

أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض... أُركُض جاك أُركُض...

ثم وعندما رفعتُ بصري من على الطاولة، بدا لي أنني رأيت نفسي، عبر عيني تشارلي، مُمسكا بكتاب الفردوس المفقود، وأدركتُ أنني كنت أحطّم غلاف الكتاب نتيجة ضغطي عليه بكلتا يديّ، كما لو أنني كنتُ أريد تمزيق الكتاب إلى نصفين. فسختُ ظهر الكتاب، ومزّقت حفنة من الصفحات، وقذفتها هي والكتاب عبر الغرفة إلى الزاوية، حيث كانت توجد التسجيلات المحطّمة. تركتُه مستلقيا هناك، وكانت ألسنتُه البيضاء المُمزّقة تسخر مني لعجزي عن فهم ما كانت تقُوله.

يجب عليّ أن أحاول التشبث ببعض الأشياء التي تعلّمتُها. أرجوك يا إلهي، لا تسلب منّي كلّ شيء.

١٠ أكتوبر- عادة ما أخرج في الليل للمشي والتجول في أنحاء المدينة. لا أدري لماذا. ربما لرؤية الوجوه. وفي الليلة الماضية، لم أستطع تذكّر مكان إقامتي، وأعادني شرطيّ إلى المنزل. لديّ شعور بأن كل هذا قد حدث لي من قبل، منذ زمنٍ بعيد. لا أريد كتابة الأمر، لكنّني أستمر في تذكير نفسي بأنني الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه وصف ما يحدث عندما تتّخذ الأمور ذلك المسار.

وبدلا من المشي، كنت أطفو عبر الفضاء، ليس على نحو جليّ وثاقب، بل بوجود ضباب رماديّ يلفّ كل شيء. أعلم ما يحدث لي، لكن ليس بوسعي فعل أي شيء حياله. أمشي، أو أقف وحسب على جانب الطريق، وأراقب الناس وهم يمرّون. بعضهم ينظر إليّ، والبعض الآخر لا يفعل، لكن لا أحد يقول أي شيء، باستثناء ليلة واحدة عندما تقدم إليّ رجل وسألني عمّا إذا كنتُ أريد فتاة. اصطحبني إلى مكان ما، لكنه أراد عشرة دولارات أولًا فأعطيتها إياه، لكنه لم يعد قط.

ثم أدركت كم كنتُ مُغفّلا.

١١ أكتوبر- عندما عدّتُ إلى شقتي هذا الصباح، وجدت أليس نائمة على الأريكة. كان كل شيء نظيفا، وظننتُ في البداية أني دخلتُ الشقة الخطأ، ثم رأيت أنها لم تلمس السجلات المحطمة أو الكتب الممزقة أو النوتة الموسيقية في زاوية الغرفة. أصدرت الأرضية صريرا، فاستيقظت ونظرت إليّ.

«مرحبا» وضحِكَت. «يا لك من بومة ليل».

«لستُ بومة. بل أقرب إلى طائر دودو. دودو غبيّ. كيف دخلتِ إلى هنا؟»

«عبر سلم الطوارئ. من شقة فاي. اتصلتُ بها

لمعرفة أخبارك وقالت إنها تشعر بالقلق عليك. تقول إنك أصبحت تتصرف بغرابة مؤخرا وتسبب اضطرابات. لذا قرّرتُ أن الوقت قد حان لظهوري. رتّبتُ المكان قليلا. لم أظنّ أنك قد تمانع».

«بل أمانع... وكثيرا جدا. لا أريد أن يأتي أحد إلى هنا مُحمّلا بالشفقة عليّ».

ذهبَت إلى المرآة لتمشّط شعرها. « لست هنا لأنّني أشعر بالشفقة عليك. بل لأنّني أشعر بالشفقة على نفسي».

«وما المفترض أن يعنيه هذا الكلام؟»

«إنه لا يعني شيئا» قالت، وهي تهزّ كتفيها. «الأمر كذلك وحسب؛ مثل قصيدة. أردّتُ أن أراك».

«وما المشكلة في حديقة الحيوانات؟»

«أوه، كفّ عن هذا يا تشارلي. لا تراوغ في حديثك معــي. لقـد انتظـرتُ مـا يكفـي مـن الـوقت لتـأتي وتصطحبني معك. لذا قرّرتُ القدوم إليك».

«لماذا؟»

«لأنه لا يزال لديك وقت. وأريد قضاءَه معك».

«أهذه أغنية؟

«لا تسخر منّي يا تشارلي.»

«أنا لا أسخر منك. لكن لا يمكنني قضاء وقتي مع شخصٍ آخر. لم يبق لديّ سوى القليل لأقضيه مع نفسي».

«لا أصدّق أنك ترغب في أن تكون وحيدا تماما».

«بل أرغب بذلك».

«لقد حظينا ببعض الوقت معًا قبل أن نتوقف عن التواصل مع بعضنا البعض. كان لدينا ما نتحدث عنه، وما نفعله معا. لم يستمر الأمر لوقت طويل لكنّه كان ذا معنى. اسمع، كنّا نعلم بأنّ هذا قد يحدث. لم يكن أمرا خفيّا. أنا لم أرحل يا تشارلي، كل ما في الأمر أنني كنتُ أنتظر. لقد أصبحتَ في مستواي تقريبا من جديد، أليس كذلك؟»

تحرّكتُ في الشقة بانفعال شديد. «لكنّ هذا ضربٌ من الجنون. ليس لديّ ما أتطلّع إليه. لا أجرؤ على السماح لنفسي بالتفكير قُدُما، بل إلى الوراءِ فحسب. ففي غضون بضعة أشهر، أيام، أسابيع -من يعلم بحق الجحيم؟- سأعود مجددا إلى دار وارين. لا يمكنكِ اللحاق بي إلى هناك».

«كل،» اعترَفت، «وعلى الأرجح أنني لن أزورك هناك. وبمجرّد دخولك لوارين، فسأبذل قصارى جهدي لنسيانك. لن أتظاهر بعكس ما سيحدث.

ولكن حتى تذهب، فليس هناك من سببٍ يستدعي أن يكون أيٌّ منّا وحيدا».

وقبل أن أقول أي شيء، كانت قد قبّلتني. وبينما كانت تجلس بجانبي على الأريكة وتسندُ رأسها على صدري؛ كنتُ أنتظر، لكن الهلع لم يحضُر. كانت أليس امرأة، لكن لعلّ تشارلي بات يفهم الآن أنها ليست والدته أو شقيقته.

تنهّدتُ بارتياح لمعرفتي أنني قد عبرتُ أزمة، إذ لم يعد هناك ما يمنعني. لم يكن هذا وقت الخوف أو التظاهر، لأنه لا يمكن للأمر أن يكون على هذا النحو مع أي شخص آخر. كانت جميع الحواجز قد تهدّمت. كنتُ قد حللتُ الخيط الذي كانت قد أعطتنــي إيــاه، ووجــدت طـريقي عبـر المتاهـة، وخرجت إلى حيث كانت تنتظر. لقد أحببتهُا بكل جوارحي.

لا أزعم أنني أفهم لغز الحب، لكن الأمر هذه المرة كان أكثر من مجرد جنس، أكثر من مجرد استخدام جسد امرأة. كان كما لو أنني أرتفع عن الأرض، أسمو فوق الخوف والعذاب، أكون جزءً من شيءٍ أعظم من نفسي. كنتُ أُنتَشَلُ من زنزانة عقلي المظلمة، لأصير جزءً من شخصٍ آخر، تماما كالتجربة التي خضّتُها في ذلك اليوم على الأريكة، أثناء جلسة العلاج النفسي. كانت تلك الخطوة الأولى إلى

الخارج باتجاه الكون -إلى ما وراء الكون- ففي داخله، وبه، اندمجنا، لإعادة خلق الروح البشرية وجعلها سرمدا. توسّعٌ واندفاع نحو الخارج، وتقلّصٌ وتشكُّل نحو الداخل. كان ذلك إيقاع الوجود-التنفس، نبض القلب، الليل والنهار- وكان إيقاع أجسادنا يبعث صدى في ذهني. كان الأمر مثل ما كان عليه هناك في تلك الرؤية الغريبة. انقشع الضباب الرمادي من على ذهني، وعبره نفذ الضوء إلى عقلي (يا لغرابةِ أن يكون ضوءٌ قادرا على الإصابة بالعمى!)، وكان جسدي يُبتَلعُ مجددا في بحر الفضاء العظيم، منجرِفًا تحت معموديّةٍ غريبة. كان جسدي يرتجف بالعطاء، وكان جسدها يرتجف بإعلان القبول.

هكذا مارسنا الحب، حتى صار الليلُ نهارًا ساكنا. وبينما كنتُ مستلقيا هناك بجانبها، استطعتُ أن أرى مدى أهمّية الحب الجسدي، وكم كان ضروريا لنا أن نغوص في أحضان بعضنا البعض، نأخذُ ونمنح. كان الكون في حالة اندفاع وتفجّر، وكان كل جُسيم بعيدا عن الآخر، وكان يقذف بنا إلى فضاءٍ مُعتمٍ ومُوحش، مُفرّقا بيننا، كطفلٍ خارج الرّحم، كصديق بعيدا عن صديق، يتحركان في الاتجاه المُقابل لبعضهما البعض، كُلّ في طريقه الخاص نحو الصندوق الهدف المتمثّل في الموت الانفراديّ.

لكـن هـذا كـان الـوزن المُعـادِل؛ فِعـلُ التعـاضُد والتشبّث. فكما يفعل الرجال كيلا يُجرفوا من على متن السفينة إلى عاصفة شديدة الهبوب، حيث يقبضون على أيدي بعضهم بعضا لمقاومة التفرّق، صَهَرت أجسادُنا حلقةً في السلسلة البشرية منعتنا من الانجراف إلى اللا شيء.

وفي اللحظة التي سبقت دخولي في النوم، تذكرتُ ما كان عليه الحال بيني وبين فاي، وابتسمت. لا عجب أن ذلك كان سهلا، فقد كان جسديًا فقط. أما هذا الذي مع اليس، فقد كان لغزا.

وانحنيتُ وقبّلتُ عينيها.

باتت أليس تعرف عنّي كل شيء الآن، كما أنها تتقبل حقيقة أننا لن نكون معا إلا لفترةٍ قصيرة. وقد وافقت على الرحيل عندما أطلب منها ذلك. كم هو مؤلم التفكير في الأمر، لكن ما نحظى به يفوق، كما أظن، ما يجده معظم الناس في حياتهم بأكملها.

١٤ أكتوبر- أستيقظ في الصباح دون أن أدري من أنا ولا ماذا أفعل هنا، ثمّ أراها بجانبي فأتذكّر. وفي حالة حدوث شيء ما لي، فإنها تشعر به، فتتحرك بهدوء في أرجاء الشقة، حيث تعد الفطور أو تنظف المكان أو حتى تخرج وتتركني لأختلي بنفسي دون

إلقاء أي أسئلة.

ذهبنا إلى حفلة موسيقية هذا المساء، لكنّني شعرتُ بالملل فغادرنا في منتصفها. يبدو أنني لم أعد أولي الاهتمام للكثير من الأمور. ذهبنا لأنني أعرف أني سترافينسكي كان يعجبني، لكن يبدو أن صبري عليه قد نفد بطريقةٍ ما.

لا أكره بشأن وجود أليس معي هنا سوى شيءٍ واحد؛ وهو أنني بتُّ أشعر الآن بأنّ عليّ محاربة هذا الأمر. أريد إيقاف الوقت؛ أن أُجمِّد نفسي عند هذا المستوى وألّا أتركها أبدا.

١٧ أكتوبر- لم لا أستطيع التذكر؟ يجب أن أبذل جهدي في مقاومة هذا الركود. أخبرتني أليس بأنني مستلق على السرير منذ عدة أيام، ولا يبدو أنني أعرف من أنا أو أين أتواجد. ثم يعود إليّ كل شيء فأتمكن من التعرّف عليها وتذكُّر ما يحدث. حالات من الشرود الفصامي. أعراض طفولة ثانية. -ماذا يطلقون عليها؟- شيخوخة؟ إنّي أراها قادمة.

كلّ هذا منطقي بطريقةٍ مؤلمة؛ نتيجة تسريع جميع عمليات العقل. لقد تعلمت الكثير بسرعة كبيرة، وها هو عقلي الآن يتدهور بشكل متسارع. ماذا لو أمنع حدوث ذلك؟ ماذا لو أقاومه؟ أفكّر في كل أولئك الناس في دار وارين، الابتسامات الفارغة،

التعبيرات الفارغة، والجميع يسخرون منهم.

تشارلي جوردن الصغير يحدّق فيّ عبر النافذة. أرجوك يا إلهي، ليس هذا مجددا.

١٨ أكتوبر- إنني أنسى الأشياء التي تعلمتها مؤخرا. يبدو أن الأمور تتبع النمط التقليدي، حيث يكون آخر ما تعلمته هو أول ما أنساه. أم أن هذا هو النمط؟ يستحسن أن أبحث عنه من جديد.

أعدّتُ قراءة ورقتي حول تأثير ألغيرنون-جوردن، وعلى الرغم من كوني أعرف أنني من كتبتُها، إلا أن شعورا يلازمني بأنها من كتابة شخصٍ آخر. بل إنني لا أستطيع فهم معظمها.

لكن لم أنا نزِقٌ هكذا؟ خصوصا عندما تكون أليس لطيفة جدا معي؟ إنها تُبقي المكان نظيفا وأنيقا، فترتب أشيائي وتغسل الصحون وتنظّف الأرضيات. ما كان عليّ الصراخ في وجهها بتلك الطريقة هذا الصباح، لأن ذلك تسبّب في بكائها، ولم أكن أريد لذلك أن يحدث. لكن لم ينبغِ لها التقاط السجلات المكسورة والموسيقى والكتاب ووضعها جميعًا في صندوق. لقد تسبب ذلك في إغضابي. لا أريد لأحد أن يمسّ أيّا من تلك الأشياء. أريد أن أراها تتراكم. أريدها أن تذكّرني بما سأخلّفه ورائي. ركلتُ الصندوق ونثرت الأشياء في جميع أنحاء الأرضية،

وطلبت منها أن تتركها في المكان الذي كانت فيه.

أحمق. ما من سببٍ لفعل ذلك. أظنّني استشطتُّ غضبا لأنني كنت أعلم أنها كانت تظن أن الاحتفاظ بهذه الأشياء ضرب من السخافة، وهي لم تخبرني بأنها كانت تظن ذلك سخيفا. بل كانت تتظاهر بأن ذلك طبيعي تماما. وعندما رأيتُ ذلك الصندوق، تذكرت الصبي في دار وارين والمصباح الرديء الذي صنعه، وكيف كنّا نجامله جميعا، متظاهرين بأنه صنع شيئا رائعا في حين أنه لم يكن كذلك.

كان ذلك ما تفعله معي، ولم أستطع تحمّل الأمر.

وعندما ذهَبَت إلى غرفة النوم وشَرَعت في البكاء، شعرتُ باستياء حيال الأمر، وأخبرتها أنه خطئي بالكامل. أنا لا أستحق شخصا طيبا مثلها. لم لا أستطيع السيطرة على نفسي بما بكفي لأستمر في حُبّها؟ هذا يكفي!

١٩ أكتوبر- النشاط الحركي ضعيف. أستمر في التعثر وإسقاط الأشياء. لم أعتقد في البداية أن ذلك بسببي. ظننتُ أنها كانت تغيّر أماكن الأشياء. كانت سلّة المهملات تعترض طريقي، وكذلك الكراسي، وكنت أظن أنها قد نقلتهم من أماكنهم. لكنّني أدرك الآن أنّ تناسقي الحركي سيئ. يجب عليّ التحرّك ببطء لفعل الأمور بطريقة صحيحة. حتى الكتابة

تزداد صعوبة. لمَ أستمرّ في لوم أليس؟ ولم لا تتشاجر معي؟ يجعلني هذا أكثر غضبا وحنقا لأنني أستطيع رؤية الشفقة في عينيها.

سعادتي الوحيدة الآن هي في جهاز التلفاز. أقضي معظم اليوم في مشاهدة برامج المسابقات، والأفلام القديمة، والمسلسلات، وحتى عروض الأطفال والرسوم المتحركة. وحينها أجد نفسي عاجزا عن إغلاقه. وفي وقت متأخر من الليل، تكون هناك الأفلام القديمة وأفلام الرعب والعرض المتأخر والآخر المتأخر جدا، والنشيد الوطني الأمريكي مع العلم الذي يرفرف في الخلفية، وأخيرا صورة إغلاق القناة التي تحدق فيّ عبر النافذة المربعة الصغيرة بعينها التي لا تنغلق...

لِمَ أنظر دائما إلى الحياة من خلال نافذة؟

وبعد أن ينتهي كل شيء أشعر بالمقت تجاه نفسي لأنه لا يتبقى لي ما يكفي من الوقت للكتابة والقراءة والتفكير، ولأنني أعقل من أن أخدّر عقلي بهذه الأشياء المخادعة التي تستهدف الطفل في داخلي. أنا بالأخص، لأن الطفل في داخلي آخذٌ في استعادة عقلي.

أعرف كل هذا، لكن عندما تخبرني أليس بأنه يجب عليّ ألا أضيّع وقتي، أجدني أستشيط غضبا وأطلب

منها أن تدعني وشأني.

يراودني شعورٌ بأنني أشاهد هذه الأشياء لأن من المهم بالنسبة لي ألّا أفكّر، ألّا أتذكّر المخبز، وأمي وأبي، ونورما. لا أريد أن أتذكر المزيد من الماضي.

تعرّضتُ لصدمةٍ مروّعة اليوم. التقطت نسخة من مقال كنت قد استخدمته في بحثي، بعنوان Uber Psychische Ganzheit من كتابة كروغر، لمعرفة ما إذا كان سيساعدني في فهم ورقتي وما فعلتُ فيها. في البداية، ظننتُ أن هنالك خطبًا ما في عينيّ. ثم أدركت أنه لم يعد بإمكاني قراءة اللغة الألمانية. اختبرت نفسي في لغات أخرى. لقد اختفت كلّها.

٢١ أكتوبر- رحلت أليس. لنرى ما إذا كان بوسعي التذكّر. بدأ الأمر عندما قالت إنه لا يمكننا العيش هكذا والكتب والأوراق الممزقة والسجلات تملأ الأرضية والمكان في مثل هذه الحالة من الفوضى.

«دعي كل شيء كما هو» حذّرتُها.

«لم تريد العيش بهذه الطريقة؟»

«أريد أن يظل كل شيء في المكان الذي وضعته فيه. أريد رؤية كل شيء ظاهرًا أمامي. أنت لا تعرفين شعور أن يحدث شيء ما بداخلك، شيء لا تستطيعين رؤيته ولا التحكم به، وتعلمين أن كل

شيء ينسلّ من بين أصابعك».

«أنت محق. لم أقل قط إنني أستطيع فهم ما كان يحـدث لـك. لـيس عنـدما أصبحت ذكيـا لـدرجة تفوقني، وليس الآن. لكنني سأخبرك بشيء واحد. أنت لم تكن على هذا النحو قبل إجراء العملية الجراحية. لم تكن تتمرّغ في قاذوراتك وفي شفقتك على نفسك، ولم تلوث عقلك بالجلوس أمام التلفاز طوال النهار والليل، ولم تصرخ على الناس وتنفعل عليهم».

«لست نادما على التجربة».

«ولا أنا. لكنك فقدت شيئا كان موجودا في داخلك. كانت لديك ابتسامة...»

«ابتسامة فارغة وغبية».

«كلا. بل ابتسامة دافئة وحقيقية، لأنك رغبت في أن يحبك الناس».

«وأجروا عليّ الألاعيب وسخروا مني».

«نعم، ولكنك، على الرغم من أنك لم تفهم سبب ضـحكهم، شـعرت أنـهم سـيحبّونك إذا ضـحكوا عليك. وكنت تريدهم أن يحبوك. كنت تتصرف كطفل، حتى إنك ضحكت على نفسك مجاراة لهم».

«لست في مزاج للضحك على نفسي حاليا، إن كنت لا تمانعين».

كانت تحاول جاهدة ألا تبكي. أعتقد أنني أردت أن أجعلها تبكي. «ربما لهذا السبب كان التعلم مهما جدا بالنسبة لي. ظننت أنه سيجعلني محبوبا من الناس. ظننت أنني سأحظى بأصدقاء. هذا شيء يستدعي الضحك، أليس كذلك؟»

«هنالك ما هو أكثر من مجرد الحصول على معدل ذكاء مرتفع».

جعلني هذا غاضبا. ربما لأنني لم أفهم حقا ما كانت ترمي إليه. وقد تكرر ذلك كثيرا هذه الأيام، فهي لا تكون صريحة وتخبرني بمقصدها مباشرة. بل كانت تلمح لأشياء. كانت تدور حول المعاني وتتوقع مني أن أفهم ما تتحدث عنه. وكنت أستمع وأتظاهر بالفهم، لكن في داخلي، كان الرعب يملؤني خشية أن ترى أنني أخفقت في الفهم تماما.

«أظن أن الوقت قد حان لرحيلك».

استحال وجهها أحمر. «ليس بعد يا تشارلي. لم يحن الوقت بعد. لا تبعدني عنك».

«أنت تصعبين الأمر علي. تستمرين في التظاهر بأن مقدوري فعل وفهم أمور باتت تفوقني الآن كثيرا.

أنت تدفعينني. تماما كوالدتي».

«هذا ليس صحيحا».

«جميع أفعالك تشي بذلك. طريقة حملكِ للأشياء وتنظيفك من بعدي، طريقة وضعك للكتب حولي، كُتبًا تظنين أنها ستعيد إليّ اهتمامي بالقراءة، طريقة حديثك عن الأخبار معي لجعلي أفكر. تقولين إنه لا يهم، لكن كل ما تفعليه يوحي بمدى أهمية الأمر. دائما المُدرِّسة. لا أريد الذهاب إلى الحفلات الموسيقية أو المتاحف أو الأفلام الأجنبية أو القيام بأي شيء من شأنه أن يجعلني أكافح للتفكير في الحياة أو في نفسي».

«تشارلي...»

«دعيني وشأني فحسب. لستُ نفسي. إنني أتهاوى، ولا أريد وجودك هنا».

«تسبب هذا في بكائها. وهذا الصباح، حزمت حقائبها ورحلت. تبدو الشقة هادئة وخاوية الآن».

٢٥ أكتوبر- تفاقم التدهور. تخليت عن الكتابة باستخدام الآلة الكاتبة. والتناسق الحركي في غاية السوء. وسأضطر، من الآن فصاعدا، إلى كتابة هذه التقارير بالطريقة التقليدية.

فكرت كثيرا في الأمور التي قالتها أليس، ثم أدركت

فجأة أنه إذا واصلت القراءة وتعلم أشياء جديدة، حتى مع حقيقة أنني أنسى الأشياء القديمة، فسأكون قادرًا على الاحتفاظ ببعض ذكائي. كنت على سُلّم كهربائي متجه للأسفل حاليا. وإذا وقفت في مكاني فسأنزل القاع، لكن إذا شرعت بالركض نحو الأعلى فربما أتمكن من البقاء في مكاني على الأقل. كان الشيء المهم هو الاستمرار في التحرك نحو الأعلى مهما حدث.

لذا ذهبت إلى المكتبة وأخذت معي الكثير من الكتب كي أقرأها. أصبحت أقرأ كثيرا الآن، ومع أن معظم الكتب صعبة علي، إلا أنني لا أهتم. فطالما أنني مستمر في القراءة، فسأتعلم أشياء جديدة ولن أنسى كيفية القراءة. هذا هو الشيء الأكثر أهمية، لربما أتمكن، إذا واصلت القراءة، من التمسك بنفسي.

جاء إليّ الطبيب شتراوس في اليوم الذي تلا مغادرة أليس، لذا أظنّ أنها قد أخبرته بشأني. تظاهر أنه لا يريد سوى تقارير التطور، لكنني أخبرته بأني سأرسلها إليه. لا أرغب في قدومه إلى هنا. أخبرته ألا يقلق بشأني، فعندما أظن أنني لم أعد قادرا على الاعتناء بنفسي، سأستقل قطارا وأذهب إلى دار وارين.

أخبرته أنني أُفضل الذهاب بنفسي عندما يحين

الوقت.

حاولت التحدث مع فاي، لكن يمكنني رؤية خوفها مني. أظن أنها تعتقد بأني قد فقدت عقلي. لقد عادت إلى المنزل في الليلة الماضية برفقة أحدهم، يبدو يافعا جدا.

صعدت إليّ صاحبة المنزل، السيدة موني، هذا الصباح ومعها زِبدية من مرق الدجاج الساخن وبعض الدجاج. أخبرتني أنها فكرت في أن تعرج عليّ وحسب لتعرف أخباري. أخبرتها أن لدي الكثير من الطعام لأكله، لكنها برغم ذلك تركته عندي، وقد كان مذاقه جيدا. تظاهرت أنها كانت تفعل ذلك من تلقاء نفسها، لكنّني لستُ بذلك الغباء بعد. لا بد من أن أليس أو شتراوس أخبراها أن تتفقدني وأن تتأكد من أنني على ما يرام. حسنا، لا بأس بذلك. إنها سيدة عجوز لطيفة بلهجة إيرلندية وتحب التحدث عن جميع من يقطنون في المبنى. لم تقل شيئا عندما رأت الفوضى التي تعم الأرضيات في شقتي. أظن أنه لا بأس بوجودها.

١ نوفمبر- مر أسبوع منذ أن كانت لدي الشجاعة على الكتابة مجددا. لا أدري أين يضيع الوقت. اليوم هو يـوم الأحـد، أعلـم هـذا لأنني استطيع رؤية الأشخاص الذين يذهبون إلى الكنيسة في الشارع المقابل من خلال نافذتي. أظنني كنت مستلقيا في

الفراش طوال الأسبوع لكنني أتذكر السيدة موني وقد أحضرت لي الطعام عدة مرات وسألتني عما إذا كنت مريضا.

ماذا سأفعل بنفسي؟ لا يمكنني التسكع هنا بمفردي والنظر من خلال النافذة فحسب. علي السيطرة على نفسي. أظل أقول لنفسي، مرارا وتكرارا، أن علي فعل شيء ما، لكنني أنسى بعد ذلك، أو ربما يكون من الأسهل ألا أفعل ما أقوله.

ما يزال بحوزتي بعض الكتب التي أحضرتها من المكتبة، لكن معظمها صعب علي حاليا. أقرأ الكثير من قصص الغموض الآن وقصص الملوك والملكات من العصور القديمة. قرأت كتابا عن رجلٍ ظنّ أنه فارس، فخرج وامتطى حصانا عجوزا مع صديقه. لكنه مهما فعل، فإنه ينتهي به المطاف دائما وقد تعرض للضرب والأذى. كتلك المرة التي اعتقد فيها أن طواحين الهواء تنانين. في البداية، اعتقدت أن الكتاب السخيف، لأنه لو لم يكن ذلك الشخص مجنونا لاستطاع رؤية أن الطواحين ليست تنانينا، وأنه لا وجود لأمور كالسحرة والقلاع المسحورة، ثم تذكرت أن هنالك شيئا آخر من المفترض أن يعنيه كل هذا، شيئا لم تقُله القصة، بل ألمحت إليه فحسب. أقصد أنها كانت تتضمن معاني أخرى. لكنني لا أعرف ما هي. جعلني هذا

غاضبا لأني أظن أنني كنت أعرف مثل هذه الأمور في السابق. لكنني مستمر في قراءتي وتعلمي لأشياء جديدة كل يوم، وأعرف أن هذا سيساعدني.

أعلم أنه كان ينبغي علي كتابة بعض التقارير المرحلية قبل هذا التقرير حتى يعرفوا ما يحدث لي. لكن الكتابة تزداد صعوبة. كما أنه يتعين علي البحث حتى عن الكلمات البسيطة في القاموس، ويجعلني ذلك حانقا على نفسي.

٢ نوفمبر- نسيت ان اكتب في تقرير امس عن المرأه من المبنى المقابل للزقاق في الطابق السفلي. رأيتها عبر نافذة مطبخي الأسبوع الماضي. لا أعرف اسمها او حتى ما يبدو عليه جزءها العلوي، لكنها في كل ليلة، عند حوالي الساعه الحاديه عشر مساء، تذهب إلى دورة المياه خاصتها للاستحمام. إنها لا تغلق ستائرها أبدا ومن خلال نافذتي عندما أغلق الأضواء استطيع رؤيتها من الرقبة حتى الأسفل عندما تخرج من المغطس لتجفيف نفسها.

يجعلني هذا متحمسا، لكن عندما تطفئ السيدة الأضواء، اشعر بالإحباط والوحده. اتمنى في بعض الأحيان ان ارى شكلها، وهل هي جميله أم لا. أعلم أن مشاهدة امرأة وهي في هاذه الحالة ليس شيئا لطيفا لاكن لا استطيع التحكم بالأمر. ما الفرق الذي سيحدثه لها عدم علمها بمراقبتي على أيت حال.

الساعه حوالي الحاديه عشر. وقت استحمامها. لذا من الافضل ان اذهب واشاهد.

٥ نوفمبر- السيده موني قلقه جدا علي. تقول ان الطريقة التي استلقي بها طوال اليوم ولا افعل شيئا انها تذكرها بابنها قبل ان تطرده من المنزل. قالت انها لا تحب المتسكعين. ان اكون مريض فهذا امر، لكن ان اكون متسكع فهذا امر اخر ولا حاجه لها بي. اخبرتها انني اظن باني مريض.

احاول ان اقرا كل يوم واغلبها قصص ولكن احيانا اططر الى قراءة نفس الشيء مرارا وتكرارا لانني لا اعرف ما الذي يعنيه. والكتابه صعبه. اعلم انه يجب علي البحث عن كل الكلمات في القاموس لكنني متعب طوال الوقت.

ثم جائتني فكره وهي ان استخدم الكلمات السهله البسيطه فقط بدلا من الكلمات الصعبه الطويله. هذا يوفر الوقت. الجو في الخارج يزداد بروده لكنني ما زلت اضع ازهار على قبر ألغيرنون. تعتقد السيده موني انه شيء سخيف ان اضع ازهار على قبر فأر لكنني قلت لها ان ألغيرنون كان فأر مميز.

ذهبت لزيارة فاي في الشقه المقابله، لكنها طردتني واخبرتني ان لا اعود مجددا. لقد وضعت قفل جديد على بابها.

٩ نوفمبر- الاحد مره أخرى. ليس لدي شيء اقوم به الان لابقى مشغول لان التلفاز مكسور واستمر دائما في نسيان امر تصليحه. اظن انني اضعت شيك هذا الشهر من الكليه. لا اتذكر.

تصيبني نوبات صداع فظيعه، والاسبرين لا يساعد كثـيرا. اصبحت السيده موني تصدق الان انني مريض جدا وتشعر بالاسف علي. انها تكون امراة رائعه كلما مرض احد ما. الجو يزداد بروده في الخارج لدرجت اني أصبحت البس الان سترتين. اصبحت السيده في الشارع المقابل تغلق ستاءرها الان، لذالك لا يمكنني مشاهدتها. حظي الرديء.

١٠ نوفمبر- اتصلت السيده موني بطبيب غريب ليفحصني. كـانت خائفـه مـن انني سـوف امـوت. اخبرت الطبيب اني لست مريض واني انسى بعض الاحيان فقط. سالني هل كان لدي اي اصدقاء او اقارب فقلت لا ليس لدي احد. اخبرته انه كان لدي صديق اسمه ألغيرنون وكان فار وكنا نتسابق مع بعض. نظر الي بطريقه غريبه كئنه يعتقد اني مجنون.

ابتسم عندما اخبرته انني كنت عبقري في السابق. وتكلم معي كئني طفل ثم غمز للسيده موني. غضبت كثيرا لانه كان يسخر مني ويضحك وطردته

من المنزل واغلقت الباب.

اعتقد اني اعرف لماذا اواجه حظ سيئ. لانني فقدت حظاظت قدم الارنب خاصتي والحدوه ايضا. يجب ان احصل على حظاظت قدم ارنب سريعا.

١١ نوفمبر- جاء اططبيب شتراوس امام البيت اليوم واليس كذالك لاكنني لم اسمح لهم بالدخول. اخبرتهم انني لا اريد ان يراني اي احد. اريد ان تدعوني وشئني.

ولاحقا قدمت السيدة موني بعض الطعام واخبرتني انهم دفعو الإيجار وتركوا لها المال لشراء الطعام واي شيء احتاجه. اخبرتها انني لا اريد استخدام اموالهم لكنها قالت ان المال مال ويجب على احد ان يدفع والا فسوف تطظر لاخراجي من الشقه. ثم قالت لي لماذا لا احصل على وظيفه بدل من مجرد التسكع.

لا اعرف اي عمل غير الوظيفه التي كنت اقوم بها في المخبز. لا اريد العوده الى هناك لانهم كلهم رؤوني وانا ذكي وربما سوف يضحكون علي. لاكن لا اعرف ماذا افعل غير ذالك للحصول على المال. واريد ان ادفع لكل شيء بنفسي. انا قوي واصططيع العمل. اذا اصبحت لا اقدر على الاعتناء بنفسي فسوف اذهب الى وارين. لن اخذ صدقه من

احد.

١٥ نوفمبر- كنت انظر الى بعض تقارير التطور القديمه ويا له من شيء غريب جدا ولاكن لا اصطيع قراءت ما كتبت. يمكنني فهم بعض الكلمات ولاكن لا افهم ما تعنيه. اعتقد انني كتبتها لاكن لا اتذكر. اشعر بالتعب بسرعه كبيره عندما احاول قراءت بعض الكتب التي اشتريتها من اصصيدليه. معدا التي عليها صور بنات جميله. احب ان انظر اليهم لكن احلم أحلام غريبه عنهم. هذا ليس لطيفا. سوف اتوقف عن شراءها. رءيت في بعض تلك الكتب ان عندهم مسحوق سحري يمكن ان يجعلك قوي وذكي وتقوم بالكثير من الاشياء. اعتقد انه روبما سوف ارسل لهم وسوف اشتري قليل منه لنفسي.

١٦ نوفمبر- جاءت أليس الى الباب مره اخرى لكن قلت لها ابتعدي عني لا اريد ان اراكي. بكيت هي وانا ايضا بكيت لاكنني لم اسمح لها ببدخول لانني لم اكون اريدها ان تضضحك علي. قلت لها انني لم اعود احبها وانني لم اعود اريد ان اكون ذكي ايضا. هاذا غير صحيح لاكن. لا زلت احبها ولا زلت اريد ان اكون ذكي لكن كان يجب علي ان اقول ذالك لاجعلها ترحل.

قالت لي السيده موني ان أليس احضرت بعض

المزيد من المال للعنايه بي وللايجار. لا اريد ذالك. يجب احصل على وظيفه.

ارجـــوك.... ارجـــوك... لا تجعلني انسا كيف اقـرا واكتوب.

١٨ نوفمبر- كان السيد دونر لطيف جدن عندما عدت وطلبت منه العمل في وظيفتي القديمه في المخبز. في البدايه كان متشكك لكن اخبرته بما حدث لي فبدا حزين جدا ثم وضع يده على كتفي وقال انت شجاع يا تشارلي.

نظر الجميع الي عندما نزلت للطابق السفلي وبدات في المرحاض وتنظيفه مثل ما كنت اعمل. قلت لنفسي لا تغضب يا تشارلي إذا سخرو منك لانك تتـذكر انـهم ليسـو اذكيـاء جـدا كمـا كنـت تظـن. بالاضافه الى انهم كانو اصدقاءك ذات مره واذا ضحكو عليك فهم لا يقصدون شيء لانهم يحبونك ايضا.

واحد من الرجال الجديدين الذي جاء للعمل بعد ما غادرت واسمه هو ماير كلاوس فعل شيء سيء لي. جاء الي عندما كنت احمل اكياس الدقيق وقال يا تشـارلي اسـمعو انـك شـخص ذكـي جـدا، فتـى مسابقات بحق. قل شيء ذكي. شعرت بسوء لاني فهمت من خلال اططريقه التي قال بها انه كان

يسخر مني. لذالك استمرريت في اداء عملي. لكن بعد ذلك اقترب مني وامسكني من ذراعي بقوه وصرخ في وجهي. انت يا ولد! عندما اتحدث معك من الافضل لك ان تستمع لي. وئلا فسوف اكسر لك ذراعك. ولوى ذراعي حتى اوجعني وخفت انه سوف يكسره مثل ما قال. وكان يضحك ويلويه ولم اكون اعرف ماذا افعل. وشعرت بخوف شديد حتى انني كنت سوف ابكي ولكنني لم ابكي ثم كان يجب علي الذهاب الى الحمام شيء فظيع. بطني كانت تتلوى كلها من الداخل وكئنني سوف انفتح اذا لم اذهب على الفور... لانني لم اسصططيع حبسها.

قلت له ارجوك دعني اذهب لانه يجب ان اذهب الى الحمام لكنه كان يضحك علي فقط ولم اكون اعرف ماذا افعل. فبدات ابكي. دعني اذهب. دعني اذهب. دعني اذهب. ثم فعلت على نفسي. بللت بنطالي وكانت الرائحه سيئه وكنت ابكي. فتركني وجعل وجه عليه قرف وكان يبدو خائف. قال بحق الرب لم اقصد اي شيء يا تشارلي.

لكن بعدها جاء جو كارب وقال دعه وشانه ايها الوغد البغيض والا سوف اكسر رقبتك. تشارلي رجل طيب ولن يبدا احد في مضايقته ويفلت من العقاب. شعرت بالخجل وركضت الى الحمام لتنظيف نفسي وتغيير ملابسي.

وعندما عدت كان فرانك هناك وكان جو يخبره بما حدث ثم جاء جيمبي واخبروه بما حدث وقال انهم سوف يتخلصون من كلاوس. كانو سيطلبون من السيد دونر ان يطرده. اخبرتهم اني لا اظن انه يجب فصله وان يكون عليه العثور على وظيفه اخرى لان عنده زوجه وطفل. كما انه قال انه متاسف على ما فعله بي. واتذكر كم كنت حزين عندما كان انطردت من المخبز ورحلت بعيدا. قلت كلاوس يجب ان يحصل على فرصه ثانيه لانه لن يفعل شيء سيء لي بعد الان.

وفي وقت لاحق جاء جيمبي وهو يعرج على قدمه السيئه وقال لي اذا ضايقق أي شخص يا تشارلي او حاول استيغلالك اتصل بي او بجو او بفرانك وسوف نوءددبه. نريد جميعن منك ان تتذكر انك لديك اصدقاء هنا وان لا تنسا هذا ابدا. قلت شكرا جيمبي. هذا يجعلني اشعر بشعور جيد.

من الجيد ان يكون عندك اصدقاء...

٢١ نوفمبر- فعلت شيء غبي اليوم نسيت اني لم اعود في صف الاستاذه كينيان في مركز البالغين مثل ما كنت في السابق. دخلت وجلست في كرسيي القديم في اخر الغرفه ونظرت الي باستغراب وقالت تشارلي اين كنت. فقلت مرحبا استاذه كينيان انا موستعد لدرسي اليوم لكن انا فقط

ضيعت كتابي الذي كنا استخدمه.

فبدات تبكي وركضت خارج اصصف وكان كلهم ينظرون الي ورايت ان الكاثير منهم لم يكونو نفس الأشخاص من صفي القديم.

ثم فجئاه تذكرت اشياء عن العماليه وانا اصبح ذكي وقلت يا لالهول لقد قمت بعمل واحده تشارلي جوردن هاذه المره. وخرجت قبل ان تعود الى الغرفه.

لهاذا سوف ابتعد عن هنا للئبد واذهب الى دار ومدرست وارين. لا اريد افعل اي شيء مثل هاذا مره اخرى. لا اريد ان تشعر الاستاذه كينيان بالئسف من اجلي واعلم ان كل الناس يشعرو بالئسف من اجلي في المخبز ولا اريد ذالك ايضن لذالك سوف اذهب الى مكان يكون فيه اشخاص اخرين كثير مثلي ولا احد يهتم ان تشارلي جوردن كان مره عبقري وهو الان لا يصططيع حتى ان يقرا كتاب او يكتب جيدن.
سـوف اخـوذ بعـض الكتب معي وحتا اذا لـم اصططيع القراءه فسوف اتدرب باجتهاد كثير وربما حتى اصبح اذكا قليلا عن ما كونت قبل العماليه من دون عماليه. احضرت لنفسي قدم ارنب جديده وقرش حظاظ وحتى قليل من ذالك المسحوق السحري المتبقي وربما هاذه الاشياء

سوف تساعدني.

اذا قرئتي هاذا يوما ما يا استاذه كينيان فلا تشعري بالئسف علي. انا سعيد لانني حصلت على فرصه ثانيه في الحياه كما قلتي لئن اكون ذكي لاني تعلمت الكثير من الاشياء التي لم اكون اعرف ابدن انها في هاذا العالم وانا اشعور بالئمتنان لاني رايتها كلها حتى وان كان ذالك لفتره قصيره. وانا سعيد لاني عرفت كل هذه الاشياء عن نفسي وعن عاءلتي. وكئنه لم يكون عندي عاءله ابدن حتى تذكرتهم ورئيتهم والان اعرف انه كان عندي عاءله وانني كنت شخص مثل كل اناس تمامن.

لا اعرف لماذا انا غبي مره اخرا او ما الخطا الذي فعلت. ربما انا لم احاول كثيرن بما يكفي او ربما قام احد بوضع اتتعويذاه اشريره علي. لاكن اذا حاولت وتدرربت بجهد ربما سوف اصبح اذكا قليلا واعرف ما كل الكلماة. ولما اغلق عيوني اتذككر اشعور الجيد الذي شعرت به من الكتاب الئزرق الذي قرءته بالغلاف الموزق. ولما اغلق عيوني افككر في اررجل الذي مزق الكتاب وهو يبدو مثلي ولاكنه يبدو مختلف ويكون يتحددث بشكل مختلف ولاكن لا اظن انهو انا لانهو يبدو انني انظر اليهي من انافذه.

على كول حال هاذا هو اسسبب الذي يجعلني

سوف استمر في المحاولاه لاكون ذكي حتى اشعور بذالك الشعور مره اخرى. من الجيد معرفت الثشياء وان تكون ذكي واتمنا ان اعرف كول شيء في كول العالام. اتمنى ان اكون ذكي مره اخرى الان حالان. لو اصطظيع لجلستو وقرءتو طوال الوقت.

على كول حال اراهن انه انا اول شخص غبي في العالم يكتشف شيء موهم في العلم. فعلت شيء لاكن لا اتذكر ما هو. لذالك اعتقد انه مثل انني فعلتهو لكل الناس الاغبياء مثلي في وارين وفي كول العالم.

وداعا استاذه كيننيان واططبيب شتراوس والجميع...

مولاحظه: من فاضلك اخبر اددكتور نيمور ان لا يغضب لما يضحك اناس عليه وسوف يكون لديه مزيد من الاصدقاء. من اسسهل ان يكون عندك اصدقاء اذا سمحت لنناس بضضحك عليك. سوف يكون عندي اصدقاء كثير في المكان اللذي سوف اذهب اليه.

مولاحظه: من فاضلك اذا كان لديك فورصه ضع بعض الازهار على قبر ألغيرنون في الفيناء الخالفي.

النهاية.

تشارلي جوردن على وشك خوض رحلة لم يسبق لها مثيل. ولكونهِ مولود بمعدل ذكاء منخفض على نحو غير طبيعي، فقد اختير كمُرشّحٍ مثاليّ لجراحة تجريبية يأمل الباحثون في أن تزيد من ذكائهِ، وهي عملية أثبتت نجاحها الباهر بالفعل عندما اختُبِرت على فأر تجارب يدعى ألغيرنون.

ومـع بـدء سـريان مفعـول العـلاج، يتـوسّع ذكـاء تشارلي حتى يتجاوز ذكاء الأطباء الذين هندسوا عمليّة تحوّله. تبدو العملية إنجازا علميًّا باهرا ذي أهمية بالغة، حتى يتدهور وضع ألغيرنون فجأة. فهل سيلاقي تشارلي نفس المصير؟

**

الرواية الفائزة بجائزتي هوغو ونيبولا.

الرواية الكلاسيكية التي ألهمت الفيلم الفائز بجائزة الأوسكار تشارلي ١٩٨٦.

دانيال كيز: ولد الكاتب الأمريكي في بروكلين بنيويورك عام ١٩٢٧، وتلقى شهادتي البكالوريوس والماجستير من كلية بروكلين. ألّف عدة كتب، وكان أستاذا فخريا في جامعة أوهايو، كما منحته مؤسسة كُتّاب أمريكا للخيال العلمي والفانتازيا لقب المؤلف الفخري في عام ٢٠٠٠. توفيّ عام ٢٠١٤.

- من مؤلفاته:

الاتصال (١٩٦٨، الرجل الملوث ١٩٧٧)

سالي الخامسة (١٩٨٠)

عقول بيلي ميليغان (١٩٨١)

كشف كلوديا (١٩٨٦)

حروب الميليغان: (اليابان، ١٩٩٤)

حتى الموت (١٩٩٨)

ألغيرنون، شارلي، وأنا: قصة كاتب (٢٠٠٠)

نبوءات الملجأ (٢٠٠٩)

أفلاطون، المحاورات الكاملة. ترجمة: شوقي داوود تمراز. بيروت: الأهليةللنشر والتوزيع، ١٩٩٤. المجلد الأول (الجمهورية: ص٣٢٤).

أفلاطـــــــون، المحاوراتالكاملـــــة. ترجمـــــة: شوقيداوودتمراز. بيروت: الأهليةللنشروالتوزيع، 1994. المجلدالأول(الجمهورية: ص322).

سيرة المترجمة

آية علي: بدأت مسيرتها في الترجمة في أواخر عام ٢٠١٢، وتنوّعت المجالات التي تترجم في إطارها، سواء كانت مقروءة أم مرئية، بين العلمية والأدبية والثقافية، حيث صدرت ترجماتها لسنوات عن منصات ثقافية وعلمية مثل: منشور، وحكمة، ومعنى، والتقدم العلمي للنشر. ومن أعمالها في الترجمة العلمية بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي KFAS: مقالات متنوعة صدرت بشكل دوري في مجلة العلوم، والكتاب الأكثر مبيعا لعام ٢٠١٧ وفقا للنيويورك تايمز: «الخفض المتدرج: أشمل الخطط المُقترحة على الإطلاق لعكس ظاهرة الاحترار العالمي»، وترجمتها لكتاب العلوم السياسية: «الثقة المفرطة والحرب» عن دار تشكيل وأدب.

تمت ترجمة هذا الكتاب ضمن
مبادرة ترجم
Tarjim Initiative

أزهار لألغيرنون

دانيال كيز

ترجمة آية علي